الدُّكتُور أحْمَد أبَّا الصَّافِي جَعفْرِي

من تـــاريـخ تـوات

أبْحَاثٌ فِي التُّرَاث

منشورات الحضارة

عنوان الكتاب: من تاريخ توات أبحاث في التراث
المؤلف: الدُّكتُور أَحْمَد أَبَّا الصَّافِي جَعفْرِي
الطبعة الأولى 2011
الإيداع القانوني: 3991 / 2011
ردمك: ISBN 978- 9931- 357- 02- 5

منشورات الحضارة
ص ب 04 بئر التوتة الجزائر 16045
هاتف/فاكس:023317773

بــسم الله
الــرحمن
الــرحيم

مقدمة الطبعة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

هذه هي المجموعة الثالثة من الأبحاث والمداخلات التي كنا قد شاركنا بها في ملتقيات وطنية ودولية خلال الفترة الممتدة من سنة 2004 م إلى غاية بداية سنة 2011 م وهي مجموعة مختارة -تبعا لأهميتها وطبيعة موضوعاتها -من مجموعة أبحاث عديدة ومتنوعة لنا في هذا المضمار.

وإذا كانت معظم هذه الموضوعات وغيرها قد رأت النور منفردة على صفحات مجلات وطنية ودولية محكمة وغير محكمة في كل من الجزائر والمغرب والإمارات ولبنان والسودان أولا، ثم مجتمعة في الجزئين الأول والثاني من هذه السلسلة، فإننا آثرنا اليوم -وتعميما للفائدة -نشر مجموعها في هذا الجزء الثالث من السلسلة علها تُُسَهّل على القارئ والمهتم في مجالها عناء البحث عنها منفردة في طيات المجلات المختلفة والمتباعدة أحيانا.

ومع أننا قد حاولنا جاهدين الربط والتوثيق بين مجموع أبحاث هذه السلسلة بعضها ببعض إلاّ أن المتصفح إجمالا لهذه الموضوعات قد يلمس بعض الفوارق الشكلية في ترتيبها، إضافة إلى بعض التداخل والتكرار في بعض أجزائها وموضوعاتها، وهذا لطبيعة هذه الموضوعات المُعَدة في أزمنة متباعدة ولبيئات متباينة أولا، ولدوافع وأسباب كتابتها وإعدادها ثانيا، وعزائنا في كل هذا أننا اجتهدنا قدر المستطاع في إيصال المعلومة، والمشاركة بما تيسر في كتابة تاريخنا وكسر جدار الصمت من حوله،فإن أصبنا فمن الله وعليه توكلنا، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الدكتور أحمد أبا الصافي جعفري

أدرار، الجزائر، يوم الخميس 10. 09. 2011 م.

البحـــــث الأول

حوار الإمام المغيلي (909هـ)
مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا
وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا[1]

1. البحث قدم في فعاليات الملتقى الدولي (الاسلام في افريقيا المنعقد بالجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا بالاشتراك بين المعهد العالمي لوحدة الأمة والمعهد العالمي للفكر والحضارة الاسلامية بماليزيا بتاريخ: 18، 19. 20، شعبان 1432 هـ، الموافق 19، 20، 21 جويلية 2011 م.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

لقد شكلّت حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ) المملوءة بالكد والنشاط والغيرة على واقع الإسلام والمسلمين في العالم. نواة حركة حوارية و إصلاحية حقيقية في حياة كثير من الشعوب والأفراد، وامتد صداها داخل وخارج حدود وطنه تلمسان عربيا وإفريقيا: عربيا حيث حواراته الداخلية بشأن نازلة اليهود بتوات (الجزائر). مع علماء عصره في توات وتلمسان الجزائر وفي تونس والمغرب وغيرهما. وهو ما تحدثت عنه كثير من المصادر والمراجع الإسلامية الإفريقية (وهو المقصود) حيث حواراته مع الكثير من ملوك وأمراء الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا (مملكة غانا، ومالي، وسنغاي) وما أفضت إليه من نتائج ملومسة. أسهمت وبشكل جلي في اتساع حركة المد الإسلامي في إفريقيا من جهة وفي توطيد أواصر المحبة والتعايش بين بقية الأجناس والأديان من جهة أخرى. كما استطاع الإمام بمنهجه في الحوار أن يعطي لنفسه -في حياته وبعد مماته- مكانة عظيمة أصبح

معها اسمه -عند الأفارقة خصوصا -مقرونا بلقب الإمام، وباتت كتبه مدرسة روحية يتربى عليها العديد من علماء القارة. فكان بذلك من الأوائل الذين أخضعوا المعارف الإسلامية في إفريقيا لمحك الحوار والنقاش كما قام بتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة في أذهان العامة. ومن هنا تأتى هذا البحث -بإذن الله -ليتتبع بعضا من معالم وأسس حركة الحوار الفكري والإصلاحي التي طبعت حياة الإمام المغيلي من حيث أفكارها ومواقفها، وأثرها في مد حركة الفتح الإفريقي.

1. التعريف بشخص المغيلي:

يعتبر الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)[1] واحداً من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري، وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية، وإصلاحية امتدّ صداها على طول الساحل الإفريقي ليصل أدغال إفريقيا، مرورا بمنطقة توات التاريخية محل إقامته النهائية ومثواه الأخير.

وعلى امتداد القرنين التاسع إلى العاشر الهجري أحيط الإمام المغيلي في نشأته بكوكبة من أبرز علماء الأمة وشيوخها الأجلاء آنذاك،كالحافظ التنسي(899هـ)، وابن مرزوق الكفيف (901هـ)، ومحمد بن أحمد بن مرزوق(842هـ)، والشيخ أحمد بن يحي الونشريسي(914هـ) صاحب المعيار،والشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي(875هـ)، والصوفي الكبير ابراهيم التازي (866هـ)، والشيخ محمد بن يوسف السنوسي (895هـ) صاحب التآليف الكثيرة في العقائد وغيرهم[2]. ووسط هذه البيئة الحافلة بالنشاط المعرفي ترعرع الإمام المغيلي مترددا على مواطن الدرس معلما ومتعلما في مسقط رأسه تلمسان أولا، ثم الجزائر العاصمة، فبجاية و توات، ثم فاس ومنه إلى السودان الكبير، ثم توات أخيرا وخلال هذه الفترة أتيح للإمام الاتصال بالشيخ سعيد

---

1. هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس... ويصل نسبه من جهة أبيه إلى الحسن المثنى ابن فاطمة الزهراء (ض) إلى الرسول(ص). ينظر تقييد مخطوط بخط الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد حول نسب الإمام المغيلي. خزانة أحفاده بالمنطقة. وخزانة كوسام.

2. ينظر: كتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام المغيلي. ص09. تحقيق أ. رابح بونار. الشركة الجزائرية للنشر1968. الجزائر.

المقري، والشيخ يحي بن ايدر والشيخ أبي العباس الوغليسي والشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي وغيرهم.

وبعد جولته المعرفية الأولى بين مدن تلمسان وبجاية ثم الجزائر العاصمة حلّ الإمام المغيلي بأرض توات على الأرجح سنة882هـ[1]، ووجد اليهود يومها قد ضربوا بأذنابهم في كل شاردة وواردة من أمور حياة التواتيين بالإضافة إلى تمردهم على كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وهو ما رأى فيه الإمام إسقاطا لصفة الذمي عنهم، ووجوبا لهدم ما استحدثوه من كنائس في أرض المسلمين. ومن هنا بدأ حواره مع بعض علماء عصره وعلى رأسهم قاضي

1. ينظر مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص19.سيدي محمد بن عبد الكريم .خزانة كوسام. وتقييد مخطوط في خزانة بن الوليد أدرار.

توات آنذاك الشيخ أبو عبد الله العصموني[1]، وفي هذه القضية ومن حولها أثيرت قضايا فقهية عدة استمع فيها المغيلي وحاور عدد كبير من علماء عصره[2]، الشيء الذي مكنه أخيرا من اتخاذ موقفه الأخير والمعروف في القضية.

ولم تكن دعوته الإصلاحية في وجه اليهود لتقف حائلا بينه وبين دعواته العلمية، بل على العكس من ذلك تماما فقد ظل الشيخ وخلال مسيرة حياته متنقلا بين ملوك الأمة وأمرائها في الجزائر وإفريقيا ناصحا مرشدا، ومعلما مفتيا متخذا في ذلك عنصر الحوار والإقناع. مفتاحا أساسيا لأبواب دعوته و في كل ذلك أثر عنه عشرات الكتب والمؤلفات المترجمة لفكره وحجته

---

1. نزل العصموني بأرض توات قادما من تلمسان سنة862 هـ. وتولى بها القضاء سنة 877هـ. ينظر: تقييد مخطوط حول دخول العلماء إلى منطقة توات. خزانة بن الوليد أدرار.
2. ينظر: المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ج2. ص214 وما بعدها، دار الغرب الإسلامي. بيروت1401هـ.1981م.. وكتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. الجزء الثاني، حرف الميم. ص 151 وما بعدها. دار الكتب العلمية بيروت لبنان .وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين .أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر2001. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص147. الحاج محمد بلعالم.

في الإقناع نذكر من أهمها:

-أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي[1]

-البدر المنير في علوم التفسير.

-تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين[2].

-تنبيـــه الغـــافلين عـــن مكـــر الملبســـين بـــدعوى مقامـــات العارفين[3].

-الرد على المعتزلة.

-شرح الأربعون حديثا[4].

-شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب.

-شرح الجمل للخونجي في المنطق.

-شرح خطبة المختصر.

-قصيدة في مدح الرسول(ص)[5].

---

1. حققه الأستاذ عبد القادر زبايدية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة1974.
2. حققه محمد خير رمضان يوسف ..دار ابن حزم بيروت سنة 1415هـ 1994م.
3. توجد نسخ منه مخطوطة في خزانات توات الجزائر.
4. توجد نسخة منه في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث مالي.
5. توجد نسخة منه في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث مالي.

-ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار[1].
-مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة.
-مصباح الأرواح في أصول الفلاح[2].
-المفروض من علم الفروض.
-مقدمة في العربية.
-منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب (وهي منظومة له عليها عدة شروح)[3].
-منظومة في المنطق[4] وغيرها.

وبالجملة فقد عد له الأستاذ مبروك مقدم سبعة وأربعين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع[1] (وأغلب هذه النسخ المخطوطة

---

1. توجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية .القاهرة .رقم الحفظ: تصوف عربي، 920 .رقم الميكروفيلم 37425. وهناك نسخ أخرى عديدة في بعض خزانات توات الجزائر.
2. حققه الأستاذ رابح بونار، وطبع في الجزائر سنة 1968م. وتوجد نسخ منه مخطوطة في مركز أحمد بابا للبحوث بتمبكتو جمهورية مالي. غير أن مضمون المخطوط هو بخلاف العنوان وأن عنوان هذا المخطوط هو رسالة في اليهود .أما مخطوط مصباح الأرواح في علوم الشريعة وأصول الدين .ينظر مقدمة كتاب رسالة في اليهود للإمام المغيلي .تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة .ط 1 2005.دار أبي رقراق.الرباط.
3. توجد نسخ منه مخطوطة في خزانات توات الجزائر. وتوجد نسخ منه عديدة مخطوطة في مكتبي ماما حيدرة، ومركز أحمد بابا للبحوث بتمبكتو جمهورية مالي.
4. توجد نسخة منه في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث تمبكتو مالي.

متواجدة حاليا في خزائن منطقة توات جنوب الجزائر كما توجد نسخ منها أيضا في بعض الخزائن والمكتبات الإفريقية، كما أن معظم هذه الكتب وغيرها لا تزال مخطوطة وهي منتشرة ومتعددة في نُسَخها انتشار صوت الإمام المغيلي في الجزائر وأفريقيا. وفي معظم بلدان العالم. ويضاف إلى كل هذا وذاك عديد القصائد الشعرية والمقطوعات النثرية التي أثرت عنه وعكست لنا وجها آخر في حياة المغيلي الإنسان و الأديب المفعم بالأحاسيس الجياشة.

بكل ذلك وبغيره كثير استطاع الإمام المغيلي أن يحجز لنفسه مكانا بين كبار شخصيات عصره كواحد من أبرز علماء ومصلحي العصر، وهذا بشهادة معاصريه أنفسهم الذين اعترفوا له بالسبق والريادة فهذا كبير علماء تلمسان في وقته الشيخ أبوعبد الله محمد بن يوسف السنوسي(895هـ)[2] يراسل الإمام المغيلي بكتاب مطول ويعترف له بالفضل حيث يقول: "من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن

---

1. ينظر: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة. أ مبروك مقدم. ص303 وما بعدها وما بعدها ط1 2002 دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران الجزائر.
2. هو محمد بن يوسف السنوسي ولد سنة 832هـ 1428م .كان من كبار علماء تلمسان وزهادها. له ما يزيد عن خمسين مؤلفا في شتى العلوم من أهمها: =

= العقيدة الكبرى والصغرى في التوحيد. توفي بتلمسان سنة 895هـ 1490م عن ثلاث وستين سنة. ينظر: معجم مشاهير المغاربة. أبو عمران الشيخ وآخرون. ص 292 ومابعدها .جامعة الجزائر 1995.

المنكــر"[1]. وهــاهو الشــيخ الهمــام ســيدي عبــد الــرحمن السيوطي(911هـ) العالم المشهور يعترف صراحة بمكانـة الإمـام المغيلي في العلم، وهذا من خلال رده على رسالة الإمـام المغيلـي التي وصلته في المناظرة المشـهورة بينهمـا حيث قـال السـيوطي في مطلع قصـيدتـه:

عجبت لنظم مــا سمعــت بمثلــه * أتاني عـن حـبر أقر بنبلـــه

ثم قال في ختامها أيضا:

سلاما على هذا الإمام فكم له * لدي ثناء واعتراف بفضله

والأكثر من هذا أن الشيخ سيدي عبد الرحمن الكسنمي ذكر في كتابــه البشــرى. أن ابــن عبــد الكــريم كــان لا يقــول للســيوطي

---

1. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من **400**هـ إلى **1100**هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن**4**هـ و**11**م أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة. ط**1** .**1417**هـ **1997**م

إلاّ عبيد الرحمن فلما ألف البرهان قال صار الطالب عبد الرحمن، فلما ألف الإتقان قال تبحر السيد عبد الرحمن في العلوم[1]. ويكفي هنا أن ندرك مكانة الشيخ عبد الرحمن السيوطي صاحب المؤلفات الغزيرة في شتى الفنون لندرك من ورائها مكانة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية. وإضافة إلى كل ذلك فقد وصفه صاحب كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية[2] بأنه كان خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين، ووصفه التنبكتي في كفاية المحتاج[3] بأنه الصالح السني وأحد الأذكياء المتقدمين في الفهم وقوة الإدراك، كما وصفه ابن مريم في بستانه[4] بأنه المقدام على الأمور الجسور الجريء القلب، الفصيح اللسان، المحب في السنة الجدلي النظار المحقق. وبالمختصر المفيد فإنه لا يذكر الإمام المغيلي إلاّ وذكر معه دوره الرائد في انتشار الإسلام في إفريقيا.

عرف الإمام المغيلي بكثرة رحلاته وتنقلاته الدعوية التي قادته من تلمسان إلى بجاية إلى الجزائر العاصمة ثم إلى أرض توات بالجنوب الجزائري وبقي بها مدة طويلة في الدعوة والإصلاح

---

1. البشرى شرح المرقاة الكبرى .عبد القادر الكسنمي ص**104**. مطبعة المنار تونس.
2. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية الشيخ محمد بن مخلوف. ص **274**دار الفكر بيروت.
3. ينظر: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. أحمد بابا التنبكتي. الجزء الثاني ص**218**. ط**1**. **1425**هـ **2004**م.مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.
4. ينظر البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ابن مريم. ص**255**. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

وأخيرا توجه إلى غرب إفريقيا و هناك مكث قرابة العشرين سنة في التدريس والإفتاء والدعوة لكتاب الله وفي نهاية إقامته في أرض غاو عاصمة مملكة سنغاي الإسلامية وصله خبر مقتل ابنه عبد الجبار الذي استخلفه على أهالي توات مما اضطره لمغادرة تلك الديار والرجوع ثانيا إلى أرض توات، ولما بلغ توات الوسطى أوتوات الحناء كما كانت تسمى وتحديدا قصر بوعلي جنوب بلدية زاوية كنته حاليا. تقدم له البرامكة سكان القصر وعرضوا عليه الإقامة عندهم -كما يقول الرواة[1] -فلبى الدعوة واستقر أخيرا في قصر بوعلي، وهناك أسس مسجده وخلوته وتخصص فيهما للدعوة والعبادة حتى وافته المنية سنة (909هـ) حيث نقل إلى مشارف القصر وهناك دفن. ومنذ ذلك الحين أخذ موضع دفنه اسم زاويته المعلومة إلى الآن في المنطقة.

2. رحلة الإمام المغيلي إلى إفريقيا وحواره مع أمراء وملوك السودان الغربي:

لقد كان أول اتصال لإفريقيا بالإسلام كما يقول المؤرخون في عهد الفاتح عقبة بن نافع حين أرسل فرقة صغيرة من جيشه باتجاه إفريقيا ووصلت حدود تشاد ومنذ ذلك العهد بدأ الإسلام في الانتشار شيئا فشيئا، وقد ساهمت القوافل التجارية القادمة من الشمال مرورا بأرض توات ووصولا إلى أدغال إفريقيا بشكل جلي في الدفع بحركة الفتوحات الإسلامية نحو الأمام، وعبر هذه القوافل التجارية دخل عدد هائل من العلماء إلى إفريقيا تجارا ودعاة إلى الله، ولعل أبرز شخصية دينية وعلمية توغلت بهذه

---

1. أخبرني بذلك الشيخ الحاج امحمد الكنتي شيخ الزاوية الكنتية حاليا قال إنه رواها عن الأوائل.

الديار وكان لها الأثر البارز في حركـة المد الإسلامي فـي إفريقيـا هـي شخصيـة الإمـام محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي. الرجـل الـذي استطاع وفي مدة قياسية أن يسجل اسمه وبحروف مـن ذهب فـي ذاكرة معظم الأفارقة ابتداء من القرن العاشر وحتى يومنا هذا.

لقـد اسـتطاع الأمـام الـمغيلـي وخـلال رحلتـه القصيــرة فـــي إفريقـيا والتي لـم تـدم سوى عشرين سنـة علـى الأرجح أن يتنقل بـين مـدن وقـرى إفريقيـة بعيـدة ومنتشـرة فـي كامـل ربـوع الغـرب الإفريقـــي نـــذكر

من ذلك تمثيلا لا حصرا (أهر، تكدة، أقادس التي أسس بها مسجد الكرامة المشهور، كشنا، كانو، سنغاي وغيرها). ولقد تمكن الإمام المغيلي طوال هذه الرحلة من مقابلة ومحاورة عدد من الأمراء والملوك وفي شتى العلوم والمعارف خصوصا مع الأميرين محمد بن يعقوب حاكم مملكة كانو، والأمير الحاج محمد أسكيا حاكم مملكة سنغاي وهما معا نموذج تمثيلنا في هذه المداخلة من حوارات الإمام.

أولا: حوار الإمام المغيلي مع الأمير محمد بن يعقوب رمفا أمير مملكة كانو:

بعد سنوات الإصلاح والتغير وما شهدته من محاورات ومناظرات بين الإمام المغيلي وبين علماء عصره في تلمسان وتوات انطلق الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى إفريقيا ودخل أولا بلدة أهر أوأير ومنها إلى بلدة تكدة التي مكث فيها لبعض الوقت داعيا مصلحا واتصل بحاكمها آنذاك، ثم توجه منها إلى بلاد كانو التي دخلها سنة1502م[1]

1. ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج .التنبكتي .ص331.دار الكتب العلمية بيروت. وكتاب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر هـ.أ مبروك مقدم. ص 99 وما بعدها ط1 2002 دار الغرب للنشر والتوزيع .وهران الجزائر.

وهناك أيضا أتيح له الاتصال بأميرها محمد بن يعقوب رمفا ودارت بينهما محاورات عدة انتهت أخيرا بتعيين الإمام المغيلي مستشارا للأمير، ثم رئيسا للقضاء والإفتاء بكانو[1] .

ومن جملة الأسئلة والأجوبة التي دارت بين الأمير محمد بن يعقوب وبين مستشاره الإمام المغيلي من جهة، والأسئلة والأجوبة التي دارت بين الإمام المغيلي وعموم شعب إمارة كانو وما جاورها استطاع الإمام المغيلي أن يجمع شتات كل ذلك في شكل رسالة، ووصية عامة، حيث جاءت الرسالة أولا تحمل عنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" أما الوصية فحملت عنوان "في مايجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام".

والرسالة الأولى من الإمام إلى الأمير محمد بن يعقوب جاءت ضمن أقسام أساسية ثلاث (مقدمة وفيها تمهيد عام للموضوع ودعاء للأمير بالتوفيق والسداد (وإن لم يسمه باسمه لتبقى عامة)، ثم تنبيهه إلى ثقل مسؤولية الإمارة الملقاة على عاتقه بما تتطلبه من عدل واستقامة. وأخيرا تذكيره بلحظة الجزاء والعقاب التي تنتظر كل نفس مصداقا لقوله تعالى "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن

---

1. ينظر: الحركة العلمية والثقافية. ص120.

النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور"[1]

وبعد هذه المقدمة راح الإمام يستعرض في خطابه للأمير أسس السياسة العامة للإمارة وجاء كل ذلك في أبواب ثمانية[2] الخمسة الأولى فيما يجب على الأمير أن يقوم به في أحواله من "حسن النية" وترتيب المملكة" والتزام الحذر بالحضر والسفر "والباب الخامس" فيما يجب كشفه من الأمور الخاصة برعيته أما في الباب السادس فذكرّه "بما يجب عليه من العدل والإحسان " أما الباب السابع فكان "فيما يجب عليه من جني الأموال من وجوه الحلال" وفي الباب الثامن والأخير خصه " لوجوه مصارف أموال الله.

والراجح كما قلنا أن هذه الرسالة من الإمام المغيلي إلى أمير كانو كانت خلاصة لمجموع حواراته مع الأمير، أوما ورده من أسئلة عنه تحديدا. وما يؤكد هذا الاعتقاد هو هذا التبويب والتقسيم الذي سلكه الإمام في تحرير رسالته جاعلا كل موضوع أوسؤال في إجابة خاصة تكاد تكون مستقلة بمقدمتها الموجزة والمركزة وخاتمتها التي اختار لها الحكمة المأثورة "رأس كل بليـــــة

1. سورة آل عمران .الآية رقم 184.

2. رسالة تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين .محمد بن عبد الكريم المغيلي. تحقيق محمد خير رمضان يوسف.ط01، 1415هـ،1994م. دارابن حزم بيروت لبنان.

احتجاب السلطان عن الرعية" بالإضافة إلى الدقة والاختصار الّذين تميزت بهما الرسالة من أولها إلى آخرها حيث لم تتجاوز في مجموعها تسع ورقات من الحجم الصغير كما أشار إلى ذلك محققها[1] وهي الدقة المطلوبة عادة في محاورة الملوك والأمراء حيث التركيز والاقتصار على المطلوب. كما نشير هنا إلى أن عديد الروايات التاريخية[2] تشير إلى أن أمير كانو هو الذي سأل الإمام هذه النصائح والتوجيهات.

هذا عن الرسالة جملة أما عن الوصية فالظاهر وبلا خلاف أنها جاءت ردا على سؤال ورد للإمام المغيلي من الأمير محمد بن يعقوب شخصيا. وهو ما جعل الإمام يخصصه بالخطاب في مقدمة وصيته مشيرا في الوقت نفسه إلى أن خطابه هذا إنما جاء استجابة وردا عن سؤال توجه به أمير كانو إليه، وطلب بموجبه بعض الجمل المختصرة والنصائح المفيدة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام حيث خاطبه الإمام المغيلي في مقدمة رده: "من محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبدالله محمد بن يعقوب سلطان كانو وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ماأولاه من أمور دينه

1. ينظر مقدمة الرسالة تاج الدين ص 12 وما بعدها .تحقيق محمد خير رمضان يوسف.

2. ينظر تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية .ا.د.يحي بوعزيز ص 40 .دار هومة .الجزائر.

ودنياه بجاه سيدنا محمد صلوات الله عليه سلام عليكم ورحمة الله. أما بعد فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه أنه لابد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية.."[1]

وموضوع الحوار بين الأمير محمد بن يعقوب والإمام المغيلي لم يخرج في الموضوعين السابقين معا عن إطار الدعوة والتمكين لدين الله، حيث حرص الأمير من خلال أسئلته على الاحتكام لشرع الله والنظر في كثير من القضايا الدينية والاجتماعية التي كانت تحكم الناس في علاقاتهم وفق أسس بعيدة عن الشرع وما تتطلبه الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية أحيانا، وحرص الإمام المغيلي من خلال رده على الوقوف بالأمير على حقيقة السلطنة القائمة

---

1. ينظر مصباح الأرواح في أصول الفلاح .محمد بن عبد الكريم المغيلي .تحقيق رابح بونار. ص 73 وما بعدها، 1968الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر والحركة العلمية والثقافية ص 130 وما بعدها، وكتاب تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين .ا.د.يحي بوعزيز ص 95 وما بعدها .دار هومة. الجزائر).وكتاب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة .أ مبروك مقدم. ص 100 وما بعدها. ط1. 2002 دار الغرب للنشر والتوزيع .وهران الجزائر .

على رجلي العدل والإحسان -كما قال-لأن رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية، ولأن حال الرعية وحال السلطان كفتان وعلى الأمير التصرف في حاله بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان.

ثانيا: حوار الإمام المغيلي مع الأمير الحاج محمد أسكيا حاكم سنغاي:

بعد مدة غير قصيرة جمعته بحاكم كانو. ساعده فيها على إرساء أركان إمارته هناك وفق الأسس والمبادئ الشرعية الصحيحة، وبعد أن كوّن وخلف من بعده دعاة وطلبة بهذه المنطقة قادوا المشعل من بعده وواصلوا حركته الإصلاحية، واصل الإمام المغيلي رحلته الإصلاحية في أدغال إفريقيا انطلاقا من أرض كانو مرورا بكاشنا وغيرها ووصولا أخيرا إلى إمبراطورية سنغاي حيث التقى في مقر عاصمتها غاو حاكمها أسكيا الحاج محمد وكان ذلك تقريبا في حدود سنة 1502م[1]، حيث وجد منه كل ضروب

---

1. ذكر السعدي أن مدة إمارة الأسقيا مع عقبه دامت أكثر من مائة عام، من تاريخ الرابع عشر من جمادى الأخرى في العام الثامن والتسعين في القرن التاسع، (898هـ) وآخرها سابع عشر من جمادى الأخرى في العام التاسع والتسعين في القرن العاشر(999هـ). ينظر تاريخ السودان. السعدي الباب السابع ذكر تنبكتو ونشأتها.

الترحيب والاستقبال الحار، وهيأ له كل ظروف الراحة والإقامة. وفي هذه المرحلة القصيرة و الخصبة من حياة الإمام المغيلي في غاو والتي لم تدم سوى سنة واحدة على الأرجح إلاّ أن الإمام سجل لنا وصايا ورسائل أخرى أثرى بها مكتبته الإصلاحية من جهة وترجم لنا بها حركته الحوارية وما دار بينه وبين الأمير أسكيا من نقاش وحوار. ولعل أبرز ما أثر عن الرجلين في هذه المرحلة تحديدا تلك الأسئلة والأجوبة التي أثيرت بين الأمير ومستشاره الإمام على شاكلة ما دار بينه وبين حاكم كانوا كما رأينا.

وتذكر كتب التاريخ هنا أن الأمير الحاج محمد أسكيا لما تولى الحكم أدرك ما آلت إليه الأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وما سادها من مفاهيم دينية مضطربة وخاطئة في أكثرها، ومن عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان[1] وهي الأفكار التي تعمقت في النفوس ووجدت لها صدى وأرضا خصبا في نفوس كثير من العوام، وبعض ضعاف القلوب من الخواص الشيء الذي أقلق الأمير أسكيا كثيرا، وأحس بضرورة التغير والتصدي لمثل تلك الأفكار. خصوصا وأنه وجد في شخص مستشاره الأول الإمام المغيلي الرجل المناسب لإعانته في حمل

---

1. ينظر: الحركة العلمية. ص134 وما بعدها .

هذا العبء، والزود لدين الله عز وجل فكان الحوار بينهما أولا أداة فعالة لهذا الأمر طرح من خلاله الأمير على الإمام علنا جملة من الأسئلة، وطلب منه الإجابة والفتوى فكان له هو ذلك، وكانت لنا اليوم مابات يعرف تاريخيا بأسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي.

تدور أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي عليها في مجملها حول سبعة مسائل مطولة تضمنت أحوال البلاد من الداخل وعلاقتها مع بقية الإمارات والقبائل المجاورة حيث انطلق فيها السائل من وضع سنغاي آنذاك وحال علماء الدين بها من العجم المنتسبين إلى كوكبة العلماء والذين لا يعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف كما قال الأمير، ومع ذلك فإن لهؤلاء كتبا وحكايات وأخبارا ومنهم قضاة ومفكرون يزعمون أنهم من علماء الأمة، وأنهم ورثة الأنبياء، وأنه وجب على الأمير وغيره الإقتداء بهم. وهي المصيبة والمعضلة التي حيرت الأمير-كما قال-وجعلته يطلب من الإمام توضيحا وفتوى واضحة في الأمر حيث خاطبه قائلا: "وأنا أطلب من الله ثم منك أن تفتي لي بما علمك الله في هؤلاء القراء، هل يجوز لي أن نعمل على قولهم في دين الله، ويخلصني تقليدهم عند الله، أو لا يحل لي ذلك، ويجب علي البحث عن من نوليه الحكم ونقلده في أمور الدين، وبين لنا صفة من يصلح لذلك شرعا، ثم أطلب منك أيضا أن تشفي غليلي بترتيب الأجوبة على هذه الأسئلة بزيادة وما تيسر لكم من النصيحة أيضا"[1].

---

1. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .ص 21 وما بعدها .

ويجيب الإمام المغيلي[1] عن السؤال بكل وعي وروية منبها الأمير إلى أهمية البطانة من حوله أولا والتي لا تخرج في كل الأحوال عن صنفين من الناس بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لاتألوه إلاّ خبالا -كما قال -فمن وقي شرها فقد وقي. وهو على كل حال من التي تغلب عليه. وقد فتحت هذه الإجابة الأولى شهية الأمير المعرفية على ما يبدو حيث نجده في المرة الثانية يسأل ويتحدث عن قضية مفصلية في واقع الإسلام والمسلمين على عهد السلطان سني علي الذي كان قبله، وكيف أنهم كانوا مسلمين في الظاهر فقط. أما في واقع حالهم فإنهم يعبدون الأصنام ويصدقون الكهان ويستعينون بالسحرة ونحوهم، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد تعظيمهم لبعض أنواع الأشجار والأحجار فلا يذبحون إلاّ عندها كما ينذرون ويتصدقون لها ويطلبون قضاء حوائجهم منها. والأكثر من هذا أن الأمير سني علي ما رؤي في جامع ولا مسجد هو ولا أحد من دائرته بل إن ألوفا من حاشيته لاتستطيع أن تصوم ولا أن تصلي خوفا

---

1. المصدر نفسه.

من بطشه. أما هو وإضافة إلى كل ما سبق فإنه كان يعاشر النساء دون التقيد بأحكام الشرع، بل كلما أعجبته امرأة في جميع مملكته أخذها وأدخلها إلى بيته وفراشه غير مبال بأحد ليجامعها ويتلذذ بها حتى في حضرة أمها. بالإضافة إلى هذا فإنه أحل دماء المسلمين فقتل من شاء وأبقى على من شاء. وبعد هذا الوصف خلص الأمير إلى تحديد سؤاله والمتمثل أساسا في حكم الشرع في هذا الأمير وفي أعوانه الظلمة، وأتباعه من العامة.

ويجيب الإمام المغيلي[1] أيضا في معرض رده على هذا السؤال أن الحاكم سني علي وجميع أعوانه وأتباعه هم من أظلم الظالمين الفاسقين، وأما الحكم بكفرهم فهو واقع وهذا كله على شرط أن يكون الوصف المنقول عنه وعنهم صحيحا من الأمير.

وفي السؤال الموالي[2] يطلب الأمير من الإمام مجددا تفصيلا في شأن أتباع هذا الملك ممن هم إلى الآن على تصرفاته وآرائه في الأصنام والقربان وغيرها، وهل عليه أمر في رد أموالهم التي ادعوا بأنها سلبت منهم أم أن اعتقادهم ونظرتهم للشرع الحقيقي تبيح له قتلهم ومصادرة أموالهم خاصة بعد توضيح وجه الحق في المسألة.

وظاهر من هذا السؤال أيضا أنه جاء بعد الاستماع لرأي الإمام في المسألة الأولى وهو ما جعله ينطلق من الرأي السابق ليستوضح بعض المسائل الدقيقة في هذا الشأن. وجعل الإمام

---

1. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ص21 وما بعدها.

2. المصدر نفسه.

المغيلي أيضا يجيب باختصار ويقر ما رآه الشرع في حق هؤلاء جميعا.

وفي المرة الرابعة من حوار الرجلين نجد الأمير أسكيا أكثر تدقيقا من ذي قبل دلالة على أنه تلقى الإجابات السابقة -كما قلنا -فيسأل هذه المرة عن موقفه هو كأمير للمسلمين من بعض الأمراء والسلاطين من حوله ممن هم بنفس الاعتقاد السالف الذكر، وممن يتخذون الإسلام وسما لفعل ما حرم الله فهل يجب عليه محاربتهم والاستجابة لمن طلب نجدته والدخول في حمايته وتحت حكمه ورعايته.

وفي معرض رد الإمام على سؤال الأمير تتجلى لنا شخصية الإمام المغيلي الغيورة على دينها من جهة و المراعية لأوضاع العصر والناس من جهة أخرى آخذا بمبدإ قاعدة أخف الضررين، فهو وإن أفتى له بالجهاد نصرة لدين الله إلاّ أنه نبهه إلى قضية جوهرية في علاقة الحاكم بالمحكوم حيث قال: "وإن لم تستطع أن تزيل ظلمه عن المسلمين إلاّبمضرة عليهم. فقد تعارض هنا ضرران فاحذر تغيير منكر بمنكر مثله أوأعظم منه فتثبت هاهنا، وارتكب أخف الضررين لأن ارتكاب

أخف الضررين قاعدة مشهورة وسنة مأثورة"[1].

ومن ضمن الأسئلة الحوارية التي دارت بين الرجلين أيضا سؤال الأمير في المرة الخامسة والسادسة عن الخراج ومستحقاته الشرعية أولا، وعن موقفه هو كأمير للمسلمين من تلك الفئة الظالمة من خاصة الناس والتي امتلأت بطونها وجيوبها بما حرم الله. حيث أجاب الإمام أيضا بموقف الشريعة الداعم لأسس التكافل والتواصل بين عامة الناس، والمراعي لمبدأ ما في نص الحديثين الشريفين: "الناس شركاء في ثلاثة الكلأ والماء والنار"[2]. وقوله عليه الصلاة والسلام: " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به"[3].

ولعل آخر سؤال وجواب بين الرجلين كما أثر عنهما في هذه الأسئلة المذكورة جاء تلخيصا ومفتاحا لكل ما دار بينهما في حوارهما السابق. حيث نجد فيه الأمير أسكيا يعود إلى مسألة الشرك بالله وما لف حولها من اعتقاد باطل وخزعبلات باطلة

---

1. المصدر نفسه.
2. سنن أبي داوود. كتاب البيوع .رقم الحديث 3016.(عن موسوعة الحديث الشريف الإصدار (1 .2)شركة صخر لبرامج الحاسب (1996.1991)
3. صحيح مسلم. رقم الحديث 3407. كتاب الإمارة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

وجدت في جهل العامة وطمع بعض الخاصة أرضا ومرتعا خصبا لنمو الظاهرة. وهو ما أرّق الأمير وجعله يصر على الاستبيان والتوضيح من الإمام المغيلي عله يستطيع أن يغير بفتواه ووعيه ما لم يستطع أن يغيره هو بحد سيفه وتلك حكمة بالغة و ناظر ثاقب من أمير يحرص على دينه وسلامة رعيته أولا.

وفي هذا السؤال السابع و الأخير كما ذكرنا يسأل الأمير أسكيا عن تلك الفئة الضالة من الناس التي ادعت معرفة الغيب وأخبار النجوم والجن وخط الرمل وأصوات الطيور وحركتها. إضافة إلى ممارستهم السحر ومعاشرة الإماء وكشف العورات عامة وما إلى ذلك من البدع والمنكرات، وهذا الأمر حاصل بشكل جلي كما يقول الأمير في مدينتي جنّي وتمبكتو[1]. وهذه البدع والمنكرات جميعها كما يقول المؤرخون[2] كانت متفشية بشكل واضح وصريح في كثير من البلدان الإفريقية قبل مجيء الإسلام ومع دخول الإسلام بدأت في الاختفاء تدريجيا وإن بقي بعضها كالسحر مثلا أوكالعري الذي أصبح بين العبيد أساسا. وهذه الأعمال أو بعضها على الأقل لا تزال بعض صورها إلى الآن في بعض هذه المجتمعات.

وإجابة الإمام المغيلي على هذا السؤال كانت واضحة وصريحة أيضا انطلق فيها أساسا كما في غيرها من الإجابات من رؤية الشرع التي جاءت لتحافظ على كرامة الإنسان وتصونه من كل ما يمكن أن يمس شرفه، أويخدش حياؤه كما جاءت أيضا لتحرم التلاعب بمشاعر الناس والعبث بأفكارهم

---

1. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .ص 21 وما بعدها .

2. مثل الدكتور عبد القادر زبايدية في كتابه أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ص 63.

وعقولهم مصداقا لقوله تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا"

والملاحظ على هذه الأسئلة جميعها أن كل سؤال منها قد تضمن مجموعة من الأسئلة الفرعية تباعا مما يؤكد مبدأ الحوار العام بين الرجلين -كما قلنا -وينفي أن تكون الأسئلة قد وردت الشيخ المغيلي دفعة واحدة وأجاب عنها كذلك، فالمتأمل لهذه الأسئلة يجدها قد صيغت وفق أصول وفروع ووفق مبدأ البداية من حيث تكون النهاية، بالإضافة إلى تلك التفريعات الجزئية التي تعقب كل سؤال من مثل قول السائل: (إن كان كذا فهل كذا وإن كان كذا فهل كذا ثم إنه كذا وكذا فهل يجوز كذا إلى أخر ذلك).

وورود هذه الأسئلة والإجابة عنها وفق هذا النسق من الترتيب والتقسيم يجعلنا نعتقد جازمين أيضا أن الأسئلة والإجابة معا كانت

بين الرجلين في شكل حوار مباشر. الأسقيا يسأل والمغيلي يجيب عن كل سؤل ثم ينطلق الأسكيا من الإجابة عن السؤال الأول ليكَوّن سؤالا أدق منه وهكذا وإن كانت بفاصل زمني بين سؤال وآخر.

أما ورودها معا ضمن مجموعة واحدة من مؤلفات المغيلي فيرجح أن الإمام المغيلي جمع تلك الأسئلة وردوده عليها مع شيء من الزيادة والنقصان ثم قدمها ضمن مجموع واحد ليعم نفعها كما هو حال كثير من المؤلفات على هذا النهج.

وهكذا فإنه بمثل ذلك الحوار الشيق والهادف بين الرجلين، وبمثل تلك النصائح والتوجيهات السديدة التي استمدها الأمير الحاج محمد أسكيا من محاورته الدائمة والمستمرة للإمام المغيلي استطاع الأمير أسكيا ومن ورائه عقبه من الأسقيين من بعده أن يحافظوا على عرش الحكم لأطول مدة ممكنة حيث "وصلوا بالمملكة من حيث القوة والتوسع إلى الحد الذي لم تصله لا من قبلهم ولا من بعدهم"[1]، وهذا رغم ما لقيه من معارضة شديدة من طرف وجهاء سنغاي في بداية أمره والتي أدت إلى حد المقاومة بالسلاح[2].

1. مملكة سنغاي في عهد الأسقيين **1493.1591**م. ص**31**. تأليف عبد القادر زبايدية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر

2. ينظر: المرجع نفسه ص **33** .

والمتأمل أيضا لتلك الأسئلة والأجوبة الحوارية بين الرجلين - الأمير ومستشاره -يستطيع أيضا أن يقف على مدى اطلاع الأمير أولا على أوضاع السودانيين كما هي، كما يستطيع أيضا أن يتلمس من خلالها صراحته في بسط عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية التي كانت تشغل باله على طاولة الحوار والنقاش، فكانت الأجوبة بما تضمنته من فتاوى وتوجيهات مهمة ومفيدة جدا للأمير وخلفه وعامة المسلمين، كما كانت الأسئلة بما راعته من أمور الدقة والإلمام معا أهم من الإجابة لمجموع الباحثين والدارسين.

ثالثا: الخاتمة (نتائج الدعوة المغيلية وآثار حركتها الحوارية على نشر الإسلام في إفريقيا)

وأخيرا فإن أهم ما يمكن الوصول إليه بعد هذه الدراسة حول شخصية الإمام المغيلي وعلاقته الحوارية مع ملوك وأمراء إفريقيا هو أن عنصر الحوار كان هو مفتاح الشخصية المغيلية- عبر تاريخها الطويل، وإن حاول البعض إنكار ذلك-أشهره منذ بداية دعوته وهو في أرض توات أولا مع علماء الجزائر والمغرب وتونس في ما بات يعرف بنازلة اليهود وكلفه التنقل أحيانا بعيدا عن موطنه ولم يكتف في ذلك بإرسال الرسائل وإيفاد الرسل بل كان يذهب بنفسه لمناظرة غيره إذا استدعت الضرورة كما فعل مع علماء فاس

بالمغرب في النازلة السابقة.

وسلاح الحوار أيضا هو نفسه السلاح الذي ارتكز عليه في رحلته الدعوية إلى أرض السودان وكان مفتاح دعوته الأول به ملك قلوب وعقول الحكام والمحكومين على السواء، وبه استطاع أيضا أن يؤسس إمارة العدل والمساواة و العيش الكريم تحت ظلال شجرة الإسلام الوارفة، وأصبحت ذكراه من بعده عالقة في أذهان الإفريقين، كما أصبحت مؤلفاته ورسائله مصدرا هاما من مصادر العلوم الإسلامية والإنسانية في شتى مراحل التعليم بهذه الأقاليم[1] ولعل أكبر شاهد على نهج الإمام المغيلي في علاقته مع غيره وعلى احتكامه للعقل والمنطق والحكمة باعتبارها ضالة المؤمن هو ما نجده يعبر عنه صراحة كأساس لمنهجه وخطه في التعامل مع الغير وهذا في مناظرته الإمام عبد الرحمن السيوطي حين خاطبه بقوله[2]:

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم

دليلا على شخص بمذهب مثله.

نعم لقد كان الحوار بكل أبعاده عنصرا أساسيا في حياة الإمام العلمية والجهادية معا منطلقه في ذلك قوله عز وجل "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا"[3] وقوله جل من قائل " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن

1. ينظر: الحركة العلمية والثقافية ص 171.

2. القصيدة مخطوطة ضمن مجموع تقيدات للإمام المغيلي. خزانة زاوية الشيخ. أدرار. الجزائر. وينظر أيضا نيل الابتهاج ص 151 ومابعدها.

3. سورة النساء آية 59.

المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب أليم"[1] وهي كلها نصوص قرآنية دلل بها الإمام و ترددت على لسانه وفي كتبه أكثر من مرة وفي أكثر من موقف.

لقد حرص الإمام المغيلي ومنذ نعومة أظافره على طلب العلم والأخذ بجميع فروعه ومنافذه لأنه كان يرى أن " أول ما يتقرب به العبد إلى الله طلب العلم لوجه الله على سنة رسول الله (ص)" وكان يردد في ذلك دوما "إنما يطلب العلم بالنظر، وليس النظر بمصيب أبدا ولا بمخطئ أبدا بل بعض النظر مصيب وبعضه مخطئ"[2]

1. سورة آل عمران الآية 104، 105.

2. لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب .محمد بن عبد الكريم المغيلي .تحقيق أبو بكر بالقاسم ضيف الجزائري .ص23.ط1، 1427هـ،2006م.دارابن حزم بيروت لبنان.

ومن هنا تكوّنت لديه فكرة الحوار والنقاش وأصبحت وسيلته الأساسية في الوصول إلى كثير من الغايات، ولم يكن شخصه الذي يرضى ببعض الأفكار الجامدة أو التراهات الزائفة على وجه الرضى والخنوع ودون أدنى وجه، دليل أو حجة لأن العالم المظهّري الذي يتقبل الشيء أو يرفضه دون دليل لا يمتلك الروح العلمية بل هو مجرد مستودع فحسب لمجموعة من المعارف، وآلة تسجيل قد سجلت كل ما تعلمته[1].

بهذا كله وغيره كثير أمكن القول إن جميع تلك الحوارات التي دارت بين الإمام المغيلي ومجموع من التقى بهم في إفريقيا الغربية خاصة. لتعطينا صورة واضحة لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من الازدهار والرقي في تلك المناطق خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، كما أنها تعكس لنا في الوقت نفسه الدور البارز والرائد الذي قام به الإمام المغيلي في سبيل إرساء قواعد الدعوة الإسلامية وإخضاع المعارف الإسلامية في تلك الديار لمحك الأخذ والرد والعطاء وتوسيع دائرة النقاش العلمي[2] ليشمل مناطق

---

1. الحوار دائما الدكتور شوقي أبو خليل. ص16. ط02، 1415هـ، 1994م دار الفكر المعاصر بيروت.

2. ينظر الحركة العلمية ص170.

بعيدة ومختلفة من هذه الديار الحديثة العهد آنذاك بالإسلام حيث تشير بعض الدراسات[1] إلى أن بداية دخول الإسلام إلى هذه المناطق تحديدا كان في القرن الرابع عشر الميلادي. لكنه وبفضل ذلك الاتصال والاحتكاك الذي وقع للإمام المغيلي مع مجمل من التقى بهم من ملوك وأمراء إفريقيا توسعت رقعة الإسلام،وصححت كثير من المفاهيم والأفكار المغلوطة التي ظلت معششة لفترة طويلة جدا من الزمن في أذهان كثير من الأفارقة حكاما ومحكومين على السواء. فجزى الله جمع الحكام والمحكومين في تلك الإمارات وغيرها بما هيئوه وأتاحوه من فرص النصح والإستماع وجزى الله الإمام المغيلي العالم القدوة بما هيأه من فرص لإصلاح الأمة والرجوع بها إلى المنهج السوي، وأخيرا وليس آخرا جزى الله كل من كانت له يد في لم شمل هذا الجمع المبارك في هذا الحضور الكريم والعودة بالأمة إلى أساس دعوتها الصحيح والقائم أساسا على مبدإ قوله تعالى مخاطبا نبيه الكريم "فبم رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين[2] وقوله عز وجل: فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلاّ البلاغ"[3]صدق الله العظيم.

---

1. ينظر: مقال حول مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعثمان دان فوديو. د عمار هلال. أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار.ص 92.

2. سورة آل عمران آية 159.

3. سورة الشورى آية 48.

وفقنـا الله جميعـا لمـا فيـه صـلاح الـبلاد والعبـاد والله الموفـق والـهادي إلى سواء السبيل.

المصــادر والـمـراجــع:

- المخطوطة:

1. مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى منطقة توات. خزانة بن الوليد أدرار.
2. مخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالمنطقة.
3. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .سيدي محمد بن عبد الكريم .خزانة كوسام
4. مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد بلعالم.
5. مخطوط قصائد الإمام المغيلي .خزانة الشيخ الحاج عبد القادر .أدرار الجزائر.

- المطبوعة:

1. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .تحقيق الأستاذ عبد القادر زبايدية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974.
2. أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار. مقال: مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعثمان دان فوديو. د عمار هلال .
3. الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .مبروك مقدم .ط1 1422 هـ 2002م. مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان.

4. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ابن مريم. ص255. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
5. البشرى شرح المرقاة الكبرى .عبد القادر الكسنمي. مطبعة المنار تونس.
6. تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم بيروت سنة 1415هـ 1994م.
7. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين. أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر .2001
8. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة. ط1. 1417هـ 1997م

9. الحوار دائما الدكتور شوقي أبو خليل .ص 16.ط2، 1415هـ، 1994م دار الفكر المعاصر بيروت
10. رسالة في اليهود للإمام المغيلي .تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة .ط 1 2005. دار أبي رقراق. الرباط.
11. سنن أبي داوود. كتاب البيوع. رقم الحديث 3016. (عن موسوعة الحديث الشريف الإصدار(1،2) شركة صخر لبرامج الحاسب (1991،1996)
12. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية الشيخ محمد بن مخلوف. ص274 دار الفكر بيروت.
13. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة .أ مبروك مقدم. ط1 2002 دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران الجزائر.
14. صحيح مسلم. رقم الحديث 3407. كتاب الإمارة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
15. فهرسة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن 1421هـ.
16. لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب .محمد بن عبد الكريم المغيلي. تحقيق أبو بكر بالقاسم ضيف الجزائري.

ص23. ط01. 1427هـ،2006م.دار ابن حزم بيروت لبنان.
17. مصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام المغيلي. تحقيق أ. رابح بونار. الشركة الجزائرية للنشر .1968. الجزائر .
18. معجم مشاهير المغاربة .أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر 1995م.
19. المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي، دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية.
20. مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493،1591م. ص 31. تأليف عبد القادر زبايدية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.
21. نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت.

البحـــث الـثـانـــي

الأشراف أولاد أسي حمو بلحاج
بإقليم توات الوسطى (جنوب الجزائر)
ـ أعــلام وآثـــــار ـ

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

لقد شكل الإقليم التواتي (ولاية أدرار جنوب الجزائر) عبر تاريخه الطويل، وبالنظر إلى موقعه الاستراتيجي الذي يتوسط فيه كبريات العواصم الثقافية عربيا وإسلاميا خيط تواصل وعطاء بين مختلف الشعوب، ومن ثم انعكس الأمر إيجابا على واقع الإقليم، فعرف إنسانه كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، ومصر، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط وأروان غير ذلك.

وُصف الإقليم التواتي على مر التاريخ بأنه أرض أمان واطمئنان، كثر فيه الصالحون والزهاد جاءوه من كافة الأقطار العربية والإسلامية وبمختلف السلالات واستوطنوا به. متأثرين ومؤثرين فيمن حولهم، ولعل من أبرز السلالات النازلة بالإقليم نذكر السلالة الشريفة وآل النبي الأطهار يتقدمهم في ذلك كما يقول الرواة الشريف مولاي سليمان بن علي الذي قدم الإقليم

من أرض المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري كأول شريف ينزل بالإقليم، وبعد هذا التاريخ توالى دخول الأشراف إلى المنطقة تباعا ودون انقطاع نذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا: الشريف والإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي في القرن التاسع الهجري، والفقيه الورع مولاي علي الشريف في القرن الحادي عشر الهجري، والأديب المفلح سيدي محمد بكو الإداوعلي في القرن الثاني عشر الهجري، وغيرهم كثير.

غير أنه وفي كل هذا يبقى عرش أولاد أسي حمو بلحاج واحدا من أبرز الأنساب الشريفة بالإقليم تاريخا وحضورا،تأثرا وتأثيرا بما خلفوه من رصيد ثقافي واجتماعي في الإقليم على مر العصور وحتى يومنا هذا.

ومن هنا جاءت فكرة البحث في هذا النسب تحديدا محاولة منا للوقوف على بعض الجوانب النيرة من حياة واحدة من أهم سلسلة الأشراف بالإقليم وأعني بها سلسلة أبناء وأحفاد الشريف سيدي حمو بلحاج.

* فمن هو الشريف سيدي محمد بلحاج حياتا ونسبا ؟ وما قصة هجرته للإقليم التواتي بداية واستقراره به ؟
* ما هي أبعاد العائلة البلحاجية الشريفة في حدودها الزمكانية بالإقليم ؟ ومن هم أهم أقطابها وروادها.
* ما هي أهم ظروف حياة العائلة اليومية في أوضاعها الاجتماعية تحديدا ؟ وما علاقتهم مع غيرهم من فئات المجتمع التواتي تأثرا وتأثيرا؟
* إلى أي مدى ساهم هذا الفرع الشريف في إثراء الحياة الثقافية بالإقليم ؟ وما هي أهم مراكزه الثقافية وخزائن مخطوطاته العلمية؟

* وأخيرا من هم أهم أعلام ورواد هذا الفرع بالإقليم تحديدا ؟ وما هي أبرز اسهاماتهم العلمية ؟

قليل من كثير نرغب في نبشه بإذن الله ليشكل ما من شأنه أن يكون إجابات كافية،وتوصيات شافية لتأسيس قاعدة حوار علمية صلبة وجادة حول هذه الشريحة الطاهرة والمتميزة في مجتمعنا الإسلامي من جهة. وبما يسهم في إنقاذ تراثنا وإنصاف علمائنا وأعلامنا ومن له الفضل علينا من جهة أخرى. وعلى الله قصد السبيل.

مـدخـل:

احتـل الإقلـيم التـواتي بموقعـه المتميـز وقصـوره المتنـاثرة مركـزا وسـطا لعواصـم تاريخيـة كبـرى علـى مـر التـاريخ مشـكلا بـذلك نقطـة العبـور الأساسـية بـين هـذه الأقـاليم، وفـي ذلـك يقـول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري عن الحدود القديمـة للإقلـيم أن "بينـه وبـين سجلماسـة مسـافة ثلاثـة عشـر يومـا... وغربـا عشـرين يومـا لأول السـودان، ومـن غـدامس عشـرين يوما،ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحيـة أولاد عيسـى قدر أسبوع إسراعا لـبلاد البيض سيدي الشيخ، وعدد قصورها فـي القـرن الحـادي عشـر مائتـا قصـرا أوسـطها بـودة وتيمـي وتمنطيط".[1] ولقد اختلفت الروايات في تعريف اللفظ "تـوات" وتاريخ اختطاط الإقليم عامة.

لقـد جـاء فـي حـديث الشـيخ سـيدي محمـد بـن عبـد الكـريم البكري[2] عن الإقليم التواتي أنه كان قبل الإسلام عجمي لاعرب فيه وأن زناتة من سكانه الأوائل، ثم نزلت القبائل في ضيافتها تباعا: أولاد بن عبد الجليل في سنة 501هـ، أولاد عياش سنة 502هـ، قبيلـة أولا خيـر الله سـنة 516هـ، سـيدي وعلـي البلبـالي 518هـ، أولاد بـن يـدير سـنة 520هـ، قبيلـة أولاد حسـين سـنة 528هـ،قبيلة أولاد بـن سـليمان سـنة 531، قبيلـة زكـوان سـنة

---

1. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. ص3. الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص131 وما بعدها. الحاج محمد العالم.
2. ينظر مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص02 وما بعدها.خزانة تمنطيط أدرار، وينظر أيضا.

536هـ. وفي سنة 550 هـ نزل الشرفاء الحموديون، ثم جاءت بعد ذلك قبيلة أولاد أحمد عزي سنة 608هـ،ثم أولاد عبو عام 609هـ فأولاد الصابون سنة 640هـ، ثم أولاد عليش سنة 650هـ، ثم البرامكة سنة 656هـ، فأولاد عثمان سنة 668هـ، وأولاد علي سنة 673هـ، ثم عائلة المحاجيب سنة 675هـ، ثم جاءت قبيلة آخروم سنة 698هـ، وبعد هذا التاريخ يضيف البكري[1] بدأت القبائل العربية في التوافد أفواجا أفواجا للإقليم وفي أزمنة متباعدة ويذكر من ذلك تحديدا قبائل: أولاد أمحمد، الخنافسة، المحارزة، وأولاد طلحة، وأولاد عيسى، وأولاد باحمو، وأولاد عمر، وأولاد غانم وأولاد الحاج، وأولاد عابد وغيرهم.

وقبل هؤلاء وبعدهم نزلت السلالة النبوية الشريفة على أهل توات معززة ومكرمة حالة ومرتحلة، ولقيت من الحفاوة

---

1. المصدر نفسه.

والإستقبال ما جعل العديد من الزائرين، أوالقاطعين أرض توات في رحلاتهم الإفريقية من هذه السلالة الشريفة العطرة يتخذون من الإقليم التواتي مستقرا دائما،وملاذا آمنا بعد كثير من الحل والترحال بل إن الشريف مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (1978م) أحد الشرفاء العاملين الأتقياء في العصر الحديث وأحد الوافدين إلى الإقليم راح أبعد من ذلك حين ربط أصلا بين التسمية توات وبين هذا المعنى حيث يقول في تفسير كلمة (توات): " سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة فلذلك سكنها خلق كثير من أولياء الله الكمل العارفين"[1] ويضيف الشريف مولاي أحمد في تأكيد معناه السابق وما تتلقاه السلالة النبوية الشريفة في هذه الديار خصوصا: "وأهل هذا القطر معروفون بالخير والسخاء والمحبة التامة وأهله أصحاب علم ومحبة لأهل البيت النبوي الشريف..... وكل أهل هذه البلدة جميعا على درجة عالية من الكرم والجود فجزاهم الله عنا خيرا"[2].

نزل الشرفاء إذا بأرض توات فرادى وجماعات بعد ما لاقوا من عناية وترحيب بلغ حد السفر في أحايين كثيرة إلى مواطنهم الأصلية، وطلب الاستئذان في حضورهم محبة وتبركا، لكن الروايات التاريخية من حولهم اختلفت في تحديد أوليات هذا الدخول وأهم أعلامه فإذا كنا قد رأينا أن البكري[3] أرجع دخول هذا النسب الشريف إلى أقاليم توات إلى حدود منتصف القرن

---

1. مولاي أحمد الطاهري. مخطوط نسيم النفحات ص12. خزانة كوسام أدرار.

2. المصدر نفسه ص26 وما بعدها.

3. ينظر مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص 02 وما بعدها. خزانة تمنطيط أدرار، وينظر أيضا.

السادس الهجري(550هـ) وتحديدا مع قبيلة الحموديين، فإنه مع ذلك لم يعطينا تفصيلا أكثر عن هذه العائلة ولا عن أهم فروعها في الإقليم، ولذلك فإن معظم الرواة اعتبروا أن البداية الحقيقية لرحلات هذا النسب إلى الإقليم التواتي كانت بعد سنوات معدودة من هذا التاريخ أي في سنة (580هـ) تحديدا، وهو تاريخ رحلة الشريف مولاي سليمان بن علي(670هـ) إلى الإقليم، فكان بذلك أول الشرفاء الحالين بالإقليم التواتي قدوما من أرض المغرب الأقصى.

والشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي (670هـ) في نسبه[1] هوأبو داوود سليمان بن مولاي علي الشريف الملقب بـ(أوشن) ينتهي

1. ينظر ترجمته في: تقييد رقم(01) مخطوط حول نسبه عند أحفاده بقصر أدغا، وتقييد رقم (02) مخطوط حول نسبه عند أحفاده بقصر أدغا وأولاد علي، ومخطوط درة الأقلام للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ص35 وما بعدها .

نسبه إلى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن سيدنا علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. ولد رضي الله عنه بأرض المغرب الأقصى سنة 546هـ، ودرس بفاس على يد الشيخ سيدي علي بن حرزهم، وهو الذي أمره بالسفر والاستقرار بأرض توات وكان ذلك تحديدا بعد صلاة الجمعة من شهر رجب سنة 580هـ، وفي خبر سفره إلى توات ونزوله ببعض قصورها روايات وأحاديث كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

كان الشريف مولاي سليمان بن علي من أجلّ الناس قدرا، وأعلاهم مكانة في عصره، كما أنه على الأرجح هو أول من أسّس الزوايا بالإقليم، حيث أنه وبمجرد استقراره بالإقليم جمع حوله أعيان الإقليم ووجهائه، وطلب منهم مساعدته في دعوته الإصلاحية الدعوية، فكان أن انتفع به خلق كثير من سكان الإقليم وهو ماجعل الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن (1139هـ) يتحدث عن كل ذلك في مرثيته له قائلا:

سيدي سليمان نجل علي
وفسيل ابن حرزهم في الطريقة
فقت مجدا وسؤددا وكمالا
وسلوكا شريعة وحقيقة

قد حللت توات كالبدري يسري
تهزم الظلمات منـهم الشريقـــة
وملكت أزمة العز والتصـريــف
فيهـــا مـع الـصــــفات الأنيقـــة
وبسطـــت يديك بالجــود تعطـي
كــــل ذي أمـال ثـيابا صفيقـــة
ومنحــــت الــــزوار كــل مـــــرام
دوحـــــه سر بالغصون الوريقـــة
وهديـــت مـن الخــــلائـــق جمـــا
للهـــــدى بعد هـونـــهم بسحيقـــة

وبعد الشريف مولاي سليمان بن علي توالت رحلة الشرفاء الأقطاب إلى الإقليم التواتي الواحد تلـو الآخـر ودون انقطـاع نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا: الشريف و الإمام المصلح سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي[1]والقاضي العادل الشريف سيدي سالم العصموني[2] في القرن التاسع الهجري،، والفقيه الورع

1. تقييد مخطوط حول نسب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي. خزانة الحاج عبد القادر المغيلي أدرار.
2. تقييد مخطوط حول نسب الشيخ سيدي عبد الله العصموني. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

سيدي مولاي علي الشريف في القرن الحادي عشر الهجري، والمربي الحكيم الشريف سيدي أبي ألأنوار[1] بن عبد الكريم في القرن الثاني عشر الهجري، والأديب المفلح سيدي محمد بكو الإداوعلي[2] في القرن الثاني عشر الهجري أيضا، وغيرهم كثير.

هذا عن عموم العائلة الشريفة بالإقليم في قطبيها العلوي والإدريسي، أما عن العائلة العلوية الشريفة تحديدا فيذكر الكاتب الفرنسي مارثان[3] أنه وبتاريخ الفاتح من رجب سنة 1211هـ كتب السلطان المغربي الشريف مولاي سليمان رسالة إلى ابن عمه الشريف مولاي هاشم قاضي الجماعة بتوات وأخبره بموجبها أنه أرسل له مبلغا ماليا قدره 2500 مثقال وطلب منه توزيعه على أبناء عمه من الشرفاء العلويين جميعا رجالا ونساء وأطفالا فردا فردا. فقام القاضي الشريف مولاي هاشم بمساعدة الشريف سيدي هيبة أولا بإحصاء جميع الشرفاء العلويين بتوات، وسجل كل ذلك في لائحة مفصلة حسب كل قصر جاءت وفق الآتي:

اسم المجموعة و القصر	عدد الأفراد
شرفاء قصر تيط	56فرد
شرفاء قصر أولف	616فردا
شرفاء قصور رقان، المستور، بريش،أولاد مولاي أحمد	1020فردا

1. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي. ص25،

2. تقييد مخطوط حول نسب الإداوعليين. خزانة قصر اعباني أدرار.

3. Quatre Siecles d’Histoire marocaine.A-G-P Martin .PM112. .Paris Librairie Felix Alcan.1923

شرفاء قصر سالي	**2018فردا**
شرفاء قصور أولاد سيدي حمو بلحاج وتطاوين إلى مكيد مع إخوانهم أولاد سيدي محمد الصديق بتيمي	**2700فردا**
شرفاء قصور تامست	**46 فردا**
شرفاء قصور فنوغيل مع إخوانهم في قصر تدماين وتامنطيط	**1076فردا**
شرفاء قصور تيمي، تاريدالت، مهدية، أولاد عبد الحق، أوكديم وأولاد قاسم،وقصر واينة	**300 فردا**
شرفاء قصر الهبلة	**256 فردا**
المجمـــــــــــوع	**8088 فردا**

ونرى أن هذه الوثيقة وإضافة إلى تعداد الشرفاء العلويين بإقليم توات في مطلع القرن الثالث عشر الهجري تعطينا أيضا أماكن تموقع العلويين بالإقليم، والذي شمل حينها أزيد من ثلاثين قصرا تقريبا من حدود أقصى نقطة جنوبية للولاية أدرار حاليا ممثلة في قصر تيط من إقليم تدكلت مرورا بمعظم قصور إقلـــــــــــيم تـــــــــــوات

الوسطى، وصولا إلى قصر الهبلة من إقليم قورارة شمالا. كما أن هذه النسبة على قلتها كانت تشكل ربع سكان إقليم توات برمته حينها كما يذكر الأستاذ أحمد الغماري[1] نقلا عن إحصائيات المستدمر الفرنسي.

وعن فروع العائلة العلوية الشريفة عامة بأرض توات يرى الشيخ مولاي أحمد الإدريسي[2] أن الشرفاء العلويين بتوات على قسمين: بلغيتيون نسبة للشريف مولاي عبد الواحد(أبو الغيث) والذي تفرع منه فرعان: عائلة الشريف سيدي محمد بن عبد الواحد وهو جد شرفاء سالي، وعائلة شقيقه مولاي العربي بن مولاي عبد الواحد جد شرفاء الهبلة. أما القسم الثاني فهم محمديون نسبة للشريف سيدي محمد بن الحاج الذي نحن بصدد الحديث عنه.

يرجع الشريف سيدي محمد بن الحاج جد العائلة البلحاجية المعروفة والمنتشرة بكل ربوع الإقليم، والمدفون بأرض تمبكتو في نسبه[3] إلى الشريف سيدي الحاج، ابن مولاي أمحمد، بن مولاي عبد الله، بن مولاي أمحمد،بن مولاي علي الشريف،بن مولاي الحسن،بن سيدي محمد، بن مولاي الحسن[4]،بن مولاي

---

1. ينظر: توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي1850م إلى 1902م. ص34.
2. ذكر ذلك في مخطوطه نسي النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعاملين الثقاة. ص100 وما بعدها. خزانة كوسام أدرار. وينظر أيضا محاضرة للشيخ عبد القادر نيكلو
3. ينظر تقييد نسب العائلة ند أحفاده بقصر زاوية كنته.

4. عرف بالداخل وهو أول من دخل إلى سجلماسة بالمغرب من هذا الفرع وكان دخوله في أواخر المائة السابعة. ينظر الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. أحمد بن خالد

قاسم، بن سيدي محمد، بن مولاي أبي القاسم، بن سيدي محمد، بن مولاي الحسن، بن مولاي عبد الله، بن سيدي محمد، بن مولاي عرفة، بن مولاي الحسن،بن مولاي أبي بكر،بن مولاي علي، بن مولاي الحسن، بن مولاي أحمد، بن مولاي إسماعيل، بن مولاي قاسم، بن سيدي محمد، بن مولاي عبد الله الكامل، بن مولانا الحسن المثنى، بن مولانا الحسن السبط، بن سيدنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنها، ابنة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد علق الشريف مولاي إدريس الفضيلي[1] على شهرة وحفظ نسب الشريف مولاي الحسن بن مولاي قاسم جد الشريف سيدي

الناصري.ج7. ص4 وما بعدها .تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء1418هـ، 1997م. و كتاب الدرر البهية والجواهر النبوية تأليف الشريف العلامة مولاي إدريس الفضيلي.ج1 .ص98 وما بعدها 1999م .مطبعة فضالة المحمدية المغرب.

1. المرجع نفسه. ص106.

محمد بلحاج قائلا: " وهذا النسب قد بلغ في الشهرة والوضوح مبلغ التواتر القطعي الذي لا يتطرقه ريب، وقد أجمع الناس عليه قاطبة خصوصا خاصة هذه الأقطار المغربية وعامتهم حتى لم يختلف فيه اثنان من عامة وأعيان، وحتى مثلوا به في صحة الأنساب قديما وحديثا".

وعن دخول هذه العائلة العلوية الشريفة واستقرارها بأرض توات الوسطى تحديدا يرى الشيخ مولاي أحمد الإدريسي[1] أن الشريف سيدي حمو بلحاج دخل أولا من تفيلالت إلى تمبكتو تاجرا وكان ذلك سنة 1040هـ حيث مر بإقليم توات ونزل أولا في ضيافة قصر عليان الرأس-أوعريان الراس على خلاف-وبالضبط عند بيت الشيخ سيدي محمد الصالح الذي رحب به وأكرمه، ليواصل المسير بعدها إلى تمبكتو. وتواصلت رحلات الشيخ سيدي حمو بلحاج التجارية بعد ذلك إلى تمبكتو وفي كل مرة كان يمر بأرض توات وينزل في ضيافة قصورها. ولما كانت سنة 1062 هـ رحل الشريف سيدي حمو إلى تمبكتو كعادته فمرض مرضا شديدا ألزمه الفراش حتى أدركته الوفاة هناك في شهر رمضان من نفس السنة المذكورة.

وفي هذه الأثناء وبالنظر إلى سمعة الرجل ومكانته العلمية والاجتماعية أرسل حاكم تمبكتو على جناح السرعة إلى تفيلالت يستفسر عن أسرة الشريف سيدي حمو بلحاج ويطلب حضورها لتسليم تركة المرحوم .وفي رحلة من رحلات القوافل التجارية

---

1. ينظر مخطوطة نسيم النفحات ص101 وما بعدها، وهي نفس الرواية التي رواها لنا ابن العائلة الشيخ مولاي أحمد بن مولاي علي نقلا عن أجداده. وتحدث عنها الأستاذ مولاي عبد الله اسماعيلي في محاضرته "أولاد اسي حمو بلحاج والتواجد بتوات ص03.

الرابطـة بـين أرض تفيلالـت بـالمغرب ومدينـة تمبكتـو مـرورا بـأرض تـوات خـرج معهـم الشـريف مـولاي أمحمـد الحـاج، ابـن الشريف المرحـوم سيدي حمـو بلحـاج وكـان ذلك سنة 1063 هـ ولما وصل أرض تمبكتو التقاه أولا ابن تـوات المعروف بباحلي القادم هو الآخر من قصر زاويـة كنتـه أحد قصور تـوات وبعد التعارف بقيا مدة من الزمن معا هناك. ولما فرغ الشريف مولاي أمحمد من إجراءات نقل تركة والده على يد قضاة وحكام مدينـة تمبكتو هم بالرجوع إلى بلده تفيلالت، وفي أثنـاء العودة تزامن رجوعه إلى أرضه مع رجوع قافلة صديقه التواتي المعروف ببا حلي، وفي أثناء الطريق أو قبل ذلك عرض أبا حلي التواتي على الشريف مولاي أمحمد النزول عنده في بيتـه، والإقامـة معه في أرضه بقصر زاوية كنته. ويذكر الرواة هنا أن أبـا حلـي هذا كـان تاجرا كبيرا وأحد أقطاب قصر زاوية كنته.

ولمـا وصـلت القافلـة أرض الزاويـة الكنتيـة طـاب للشـريف المقام بأرضها مع ما لقيه من ترحيب واستقبال فقرر الإقامـة فيها وعدم تجاوزها إلى أي نقطة أخرى وما كان عليه إكمالا لمهمته الأساسية في الرحلة إلاّ أن بعث هو الآخر مع القافلة في طلب إخوتـه إلـى أرض زاويـة كنتـه بتـوات لأخذ نصيبهم مـن الميراث. وبعد مدة غير طويلة جاء إخوة الشريف مولاي أمحمد من أرض تفيلالت تباعا واستقروا كلهم بالزاويـة الكنتيـة حتـى الوفاة إلاّ واحدا منهم وهو الشريف مولاي الزين الذي رجع بعد مدة طويلة إلى المغرب وبها توفي وبذلك كانت أسرة الشريف سيدي حمو بلحاج أول أسرة شريفة تحل بإقليم تـوات الوسطى، وكان الشريف مولاي أمحمد أول شريف علوي يحل بالزاويـة. و يصاهر الشيخ سيدي أحمد الرقادي أحد أقطاب الزاويـة الكنتيـة ويتزوج ابنته خديجة.

مات الشريف سيدي (محمد) والمعروف بحمو بلحاج بأرض تمبكتو بعدما خلف لنا تسعة أبناء على الأرجح وكلهم عمروا في إقليم توات إلاّ أصغرهم الشريف سيدي محمد الصالح الذي توفي صغيرا. وهذا ترتيب أبنائه الثمانية الذين عمروا في توات مع أهم فروعهم على التوالي:

أولا: الشريف مولاي أمحمد الحاج[1]:

ولد سنة 1020 بأرض تفيلالت بالمغرب،وهو أول من قدم من الإخوة كما ذكرنا، حل بأرض الزاوية الكنتية في الفاتح من شهر شعبان سنة 1063 هـ، وعاش بها حتى أدركته الوفاة في صبيحة اليوم الخامس من شهر رمضان سنة 1101 هـ، وهو مدفون بأرض زاوية كنته وأولاده ينتشرون في كثير من قصور الإقليم نذكر من ذلك تمثيلا:

- **قصر زاوية كنته: عائلات سماعيلي، بن إسماعيل المهدي، بلمهدي، علاوي، صادقي،سيدي بابا، عباسي...**
- **قصر أغرمالال: عائلات حساني، ماموني، هوصاوي....**
- **قصر بوعلي: عائلات دريسي، الشريفي...**
- **قصر تيوريرين: عائلات كشناوي، ماموني، صمبيلي، شريفي ...**
- **قصر تبركان: عائلة سي حمو...**
- **قصر لحمر: عائلة أولاد مولاي عبد القادر ...**
- **قصر آدمر...**

---

1. المصدر نفسه.

ثانيا: الشريف مولاي عبد المالك[1]:

هو أكبر الإخوة على الأرجح ولد سنة 1027 هـ بأرض تفيلالت ودخل توات بطلب من أخيه في شهر ذي القعدة سنة 1064 هـ. استقر بالقرب من أخيه وسط الزاوية الكنتية، وبها توفي في شهر رجب سنة 1088 هـ. أولاده حاليا يتمركزون في قصور تاخفيف وأدغا، وبودة، وتسابيت، وفنوغيل ومن أهم الألقاب التي يحملونها حاليا (محرزي، ماموني،صديقي....)

ثالثا: الشريف مولاي عبد الكريم[2]:

ولد هو الآخر في تفيلالت سنة 1029 هـ ودخل أرض توات رفقة أخيه مولاي عبد المالك بطلب من أخيهما مولاي أمحمد في شهر ذي القعدة سنة 1064 هـ. ومن زاوية كنته انتقل إلى قصر تيطاوين وبها بنى قصبته المشهورة. ثم عاد في نهاية حياته إلى الزاوية الكنتية وبها توفي في مطلع شهر ذي الحجة سنة 1095 هـ من أبنائه: عائلات عكرمي بقصور المحفوظ المنصور سالي، ومولاي زيدان بقصر تطاوين وأولاد باكجا في قصر المستور.

رابعا: الشريف مولاي عبد القادر[3]:

---

1. أخبرنا عن ترجمته شفاهة حفيده الشريف مولاي أحمد بن مولاي علي، وينظر أيضا: محاضرة الأستاذ اسماعيلي أولاد اسي حمو بلحاج ص05 وما بعدها.
2. المصدر السابق.
3. المصدر نفسه.

ولد الشريف في شهر ذي القعدة سنة 1033هـ ودخل قصر زاوية كنته من أرض توات في شهر صفر سنة 1064هـ وافته المنية في شهر ذي الحجة سنة 1094هـ ودفن بزاوية كنته وأبناءه في قصر أظوى ويحملون لقب مولاي..

خامسا: الشريف مولاي الشيخ[1]:

ولد في تفيلالت بالمغرب في شهر ذي القعدة سنة 1035 هـ وحل في ضيافة أخيه مولاي أمحمد بالزاوية الكنته في شهر محرم سنة 1065 هـ .توفي في شهر صفر سنة 1098 هـ وهو مدفون بقصر الشيخ القديم وهو قصر بين قصري زاجلو وأدرور (قصر مهجور الآن) وأبناءه الآن في قصر حماد بتسابيت وكذلك عائلة بوشنتوف في قصر بربع وكذلك في قصر أولف وإينغر.

---

1. المصدر نفسه.

سادسا: الشريف مولاي عبد الله بوزقزاد[1]:

ولد في شهر رمضان سنة 1037 هـ ونزل بأرض توات في ضيافة أخيه في شهر محرم سنة 1065 هـ. ومنه انتقل إلى قصر بوزقزاد ببوعلي وهناك عمر حتى وافته المنية في شهر شوال سنة 1105 هـ من أولاده بزاوية كنته مولاي علي، وعبد اللاوي في بوعلي وتطاوين الشرفاء.

سابعا: الشريف مولاي الزين[2]:

ولد الشريف بتفيلالت في الفاتح من شهر ذي الحجة سنة 1031هـ،دخل أرض توات لكنه رجع إلى تفيلالت وبها توفي في شهر شعبان سنة 1100 هـ وأبنائه في رقان وفي كثير من قصور توات يعرفون بلقب الرقاني وكذلك من أبنائه عائلة الزويني في قصور ودغا وبنهمي...

---

1. المصدر السابق.

2. المصدر السابق، وينظر تقييد مخطوط في تاريخ العائلة الرقانية العلوية الشريفة. خزانة باعبد الله أدرار.

ثامنا: الشريف مولاي أحمد بن سيدي محمد[1]:

ولد في شهر رمضان سنة 1039 هـ ونزل بالزاوية الكنتية في شهر محرم سنة 1065 هـ. توفي سنة1108 هـ وهو جد شرفاء بريش.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا ونحن بصدد البحث عن أطراف هذا الموضوع في عدد من العواصم العربية والإسلامية تلقيت رسالة خطية من الشيخ سيدي محمد بن جعفر الموريتاني يخبرني فيها بوجود عائلات شريفة في موريتانيا ومالي تنتسب للشريف سيدي حمو بلحاج وبالضبط للشريف سيدي محمد بن مولاي الصالح بن مولاي الشريف بن سيدي حمو بلحاج وأرفق الرسالة بوثائق وأحباس مخطوطة وهذه مقدمة المخطوط "....حبس ووقف عقده الشريفان مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي الصالح بن مولاي الشريف بن سيدي حمو بلحاج وصنوه مولاي عبد الكريم ابن النسب لأولادهما وأولاد أخيهما سيدي حمو ابن النسب.. "[2] وحرر الحبس في أواسط ذي القعدة سنة 1196 هـ كما جاء في الورقة الثانية من المخطوط. وهذا نص الرسالة كما وردت إلينا من الشيخ سيدي محمد بن جعفر الموريتاني:

"... تحياتي لك ولأفراد عائلتك الشريفة الكريمة وتمنياتي لك بدوام الصحة والعافية.

في إحدى رسائلك طلبت مني ملخصا عن الوثائق التي بعثت لك وهي في الأساس عبارة عن أوقاف لأبناء سيدي محمد بن

---

1. المصدر السابق.

2. ينظر نص المخطوط في ملحق البحث.

مولاي صالح حفيد سيدي حمو بلحاج عن طريق ولده مولاي الشيخ حسب تواتيين والمعروف بمولاي الشريف حسب وثائق الولاتين وكانت لهذه الأسرة علاقات كبيرة جدا مع توات، وكانت قوافلهم التجارية مستمرة بين توات وولاتة وحتى بعد أن انتقلوا من ولاتة سنة 1223، 1808 وأسسوا مدينة النعمة عاصمة ولاية الحوض الشريقي الموريتانة الحالية ظلت قوافلهم واتصالاتهم مستمرة حسب العديد من الوثائق الموجدة لدينا. والوثيقة تتحدث عن بساتين وعقارات في مناطق مختلفة من توات.

تجدر الاشارة إلى أن الشريفين المذكورين في الوثيقة قد توفي الأكبر منهما وهو مولاي عبد الله الملقب شيخ العافية بمدينة ولاتة سنة1218 بينما انتقل أخوه مولاي عبد الكريم وأسس مدينة النعمة ومات بها.

ملاحظة أخرى:

جميع أحفاد سيدي حمو الموجودون في موريتانيا وجمهورية مالي لم يؤسس منهم مدينة خاصة به سوى أبناء مولاي الشيخ حيث أسسوا مدينة النعمة بموريتانا كما أسس مولاي أحمد بن جعفر بن المهدي بن مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي صالح بن مولاي الشيخ بن سيدي حمو سنة 1938 مدينة واد الشريف الذي أصبح بعد استقلال جمهورية مالي داخل أراضيها.

أطيب المنى. أخوك سيدي محمد بن جعفر".

* * * *

وتبعا لما جاء في مضمون الرسالة فإن من أبناء سيدي حمو بلحاج مولاي الشيخ المعروف بمولاي الشريف حسب وثائق الولاتين وهو الابن الخامس في ترتيب أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج كما أسلفنا. وإن كانت المصادر الشفهية التي حدثتنا عن العائلة بإقليم توات لم تشر إلى هذا الفرع بهذه الديار.

أبرز العلماء العاملين والأولياء الصالحين
في هذا الفرع الشريف بالإقليم التواتي

إن الحديث عن العلم و الولاية و الصلاح في النسب الشريف عموما هو حديث -كما هو معلوم -عن صفات أساسية ومميزات فعلية طبعت هذه السلالة وتميزت بها في عمومها عن غيرها من بقية الأنساب وقد أثبت لنا التاريخ التواتي خصوصا أن جل الشرفاء الوافدين إلى المنطقة كانوا أولياء صالحين وعلماء عاملين، وهو ما جعل سكان الإقليم يحتفون بهم وبأبنائهم في حياتهم وحتى بعد مماتهم وإلى الآن، حيث و أنت تجول في ربوع الإقليم أين يممت ببصرك داخل قصر ما فثمة قبة وروضة معلومة مشهورة تقودك حتما إلى تاريخ شريف ولي، ورجل صالح اتخذ السكان من يوم وفاته ميلادا متجددا وموعدا سنويا للاحتفاء والاحتفال بالرجل، حيث يُختم القرآن ويُطعم الطعام للوافدين والزوار إضافة إلى مجموعة من الأنشطة الفلكلورية المختلفة، ومن أشهر هؤلاء الأعلام العاملين والمؤثرين الذين كتبوا تاريخهم بحروف من ذهب في قلوب جميع التواتيين نذكر تمثيلا لاحصرا:

1. الشيخ سيدي مولاي علي (ق 12هـ)[1]بن سيدي مولاي الزين بن سيدي حمو بلحاج:

1. ينظر: بعض التقاييد عن العائلة الرقانية. خزانة قصر باعبد الله أدرار. ومحاضرة الأستاذ مولاي عبد الله سماعيلي: أولاد أسي حمو بلحاج والتواجد بتوات. ص07 وما بعدها. ومحاضرة الشيخ الحاج امحمد الكنتي عن الشيخ مولاي عبدالله.

عرف بالتقوى والصلاح. دخل إقليم توات أولا تاجرا وتزوج في قرية تاوريرت برقان جنوب الولاية أدرار. وأنجب ابنا سُمّي مولاي عبد الله وهو أحد أولياء جهة رقان وله زاوية مشهورة بها إلى الآن. كان الشيخ مولاي علي متضلعا في علوم اللغة العربية.

2. الشيخ سيدي مولاي عبد الله الرقاني(1148هـ)[1]:

هو ابن سيدي مولاي علي بن سيدي مولاي الزين (وهو الأخ الذي رجع إلى تفيلالت وترك بقية إخوته في زاوية كنته) ولد الشريف مولاي عبد الله سنة (1093هـ) بقرية تاوريرت بالقرب من قصر رقان التي انتسب إليها بعد رحيله إليها، ونشأ عند أخواله بقرية تاوريرت،ولما بلغ سن الثامن من عمره تكفل به ابن عمه

---

1. ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة. ص11. وكتاب سلسلة النواة ج، 01. ص21 وما بعدها.ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.

مولاي عبد الله بأمر من والده سيدي مولاي علي. أخذ عن ابن خاله الشيخ محمد المصطفى مبادئ الفقه الأولى وبعد وفاة الشيخ انتقل إلى مجلس ابن عمه الشيخ سيدي أحمد الصوفي. كما أنه أخذ في كبره عن الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان القندسي. كان الشيخ مولاي عبد الله واسع الإطلاع،عاش في الزاوية الكنتية فترة من الزمن ثم انتقل إلى جوار قبر الشيخ الإمام المغيلي بزاويته ومكث مدة من الزمن، ثم انتقل أخيرا إلى أرض رقان وهناك طاب له المقام فأسس مسجده وزاويته وبقي هناك إلى أن توفي سنة (1148هـ) ودفن عند الضحى. تقام له وإلى الآن مع ابنه مولاي عبد المالك زيارة سنوية هي الأكبر من حيث الحضور الجماهيري ومظاهر الإحتفال وتقام بها صلاة المغرب جماعة في حشد غفير لتتبع بعد ذلك بفاتحة ختم القرآن والزيارة تقام في اليوم الأول والثاني من شهر ماي من كل سنة.

3. الشيخ سيدي مولاي عبد المالك الرقاني(1207هـ)[1]:

هو ابن الشيخ سيدي مولاي عبد الله الرقاني بن سيدي مولاي علي بن سيدي مولاي الزين بن سيدي حمٌّ بن الحاج الحسني. أخذ عن والده،و كان يمتاز بحسن صوته في قراءة القرآن توفي يوم السبت الثاني عشر أوالرابع عشر من شوال عام (1207هـ).

4. الشيخ مولاي علي بن مولاي إسماعيل:

ولد الشيخ بتاريخ 1259 هـ الموافق لسنة 1843 م وتوفي سنة 1309 هـ الموافق لسنة 1891 م. درس المرحوم أولا في قصر زاوية كنته على يد الطالب حمو، أولا ثم الشيخ ولد سيدي بابا الأنصاري ثانيا. ولما تفقه في العلم تولى سلطة العرش في الإقليم التواتي بعد وفاة أخيه سنة 1300 هـ الموافق لسنة 1882 هـ (عرش أولاد السي حمو بلحاج من قصر أظوى إلى قصر مكيد). ولقد كان لأمر توليه سلطة العرش أثر بالغ الأهمية في رحلات الشيخ وتنقلاته داخل المنطقة وخارجها،وهو ما أهله لكثرة الإطلاع

1. ينظر: كتاب سلسلة النواة ج01 .ص34 وما بعدها ،و فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور .للبرتلي. ص201، ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.

وملاقـاة العلمـاء فـي تـوات والمغرب الأقصـى، وبعد سنوات مـن هذا التـاريخ أسس خزانتـه للمخطوطـات وجلـب إليهـا العديد من النسخ المخطوطة بعد رحلته إلى أرض المغرب. كما ساهم أيضـا فـي إثـراء خزانـة الشيخ سـيدي المختـار بـن المصـطفى الكنتـي بالقصر .عاصر الشيخ مولاي علي عدة علمـاء من المنطقـة من زاجلو وكوسام وتمنطيط وغيرها وكانت بينـهمـا مبـادلات علميـة، ومؤلفات شتى لكنها لم تصل إلينا في شيء يذكر. توفي الشيخ مولاي علي في قصر إقلي بولاية بشار بعد عودتـه من المغرب سنة 1309 هـ الموافق لسنة 1891 م.

5. الشيخ مولاي إسماعيل[1]:

ولد سنة 1279هـ الموافق لسنة 1862م، بقصر زاويـة كنته، وبهـا درس علـى يـد الشيـخ سيـدي المختـار الكنتـي الصغير بن المصطفى. وبعد فترة وجيزة أبدى الشريف مولاي إسماعيل تفوقه على بقيـة أقرانـه وهو ما أهلـه لتلقي إجازة التدريس من شيخه

1 ينظر ترجمته في: أولا السي حمو بلحاج الشرفاء المتواجدين في بعض قرى توات من خلال المخطوطات والمطبوعات .الشيخ محمد باي بلعالم .مجلة البصائر. العدد 356، والعدد357.السلسلة الرابعة. السنة السابعة .رمضان 1428هـ. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. الصديق حاج أحمد ص 122 .ط1. 2003 الجزائر.

الكنتي، الشيء الذي مكنه من فتح مدرسته الخاصة في المكان المسمى بالحويطة داخل قصر زاوية كنته. توفي بزاوية كنته سنة1360 هـ.

6. الشيخ مولاي اليزيد[1] بن مولاي مبارك:

ولد سنة 1326 هـ الموافق لسنة 1908 م بقصر زاوية كنته، وبها تلقى علومه الأولية على يد شيخه الطالب سالم سرقمة، ثم انتقل لدراسة الفقه على يد شيخه مولاي إسماعيل .بعد ذلك انتقل المرحوم إلى قصر تمنطيط وهو في مقتبل عمره، وهناك درس على يد سيدي أحمد ديدي لمدة ستة شهور ثم عاد إلى زاوية كنته ليكمل على يد شيخه مولاي إسماعيل مجددا.

7. الشريف مولاي سالم بن مولاي إسماعيل بن سيدي محمد(1984م):

مات عنه أبوه وهو صغير وكفله أخوه مولاي الشريف، درس القرآن أولا على يد الطالب سالم سرقمة في قصر زاوية كنته والفقه على يد مولاي إسماعيل بن سيدي جلول ثم انتقل

---

1. المرجع نفسه.

إلى تمنطيط وهو في مقتبل عمره. بعد رجوعه من تمنطيط فتح مدرسة قرآنية بعد وفاة الشيخ مولاي اليزيد سنة 1381 هـ.

ومن بين أسماء الأولياء الشرفاء من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج الذين يحتفل الإقليم التواتي سنويا بمناسبة وفاتهم نذكر(1):

♦ الشريف مولاي الزين في قصر ودغا في ذكرى المولد النبوي

♦ الشريف مولاي عمار البريشي في بريش في شهر ماي .

♦ الشريفة لالة عيشة الرقانية بقصر تبركان 18 محرم .

♦ الشريف مولاي الزويني بقصر ودغة خلال فصل الربيع.

♦ مولاي علي بن بوبكر في قصر الهبلة 07 ماي.

♦ مولاي أمحمد الرقاني في قصر تيمقطن.

♦ مولاي الحسان ولد الرقاني في قصر أولف 01 ماي.

♦ مولاي عبد الواحد البريشي في قصر غرميانو في شهر أبريل.

♦ مولاي التهامي ماموني في قصر تيوريرين في الرابع عشر من شهر جانفي من كل سنة.

والحديث يطول -كما قلنا -عن عد الجميع، وفي العموم لقد كان لهذه العائلة وغيرها دورها العلمي البارز والذي أسهمت من خلاله وببصمات من ذهب في تاريخ الحركة الثقافية داخل الإقليم فكان من هذه العائلة تحديدا القاضي، والمفتي، والمصلح،

---

1. ينظر: دليل ولاية أدرار .ص 20 وما بعدها. جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار سنة 2000 م.

والمدرس، والأديب وغير ذلك من الوجوه الثقافية البارزة، ووراء كل علم من هؤلاء الأعلام كانت -ولا تزال-تقف خزانة المخطوطات والكتب النادرة شاهدة على كل ذلك ونذكر من جملة ما تنام عليه العائلة الآن من الخزائن والمكتبات العامرة بمئات المخطوطات والكتب التي خلفها أعلام العائلة البلحاجية وغيرهم ما يلي:

1. **خزانة الشيخ مولاي علي بن مولاي إسماعيل: 1309هـ:**

غير أن وضع الخزانة في ضياع جل مخطوطاتها وتآكل ماتبقى يدمي القلب ويعجز اللسان عن التعبير لأن عمق الجرح فوق ما يحمل اللفظ ويقوى عليه إعصار أي مؤرخ.

2. **خزانة الشيخ مولاي إسماعيل بن مولاي المهدي: (1359هـ):**

والتي تعود لجده من أمه المسمى محمد أبو هريرة والذي كان يقطن حينها بقصر تزلزلين غرب قصر أولاد الحاج، ولما تـــوفي الجـــد

أبو هريرة ورث الشيخ مولاي إسماعيل خزانة جده بحكم اهتمامه بالموضوع وتضلعه في شتى العلوم. ثم شرع بعد ذلك في توسيع الخزانة بما عرف عنه من جودة خطه وكثرة نسخه للمخطوطات المختلفة.

وتذكر الروايات الشفهية هنا أنه وفي سنة 1955 م كان بالخزانة قرابة 600 مخطوط. لكنها مع مرور الأيام كانت تتلاشى تدريجيا بفعل ما تعرضت له أولا من حرق سنوات القحط المعرفي حيث جمعت جل بقايا هذه المخطوطات في فناء الدار الكبيرة وأبرمت فيها النار جهلا من طرف وكيل الشيخ مولاي إسماعيل على أملاكه كما أخبرنا بذلك ابن الشيخ مولاي إسماعيل الذي كان صغيرا وقتها كما قال .

وفي سنة 1958 ولما تولى الابن سيدي محمد أمور الخزانة بنفسه وجد بها كما قال مخطوطات تصل إلى 80 مخطوط مختلفة الأحجام والمواضيع، ويذكر منها من أنفسها مخطوطا حول تاريخ الجزائر من الحجم الكبير وأوراقه من النوع المتوسط. ونسخة مخطوطة للقرآن الكريم بألوان الأحمر والأخضر والأسود هي الغاية في الدقة والإتقان، لكن الزائر الآن لهذه الخزانة وسط القصبة بقصر زاوية كنته يجد أن جل هذه العناوين لم تعد إلابقايا قطع صغيرة تبكي حالها وسط تراكمات النسيان ولامبالاة الإنسان وبالقرب منها ينام بعض ما تبقى من هذا الإرث -على أقله-ويستيقظ على ركام بنيان، أوعضة حيوان أوإهمال إنسان.

3. خزانة الشيخ سيدي مولاي اليزيد: (1381هـ 1961م) والتي أسسها انطلاقا من خطة أساسية رباعية الأبعاد تعتمد على ما يلي:

أولا: نسخ أهم ما وقف عليه من المخطوطات بخزائن المنطقة المختلفة.

ثانيا: شراء معظم ما استطاع الوصول إليه من الكتب والمخطوطات النفيسة.

ثالثا: قسم الهدايا من الكتب والمخطوطات التي كانت تنسخ وتهدى له خصيصا.

رابعا: بعض جهوده الشخصية في التأليف:

وذكر لنا هنا ابن أخيه ووارث خزانته من بعده الشيخ سيدي محمد بن مولاي حمادي أنه في سنة 1958 لما تولى الإشراف على الخزانة المذكورة وجد بها تابوتين من الحجم الكبير وصندوق شاي حجم (20كيلوا) كلها مملوءة بالمخطوطات، بالإضافة إلى مخطوطات أخرى كانت موضوعة على الرفوف.

وإذا كان هذا هو وضع الخزانة الزاهر قبل ثمانية وأربعين سنة من هذا التاريخ فقط فإنها اليوم على العكس منه تماما بفعل ما تعرضت له أولا من أمطار غزيرة سنة 1372هـ وبفعل تفاعلات الزمن على مر السنوات التالية. لكنها مع هذا هي الآن في أفضل حال من نظيراتها السابقة فهي لا تزال والحمد لله تحتفظ لنا إلى الآن بما يزيد عن الأربعين مخطوطا وإن كانت في جلها مبتورة ومتداخلة، وهي حسب إطلاعنا الأولي في مواضيع مختلفة منها الفقه والتفسير والنحو وبعض النوازل وغير ذلك.

4. خزانة الشيخ مولاي سالم بن مولاي إسماعيل بن سيدي محمد(1984م):

ورث الخزانة عن أبيه مولاي إسماعيل أولا، وأضاف إليها عديد المخطوطات المختلفة، وبعد وفاته تولاها أخوه مولاي الناجم وأضاف لها هو الآخر ما استطاع الوصول إليه. والخزانة

في وضعها الحالي هي الأكثر حفظا وتنظيما من بين مثيلاتها من الخزائن الثلاثة المذكورة بها ما يزيد عن الخمسين (50) مخطوطا .في مواضيع الفقه،والتفسير والحديث،والنحو وغير ذلك .

هذا عن علماء ومخطوطات أولاد أسي حمو بلحاج داخا قصر زاوية كنته تحديدا أما خارج هذا القصر فإن الحديث قد يطـــــــــــــــــــــــــــــــــــول

مـع البريشـيين فـي مخطوطـاتهم المنتشـرة فـي أدغـال إفريقيـا خصوصا والتـي نـذكر منهـا: مخطوط رسـالة إلـى القاضـي أحمـد بابا، لمؤلفه: أحمد بن عبد الله بـن محمـد بـن الواحد البر يشـي التـواتي وهـو فـي 20صـفحة تقريبـا ومحفـوظ بمركـز أحمـد بابـا للدراسات بتمبكتو. وهي تحت رقم: 5611. وغيرها أما الحديث عن الرقانيين فهو أطول بالنظر إلى آثارهم المخطوطة مع الشيخ مولاي علي وابنـه الشيخ مولاي عبد الله[1] وإبنـه الشيـخ مـولاي عبد المالك[2] وغيرهم.

---

1. مخطوط الـدرة الفـاخرة. ص11. وكتـاب سلسـلة النـواة ج01..ص21 ومـا بعـدها. ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.
2. ينظر: كتاب سلسلة النواة ج01. ص34 وما بعدها ،و فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور .للبرتلي. ص201، ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.

نماذج من أدب العائلة البلحاجية الشريفة

لعل أفضل نموذج نستشهد به هنا هو هذه الرسالة التي بعث بها الشريف الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج وهو بأرض تفلا لت بالمغرب في أواسط جمادي الثانية عام1095 هـ ردا على رسالة وصلته من ابن عمه الشريف مولاي علي بن مولاي أمحمد (ق12هـ) بقصر زاوية كنته، والتي أخبره بموجبها بولادة ابنه مولاي عبد الله، حيث قال الشيخ مولاي علي في مستهل رده[1]:

"الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، الذي ميز نفسه بالواحدية والأحدية، وعباده بالبنين والذرية. والصلاة والسلام على أشرف مبعوث في البرية، ولأكرم هاد في الأولية والأخرية، وعلى آله وصحابته أهل الميعاد في الرتبة العلية. وبعد فهذه من عبيد الله علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج إلى صاحب السيادة والصفات المرضية ابن السلالة النبوية التي منّ الله عليها وجعلها من طينة الشرف والحسب،وغرس دوحتها الطيبة بمعدن الجود والمجد والعلم الزكي، والنسب بحر العلوم الذاخر الذي تمشي تحت أمره وبإشارته العلماء الأعلام الأكابر، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة الكلام من ناظم وناثر وقد أعجز الأقلام والنقاد كلما خط أوكتب...".

وبعد هذه المقدمة التي نوه فيها الكاتب بحسب ونسب مراسله الشريف ابن السلالة النبوية، شرع في تعداد خصاله

---

1. ينظر: مخطوط حول حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني (1207هـ) للشيخ محمد بن المصطفى بن أعمر الرقادي(ق13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار.

وفضائله التي تربى هو نفسه في ظلها، وقضى معه في هذه الديار التواتية معظم فترات حياته مراهقة شبابا وكهولة، وهو ما أوجب هذا الرد السريع منه كما قال:

"... أخي لقد عاشرتكم في مجالس العلم، وبلوت أحوالكم، وعلومكم وأسراركم، وقضيت معكم مراهقتي وشبابي وكهولتي، وعلمت من علمكم وحلمكم وصبركم وأنتكم، ومودتكم ما جعلكم بين عيني دواما، وقد جعلتكم محل سري ومحبتي، وكتبت إليكم ردا على رسالتكم رد المحب الشاكر والمنقطع الصابر عن رد راسخ العماد ثابت الأوتاد مزهو الأغوار والأنجاد. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. أخي لازلت أذكركم من حين لآخر وأذكر ما أنتم فيه من المحاسن والمآثر، هذا ولا جديد إلاّ الشوق الذي يحن إلى لقياكم كاتبه، ويرتاح ويحوم على موارد الأنس بذكركم، حوم ذات الجناح على الماء العذب القراح. جمع الله الأرواح على بساط السرور وأسرة الهنا..."[1]

ومن الحديث عن بعض صفات الممدوح ينتقل الشيخ مولاي علي بمخاطبه للحديث عن رسالته البليغة التي رجعت به إلى سالف عهد أيام الدراسة بين الرجلين وما تلقياه معا من علوم على يد معادن الفصاحة والبلاغة من مشايخ بني الرقاد في مقر الزاوية الكنتية وسط الإقليم التواتي كما قال:

"سيدي لقد ورد علينا مكتوبكم الذي راقت من سواد النقش سطوره، واستنارت بين السطور طروسه، وأرانا من خط أناملكم معجزاته. فبهرت آياته، وأطربتنا بتغريد الطيور همزاته فعوزنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته. ولقد ذكرتنا رسالتكم بما كنا نتلقاه في أيام الدراسة.

---

1. ينظر مخطوط الرسالة.

مجالس السادات النقاد معادن الفصاحة والبلاغة في المعتاد، المتقدمين من مشائخ بني الرقاد وما جبلوا عليه وظهر عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية، والتعابير البلاغية مع الأحوال السنية. فلا وربك ما هي إلاّ نفحة من نفحاتهم ورمية من كنانتهم، وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يساقط علينا رطبا جنيا... فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيى من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى. أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفته ونواميس رحمته"[1].

وبعد أن أخبره بفرحه بزيادة مولوده الجديد مولاي عبد الله ووصيته لأمه بعد مغادرته أرض تاوريرت[2]، حمّله بعد ذلك أمر أخذ المولود من عند أخواله هناك بأرض تاوريرت والتكفل بتربيته وتعليمه، وهذا بسبب ما كانت عليه الأوضاع في تلك البقعة آنذاك، وما ساد فيها من الغفلة عن العلم والدين -كما قال -وفي ختام الرسالة بلغه سلامه إلى بعض أحبابه، وأبناء عمومته في هذه البقاع. وقد أرخها الكاتب في أواسط جمادي الثانية عام (1095هـ) أي بعد عامين من ولادة ابنه مولاي عبدالله (1093هـ). وقد ذكر الشيخ محمد بن المصطفى بن

1. ينظر: مخطوط الرسالة.

2. من قصور رقان جنوب الولاية أدرار بنحو 145 كلم تقريبا. وهي بلد أم المولود مولاي عبد الله وبجوارها مدفون الشيخ مولاي عبد الله الرقاني وابنه مولاي عبد المالك بالمكان الذي تأسست فيه الزاوية الرقانية المعروفة إلى الآن.

عمر الرقادي[1] أنه عثر بنفسه على الوثيقة التي وَكّل بموجبها الشيخ مولاي علي بن الزين ابن عمه الشيخ مولاي علي بن مولاي أمحمد بتربية ابنه مولاي عبد الله وتعليمه، وهي بخط أحمد الإمام بن محمد عبد الله الجعفري البوحامدي، وبتاريخ أواخر شوال عام(1108هـ) كما جاء في المخطوط.

1. من أعلام المنطقة البارزين وأحد المهتمين بالبحث في علم الأنساب ،له مدرسة قرآنية مشهورة وسط زاوية كنته ، و هو المشرف حاليا على الزاوية الكنتية وخزانتها للمخطوطات له عدة أبحاث وكتب مطبوعة .

الشرفاء أولاد سي حمو بلحاج أوضاعهم الاجتماعية
وعلاقتهم بسكان الإقليم ماضيا وحاضرا

تحتل عائلة الشريف سيدي حمو بلحاج مكانا مرموقا وسط العائلات التواتية. وذلك لأهمية ومكانة الشرفاء عامة في قلوب التواتيين من جهة وللدور الحضاري والاجتماعي الذي أدته وتؤديه هذه العائلة إلى اليوم، ومن أبرز مظاهر التقدير والاحترام الذي تكنه العائلات التواتية على اختلاف مشاربها لهذا النسب الشريف من أبناء سيدي حمو بلحاج كبقية الأنساب الشريفة بالإقليم نذكر تمثيلا لاحصرا:

1. التقدم في الدعاء في الفاتحة والسلكة وشتى مظاهر الأدعية تبركا وتيمنا بمكانة الشرفاء وهي خاصية معممة على كل النسب الشريف في المنطقة سواء أكان من أبناء الإقليم أو من الضيوف الوافدين إليه. فالفاتحة والدعاء لا يكون إلاّ للشريف.

2. دعوتهم وحضورهم القوي في شتى المناسبات المقامة عند الأسر التواتية أفراحا وأقراحا، إذ أنه لا يتقدمهم في ذلك أيا كان.

3. الاحتفال بمناسبات وفاتهم وميلادهم وإقامة الشعائر الدينية والفلكلورية المختلفة في زيارات سنوية معلومة ومشهورة في كافة أقاليم القطر.

هذا عن النسب الشريف عامة أما ما تختص به العائلة البلحاجية دون سواها في قصور الإقليم التواتي، فإننا نذكر تمثيلا لا حصرا:

1. أن إقليم زاوية كنته أجمع بقصوره المتكونـة من قصور: (مكيد، توريرين، أدرور، شباني، زاقـلو، أولاد الحـاج، بوحامـد، البيض، تبركان، زاوية كنتـه، مناصير، تـاخفيف، تازولـت، أدمـر زاويـة الشيـخ، بـوعلي، أغرم أمـلال، أزوى) كلهـا أخـذت وإلـى الآن اسـم عـرش سـيدي حمـو بلحـاج تكريمـا وتقـديرا للسـلالة الشريفة ولـدورها التـاريخي والإجتمـاعي فـي هـذه القصـور مـن جهـة ولأهميـة شـخص الشريف ومكانتـه الإجتماعيـة عنـد سكان الإقليم عامة والعرش خاصة.

2. الإشراف على تنصيب خليفة زاوية سيدي علي بن حنيني في زاجلو أحد قصور عرش سيدي حمو بلحـاج، إذ أنـه وبمجرد وفاة شيخ الزاوية فـي قصـر زاجلـو يغلـق مخـزن الزاويـة ويسلم المفتاح إلـى كبيـر الأشـراف مـن أبنـاء سيـدي حمـو بلحـاج تأمينـا وتجنبـــــــــــــــــــــــــــــــــا

لأي طارئ، وفي أقرب فرصة يتولى كبير الأشراف المقصود شراء قطعة شاش ويتوجه بها إلى مقر الزاوية ليعمّم (من العمامة التي توضع فوق الرأس) بها الخليفة الجديد ويسلم له المفاتيح. وفي المقابل فإنه وبمناسبة زيارة مؤسس الزاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني يقوم القيّمون على الزاوية بتقديم ربع كبش من اللحم لكبير الشرفاء من أبناء سيدي حمو بلحاج ضيافة له.

3. علاقة العائلة مع أهل قصر عريان الرأس شمال الولاية أدرار حاليا. وتعود القصة كما يقول الرواة(1) إلى عهد الشريف سيدي حمو بلحاج جد العائلة والمدفون كما قلنا بأرض تمبكتو .حيث إنه وفي طريقه إلى تمبكتو في رحلة تجارته السابقة بركت ناقته من التعب في قصر عريان الرأس فنزل يستريح ويريح، فجاءه الشيخ سيدي محمد المعروف بعريان الرأس وقال للشريف إن بروك الناقة في هذا الإقليم إشارة ربانية وفأل خير إن شاء الله إلى أنك ستعمر في هذه الأرض أرض توات، ثم دعا له بعد ذلك وافترقا. وفعلا وبعد سفر الشيخ إلى تمبكتو وموته هناك جاء أبناءه كما رأينا وعمروا بهذا الإقليم. ومنذ ذلك العهد أصبحت هناك علاقة

---

1. روى لنا القصة كاملة الشيخ مولاي أحمد بن مولاي علي أحد المهتمين بتاريخ العائلة. وينظر أيضا محاضرة الأستاذ اسماعيلي أولاد اسي حمو بلحاج والتواجد بتوات. ص4.

مودة بين أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج، وبين أبنـاء الشيخ سيدي محمد عريان الرأس، وأصبح بموجب هذا العهد وفي كل سنة يدفع الشرفاء من أبنـاء سيدي حمو يلحـاج أوقيـة عن كل ابن يولد في هذه العائلـة بقصر عريـان الـرأس، وفـي المقابل يدفع أبناء الشيخ سيدي محمد عريـان الـرأس لبسة كاملـة لكل شريف يولد.

4. ومـن العلاقــات الاجتماعيــة عنـد هـذا النسـب الشـريف مايجمعهم بأخوالهم بزاوية كنته من أبناء الشيخ الرقاد حيث إن أبناء الرقاد يقومون في كل عيد فطر بزيارة جماعية إلى مساكن أخوالهم. وفي المقابل يقوم أبناء الرقاد برد الزيارة جماعيا في عيد الأضحى من السنة نفسها، وهذا كلـه من الشرفاء توطيدا لعلاقات الرحم و حسن الجوار مع غيرهم.

وكما كان لعائلة الشريف سيدي حمو بلحـاج حضور تـاريخي واجتماعي قوي كان لها حضورها السياسي المميز خصوصا في عصرنا الحالي حيث تقلد عدة أفراد من أبناء هذه العائلة مناصب سياسية مرموقة في هرم السلطة الجزائرية.

الخاتمة:

هذا ما مكننا الوقت من الوصول إليه في تاريخ العائلات الشريفة بالإقليم التواتي عامة والعائلات البلحاجية خاصة ويبقى أن نقول أخيرا أن هذه العائلات الشريفة كانت ولا تزال داخل الإقليم التواتي -كما في غيره من ببقاع المعمورة -رمز المحبة الصادقة، والبركة الظاهرة، واليد الخيرية الفاعلة، نجداء، رحماء، هادين، مؤمنين وسفينة نوح جامعين من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، لأنها حبل النبي ونسبه الذي لا ينقطع إلى يوم القيامة، كما وصفهم بذلك جدهم خير البرية. ويكفيهم شرفا قبل كل هذا وذاك أنهم آل بيت النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم منقذ البشرية وسيد الكونين والثاقلين والفريقين من عرب ومن عجم. فاللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد. واللهم بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد آمين يا رب العالمين.

المراجــع والمصـــادر

- **المخطوطة:**

1. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي (المنيعة).
2. تقييد مخطوط حول نسب الإداوعليين. خزانة قصر اعباني أدرار.
3. تقييد مخطوط(01)حول نسب الشيخ مولاي سليمان بن علي عند أحفاده بقصر أدغا أدرار الجزائر.
4. تقييد مخطوط(02)حول نسب الشيخ مولاي سليمان بن علي عند أحفاده بقصر أولاد علي أدرار الجزائر.
5. تقييد مخطوط حول نسب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي .خزانة الحاج عبد القادر المغيلي أدرار.
6. تقييد مخطوط حول نسب الشيخ سيدي عبد الله العصموني .خزانة قصر باعبد الله أدرار.
7. حبس ووقف للشريفين مولاي عبد الله وصنوه مولاي عبد الكريم أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج. المكتبة الخاصة.
8. حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني (1207هـ) للشيخ محمد

بن المصطفى بن اعمر الرقادي (ق 13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار.

9. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
10. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
11. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر إلى الحج سنة (1188هـ). خزانة قصر باعبد الله أدرار.
12. رحلة الشيخ سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي لطلب العلم سنة (1117هـ). خزانة قصر باعبد الله أدرار.
13. رحلة العائلة الرقانية. خزانة باعبد الله أدرار.
14. منظومة ابن أب في سلسلة شيوخ مولاي عبد المالك الرقاني. خزانة باعبد الله أدرار .
15. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
16. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد الجعفري. خزانة قصر بودة. ولاية أدرار.

- **المطبوعـة**

1. **الاستقصـاء لأخبـار دول المغـرب الأقصـى .أحمـد بـن خالـد الناصـري. تحقيـق جعفـر الناصـري ومحمـد الناصـري. دار الكتاب. الدار البيضاء 1418هـ، 1997م.**
2. **أصـول أقـدم اللغـات فـي أسـماء أمـاكن الجزائـر .بوسـماحة أحمد.دار هومة 2002. الجزائر.**
3. **التاريخ الثقافي لإقليم توات الصديق حاج أحمد ص 122. ط1. 2003 الجزائر.**
4. **تاريخ الجزائر الثقافي لأبـي القاسم سعد الله. ط1، 1998م دار الغرب الإسلامي.بيروت لبنان**
5. **تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. طبعة هوداس 1964م.**
6. **تاريخ الفتاش في أخبـار البلدان والجيوش: محمـود كعت بـن الحاج. طبعة هوداس 1964م.**
7. **تحفـة النظـار فـي غرائـب الأمصـار وعجائـب الأسـفار، ابـن بطوطة، دار صادر بيروت لبنان.**
8. **التسلسل الزمني لأحداث توات، برنارد سافرو،(مترجم) مركز البحث العلمي غردايــة، الجزائر.**

9. توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي 1850 إلى 1902، ذ: أحمد العماري، ط1، 1988م.
10. الدرر البهية والجواهر النبوية تأليف الشريف العلامة مولاي إدريس الفضيلي. مطبعة فضالة. المحمدية المغرب.
11. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات ج1 و2. الشيخ مولاي التهامي. ط1. مارس 2005. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. الجزائر.
12. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.
13. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: تأليف أبي عبد الله الطالب محمد. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1981م.
14. ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي، ط2، 1397هـ،1977م، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.
15. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، ط4، المطبعة الأميرية القاهرة 1921م، مصر.

16. معجم مشاهير المغاربة .أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر .1995

17. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، المغرب 1976م.

- **المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Quatre Siècles D’histoire Marocaine.A.G.P Martin .pM112. .Paris Librairie Félix Alcane.1923

- **الأبحاث والمحاضرات**

1. أولاد السي حمو بلحاج الشرفاء المتواجدين في بعض قرى توات من خلال المخطوطات والمطبوعات .الشيخ محمد باي بلعالم .مجلة البصائر .العدد 356. ص 09 والعدد 357 ص 17. السلسلة الرابعة. السنة السابعة. رمضان 1428هـ.

2. أولاد اسي حمو بلحاج والتواجد بتوات .الأستاذ مولاي عبد الله سماعيلي محاضرة ألقيت في الملتقى الرابع لتاريخ بلدية زاوية كنته حول أولاد اسي حمو بلحاج تاريخ وحضارة. زاوية كنته .جوان 2001م.

3. التعريف بمنطقة توات، الشيخ محمد باي بلعالم، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار.

4. دليل ولاية أدرار جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار سنة 2000 م.

5. محاضرة حول الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. الشيخ الحاج امحمد الكنتي.

6. المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتدكلت، محاضرة لمبروك مقدم (أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري

والدراسات التاريخية أدرار 1994م، ص75، وزارة الثقافة الجزائر).

- **المقابلات الشفهية والتسجيلات الصوتية:**

1. مقابلات وتسجيلات صوتية مع الشيخ الحاج أمحمد الكنتي شيخ المدرسة الدينية بقصر زاوية كنته، والمشرف حاليا على الزاوية الكنتية وخزانتها للمخطوطات. (أجريت المقابلات معه في مقر مدرسته بزاوية كنته سنوات: 1998،1999،2000، 2001).
2. مقابلات وتسجيلات صوتية مع المرحوم الشيخ وليد بن الوليد (توفي سنة 2004). وأحد من المهتمين بمجال البحث في التاريخ والمخطوطات. والمشرف على خزانة باعبد الله للمخطوطات. (أجريت المقابلات معه في بيته بقصر باعبد الله سنوات: 1996،1997،1998،1999)
3. مقابلة شفهية مع الشيخ سيدي محمد بن مولاي الشيخ بن مولاي عبد الرحمن (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر 1427 هـ الموافق ل: 26 مارس 2006م وأخرى بتاريخ 11 شوال 1428 هـ الموافق ل: 23،10،2007م.
4. مقابلة شفهية مع الشيخ مولاي أحمد بن مولاي علي بن مولاي أمحمد الحاج (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ 11 شوال 1428 هـ الموافق ل: 23،10،2007 م.
5. مقابلة شفهية مع الأستاذ مولاي عبد الله بن مولاي الطيب بن مولاي امحمد بن مولاي اسماعيل (من أبناء الشريف سيدي

حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر 1427هـ الموافق ل: 26 مارس 2006م وأخرى بتاريخ 2311 شوال 1428هـ الموافق ل: 23، 10،2007م.

6. مقابلة شفهية مع الشريف مولاي إدريس بن مولاي الطيب بن مولاي امحمد بن مولاي اسماعيل (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر 1427هـ الموافق ل: 26 مارس 2006م وأخرى بتاريخ 2311 شوال 1428هـ الموافق ل: 23،10،2007م.

7. مقابلة شفهية مع الشريف سيدي محمد بن سيدي حمادي (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر 1427هـ الموافق ل: 26 مارس 2006م

8. مقابلة شفهية مع الشريف سيدي محمد بن مولاي سماعيل بن مولاي المهدي. (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج).أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر 1427هـ الموافق ل: 26 مارس 2006م .

9. مقابلة شفهية مع الشريف الشيخ سيدي محمد بن مولاي حمادي ابن أخ مولاي اليزيد والمشرف على خزانته حاليا. (من أبناء الشريف سيدي حمو بلحاج). أجريت المقابلة معه في بيته بقصر زاوية كنته بتاريخ الأحد 26 صفر1427هـ الموافق ل26 مارس 2006م.

البحـــث الثالث

الكنتـــيون بإقلـــيم تـــوات

ـ أعـلام وآثـارـ [1]

1. ألقي البحث في الملتقى الدولي: "بسكرة عبر التاريخ" والذي حمل عنوان " القائد عقبة بن نافع " الملتقى نظمته الجمعية الخلدونية بولاية بسكرة الجزائر. أيام 11، 12، 13، ديسمبر 2006.

يسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد:

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أقف اليوم لنتجاذب معا أطراف حديث كان وإلى وقت قريب جدا رهن السمع والمشافهة في كثير من الأحيان والتقييد والخزن في قليل من الأحيان، فتحية إكبار لكل القائمين على هذا المنبر الذي جاءنا -كيد من خلال الموج مدت لغريق-ليضفي مسحة أخرى، أو لبنة أساسية إلى صرح التاريخ العام في هذه المنطقة خاصة، والوطن عامة. فجزى الله الجميع عن الجميع كل خير، وتمنياتنا بالتوفيق والنجاح.

بعد هذا أيها الإخوة الكرام إن موضوعي في هذا الحديث كما هو معنون لها أردته عن واحدة من العائلات العريقة التي استوطنت المنطقة التواتية قديما، وكان لها الباع الطويل والتاريخ الأطول على مر العصور التواتية .هذه العائلة التي ارتبط نسبها الأول بالقائد الفاتح عقبة بن نافع -رضي الله عنه - واستمدت كنيتها الشهيرة من جدها الأكبر سيدي محمد الكنتي بن الشيخ سيدي علي، فصارت القبيلة أو السلالة القبلية على- المفهوم الأصح-تعرف بآل كنته، وامتدت جذورها " ابتداءمن تـــــــــــــــــوات حتـــــــــــــــــــى آدرار

بموريتانيا، وتقانت والعصابة، والحوض، وأزواد،وعققة نهر النيجر، وتيمترين، وأدرار إيفوغاسن، وحاليا حتى ضفة الهوسا الشرقية من نهر النيجر"[1]. وهي بهذا تكون قد توزعت على كل أقطار إفريقيا الغربية خصوصا: الجزائر موريتانيا، مالي، النيجر، جنوب المغرب، وحتى السنغال.

وعن سبب الكنية أولقب الشهرة الذي تحمله العائلة اليوم والمعروف بـ (كنته) ونسبه للعقبين فإنه يرجع -على الأرجح - إلى الجد الشيخ سيدي محمد كما يقول المؤرخون[2]. ذلك أن والد الشيخ سيدي محمد هذا، ويدعى الشيخ سيدي علي بن يحي تزوج بنت زعيم عشيرة أبدوكال ويدعى محمد بن العالم بن كنته، فأنجبت له الشيخ محمد هذا، ولقب بالكنتي نسبة لجده من أمه. وحمل هذا اللقب أولاده من بعده وكان منهم هذا الفرع المتواجد في الإقليم التواتي حاليا والذي هو مجال حديثنا تحديدا. كما أنه ورد في محاضرة عن القادرية الكنتية في منطقة حوض

1. كنته الشرقيون. ص9. بول مارتي. عربه محمد محمود. مطبعة زيد بن ثابت دمشق. سوريا. ط1 .1423هـ.

2. ينظر: كتاب فتح الودود شرح المقصور والممدود .ص9. للشيخ سيدي المختار الكنتي. تحقيق مأمون محمد.

النيجر وما جاورها من إعداد اللجنة المؤسسة لمركز الشيخ سيدي المختار الكبير بغاو جمهورية مالي أن قبيلة كنته تعتبر "من أهم المجموعات العربية التي اندفعت إلى منطقة حوض النيجر وبلاد السودان الغربي... وهم قوم من بني فهر شاركوا في الفتوحات الإسلامية الأولى لشمال إفريقيا ويعرفون في المناطق التي أقاموا فيها أول أمرهم (القيروان، بسكرة، توات وغيرها) يعرفون بالعقبيين نسبة إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري(63هـ)"[1]

والمؤكد هنا أن حضور العائلة العقبية الكبرى في المنطقة هو في امتداده التاريخي أكبر وأشمل من هذا بقرون. ذلك أن تاريخ هذه العائلة في نسبتها للفاتح عقبة بن نافع أولا وفي تواجدها بالإقليم ثانيا يعود إلى القرن الثالث الهجري كما يقول الرواة. بل إن هناك من ذهب أبعدَ من هذا وذاك حين ربط بين الفتح العقبي للمنطقة وبين تسمية المنطقة التواتية ذاتها. "ذلك أن السبب في تسمية هذا الإقليم بـ(توات)على ما يُحكى أنه لما استفتح الصحابي الجليل عقبة بن نافع بلاد المغرب، ووصل ساحله،

---

1. لدينا صورة من المحاضرة وهي مختومة بختم المركز المذكور. وهي بتاريخ **1419**هـ، **1999**م.

ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة[1]، وصل خيلُه توات، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزله أو يجلّيه بها، فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف"[2]. وهو رأي انفرد به العالم محمد بن عومر (ت.ق13هـ) .في حين راح البعض[3] ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وغيره .وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة (توات) نفسها هل هو من الفعل واتى يواتى، أو هو اسم للمغارم،

1. واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعتبر سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة **140** هـ **757** م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. ص **62**).
2. مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري. ص**04**. مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة أدرار .
3. ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية " لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله، وتوطن هناك فسمي الموضع باسم تلك العلة." تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، ص**07**، مطبعة بردين... باريس، **1964**م. أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة. ينظر ص **12**.

أي الأتوات، أوهو غير هذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي يحمل دلالات خاصة تبعاً للغته الأم، البربرية أو التكرورية[1] أوالتارقية[2] أوالعربية.

وبغض النظر عن صحة هذه الرواية من عدمها، فإن الراجح هنا أن الارتباط الفعلي لأبناء العائلة بالمنطقة التواتية يعود إلى الجد الأول للعائلة الشيخ سيدي عثمان بن يهس -كما ذكرت-أول الوافدين إلى المنطقة التواتية من هذه العائلة على ما يروى، "فقد وصل عثمان إلى توات وأقام في واحة عزي ودعا فيها بدعوته وفيها مات وفيها دفن وقد كانت توات في كل العهود ملاذ المغلوبين وملجأ المساكين، وقد قصدها عثمان للبحث فيها عن الطمأنينة والسكينة التي توفرها الحياة الصحراوية[3]. وكان نزوله أول الأمر بقصر عزي على بعد خمسة وعشرين كلم (25 كم) جنوب الولاية أدرار حاليا والتابع إداريا لبلدية ودائرة فنوغيل، وبه استقر وخلف ابنه الشيخ سيدي يحي صاحب القصة المشهورة مع أهل قصر عزي أو السبعين شخصا الوافدين إلى عزي وحكاية اعتدائهم

1.التكرورية لغة أهل تمبكتو بأرض مالي.

2. التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء .

3. كنته الشرقيون .بول مارتي بتصرف ص 19.

على الشيخ سيدي يحي وتوبتهم على يديه بعدما ظهر لهم من أمره.ثم مبايعتهم أمام النخلة المشهورة وبذلك شكلوا ما يعرف تاريخيا بمجموعة السبعين صالحا المدفونين بقصر عزي والذي استمد اسمه كما يقال من كلمة (الغزي) التي أطلقت على أولئك الغزاة قبل أن تتحول إلى عزي بعد توبتهم. ويروى هنا أيضا أن الشيخ سيدي المختار الكنتي أرّخ لهذه القصة فيما يروى عنه نقلا عن مخطوطه الغلاوية حين قال:

ويحـــي الــــذي أحـيـــا الإله بنبلـــــــه
من القـــوم سبعين سقاهم بطالع
لدى النخلـــة المعروفة وتلك كرامـــــة
تحـــدى بـــــها أهل العقول البوارع
أولـئــــك أهـــــل العــــز بتلك قد غـــدا
لهم عَلَـــم أهل عزي في كل تابع
وفـــــرقهـم في الأرض لنشــــر علمــــه
وواعــــدهــــم بالدفن معه بجامع
لدى النخلة المعروفة في حي عزهــــم
بإقليـــم واحـــات تـوات الفــــوارع
فكان كما قد قـال في آخر عمــره
تــــراهم جميعـــا بين آت وراجـع

وبعد وفاة الشيخ سيدي يحي خلفه ابنـه الشيخ سيدي علـي. والثلاثـة (سيدي عثمـان، سيدي يحـي، وسيدي علـي) مـدفونون إلـى الآن بـالمقبرة المعلومـة فـي قصـر عزي والشـهيرة بمقبـرة السبعين صالح.

والشـيخ سـيدي عثمــــان هـــذا -جــــد العائلــة الأكبــر فــي الـمنطقة -في نسبه يتصل بالفاتح عقبة بن نافع كما يذكر الشيخ سيدي محمد بـن المختـار الكنتـي، حيث يقـول عن نسـب والـده

المختار بن أحمد (1241هـ) في مخطوطه الطرائف والتلائد من كرامات الوالدة والوالد: "هو المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيدي عمر بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي بن سيدي علي بن يحي بن عثمان (الجد الأول في المنطقة) ابن يهس، بن دومان، بن وريد، بن العاقب، بن عقبة المستجاب،بن نافع فاتح إقليم أفريقية والمغرب الأقصى وبلاد التكرور"[1]. ويهس هو لقب للابن عبد الله ودومان هو لقب للابن عمر ووريد هو لقب للابن شاكر. وعليه فنسب سيدي عثمان كما يورده صاحب كتاب كنته الشرقيون[2]

1. مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد .الشيخ سيدي محمد بن سيدي المختار .ص 101. خزانة زاوية كنته أدرار .

2. بول مارتي .ص193.

هو سيدي عثمان بن سيدي عبد الله، بن سيدي عمر، بن سيدي وريد، بن(سيدي يعقوب) وهذا لا يوجد في بعض الروايات بن العاقب، بن عقبة بن نافع الفهري (ض) و بعد الشيخ سيدي عثمان تعاقب على المنطقة التواتية عدد كبير من أبناء وأحفاد العائلة العقبية على مر التاريخ، وكان منهم الاستقرار والتمركز تارة، والعبور والتنقل بين أراضي توات، ومالي والنيجر، وموريتانيا وغيرها تارة أخرى، ومع الحضورين معا كان لنا تاريخ حافل لأعلام العائلة العقبية بمنطقة توات خصوصا، ومعه كانت الزوايا والمدارس القرآنية بالإضافة إلى العديد من الخزائن وآلاف المخطوطات.

وانطلاقا من كل هذا وذاك -سنحاول في هذه المداخلة كشف النقاب عن جزء هام من تاريخ العائلة العقبية بأرض توات وسط تراكمات غبار النسيان، وقهر الإنسان، وإهمال الخزان (مالك خزانة المخطوطات). وفي كل هذا أيضا سيكون التركيز على شخصية الشيخ سيدي أحمد في زاويته المشهورة بالمنطقة والتي أسسها على الأرجح سنة 999هـ،ثم على ابنه الشيخ سيدي علي التواتي مولدا ودارا و الخليفة على الزاوية بعد وفاة أبيه. وهما في هذا نموذج تمثيلي لا حصري عن نشاط أعلام الكنتية بالمنطقة استجابة لسيف الوقت.

أيها الإخوة الكرام إن التواجد العقبي بمنطقة توات تتقاسمه تاريخا محطات تاريخية أربع وهي:

-قصر عزي بدائرة فنوغيل حاليا وهو الموطن الأول للعائلة بالإقليم منذ القرن الثالث الهجري.

-قصر زاوية كنته (جنوب الولاية أدرار بنحو سبعين كلم) والتي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمد بن مجمد.

-قصر أقبلي (جنوب الولاية أدرار بما يزيد 250 كلم. والتي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي محمد بونعامة بن عبد الرحمن .

-قصر الجديد جنوب الولاية أدرار بنحو خمسين كلم تقريبا. وهي موطن أبناء الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد بن عومر.

ومع هذا التواجد كان للعقبين عامة والكنتيين منهم خاصة دور أساسي في مسار الحركة الفكرية والعلمية بالمنطقة، بما أبدعوا فيه ورسموه تراثا مخطوطا للأجيال .هذا دون أن ننسى موقف العائلة-ممثلة في بعض علمائها وأعيانها-من المستدمر الفرنسي إبان احتلال الجزائر. ولا أدل على ذلك من شهادة الفرنسيين أنفسهم في الأمر، فهاهو الباحث الفرنسي بول مارتي يتحدث عن دور العائلة الكنتية في مواجهة الإستدمار الفرنسي في بلاد الجزائر وما جاورها من البلدان الإفريقية ويقول: "وقد كانـــــــــــــــــــــــــــــــت

الضرورة تقتضي إنشاء مركز عسكري في أدرار ايفوغاسن..... وفضلا عن ذلك فإن إدارة كنته ذاتها وتحقيق الارتباط مع بلاد الجزائر قد فرض إنشاء هذا المركز المذكور وقد قام المقدم بتريكس بذلك في دجنبير (ديسمبر) 1908"[1] ويقول هذا القائد الفرنسي في حق الشيخ زين العابدين ابن سيدي محمد الكنتي الذي ولد في ضواحي تمبكتو سنة 1848 م وترعرع في الزاوية الكنتية بمنطقة توات، وعايش الدخول الفرنسي للإقليم تحديدا مع مطلع القرن العشرين. وكان من ألد خصوم فرنسا الإستدمارية يقول بول مارتي عن هذا الشيخ: "وأصبحنا نحن الفرنسيين نعتبره في عداد أشد أعدائنا الألداء"[2] ويضيف في وصفه أيضا" والذي ظل خلال أكثر من عشرين عاما يسبب لنا المتاعب وينهب الأفخاذ الخاضعة بغزواته التي لا تهدأ"[3] ثم يردف شهادتَه تلك بشهادة أحد القادة الفرنسيين آنذاك العقيد كلوب الذي يلخص موقف فرنسا من الرجل فيقول: "الموت وحده الذي ينقذنا من عابدين"[4].

1. كنته الشرقيون .ص.**161**
2. المرجع نفسه .ص**141** .**13**
3. المرجع نفسه. ص **157**. **14**.
4. المرجع نفسه .ص **125** .**15**.

ولقد استمرت مقاومة الرجل للإحتلال الفرنسي أزيد من خمسة وعشرين سنة (1890 إلى سنة (1916) وتنقل خلال هذه المدة بين مناطق الجزائر ومالي وموريتانيا وأخيرا المغرب الذي سقط فيه شهيدا. إبان الحرب العالمية الأخيرة[1]. وغير هذا الرجل كان لكثير من علماء الكنتية الدورُ نفسُه في المنطقة. وقد غصت كتب التاريخ وغيرها بمثل هذا وغيره.

وإذا خرجنا بالعائلة إلى المجال العلمي والاجتماعي وجدناها تتربع على عرش العائلات النشطة بالمنطقة خلال هذه الفترة على غرار العائلة البكرية في تمنطيط والبلبالية في كوسام والجعفرية في قصر بودة و أبو حامد، والرقانية في رقان وغيره، والزجلاوية في زاجلو، والصوفية في بادريان وغيرها من العائلات التي لا تعد ولاتحصى. وفي هذا المجال برع الكنتيون وكان لهم الأثر البارز وتشهد لهم به -وإلى اليوم -عديد الزوايا التي تحمل اسمهم في زاوية كنته والجديد وقصر أقبلي وغيرها بالإضافة إلى خزائن المخطوطات المليئة بآلاف المخطوطات والكتب العامة والخاصة. هذا دون أن ننسى دور آل كنته الرئيسي في انتشار القادرية

1. ينظر: المرجع السابق. ومحاضرة بعنوان: دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا للأستاذ عقباوي لمين.

في أفريقيا "حيث كان علي الكنتي قطبا للطريقة القادرية وعندما انتقلت قبائل كنته في القرن الخامس عشر الميلادي إلى واحة توات حملوا معهم القادرية وفي هذه الواحة تطورت الطريقة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر"[1] ومن هذه الطريقة أخذ الكنتيون طريقتهم الخاصة في الأوراد والمعروفة بالطريقة البكائية التي تنتسب إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي، فصارت الطريقة في أصلها فرع من القادرية المنسوبة إلى الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني(471هـ 561هـ، 1079م 1166م).

وفي كل هذا سنقف بإذن الله أولا مع الزاوية الكنتية تأسيسا وتاريخا كنموذج حي كما ذكرت عن نشاط العائلة داخل الإقليم. والحديث عن هذه الزاوية يقودنا حتما للوقوف أولا عند حياة المؤسس الأول الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد الرقاد، ورحلته إلى منطقة توات واستقراره بها.

ولد الشيخ سيدي أحمد كما يقول الرواة[2]سنة تسعمائة وثمانية وستون هجرية(968هـ) بواد نون، وبها نشأ وترعرع. ولقد مكنه اتصاله المستمر بأبيه الشيخ سيدي محمد أولا ثم عمه

---

1. أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية. ص .37 مكتبة مدبولي.

2. ينظر: محاضرة عن العائلة الكنتية. للشيخ الحاج امحمد الكنتي شيخ الزاوية الكنتية حاليا.

سيدي المختار الشيخ، وملازمته لهما من تضلعه في جملة من العلوم. ثم تفرغ بعد ذلك للتنقل والترحال طلبا للزيادة في العلم، واستقر به المقام آنذاك بفاس وأخذ بها بعض علوم الحديث والتفسير، ثم عاد مجددا إلى مسقط رأسه واد نون.

وفي هذه الفترة وهو ببلدته واد نون يقول الشيخ الحاج امحمد الكنتي[1] شيخ الزاوية الكنتية حاليا إن السلطان دعاه لحظة لقاء فامتنع وخرج فارا بنفسه متسللا بين القوافل التجارية التي كانت ترد الإقليم التواتي، ولما وصل واد الساورة نزل ضيفا عند أحد شيوخها ويقال إنه هو الذي أشار عليه بالانتقال إلى أرض توات.

ولما انتقل الشيخ سيدي أحمد إلى أرض توات يقول الرواة أنه نزل أولا بزاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن عومر التي لا تبعد عن قصر عزي موطن أجداده الأوائل إلاّ بكيلومترات ثلاثة أو أربعة .وبقي هناك رفقة الشيخ مدة ثم أمره بعد ذلك بالانتقال إلى حيث مقر الزاوية حاليا. ويروي كثير من العامة هنا وقليل من الخاصة أن الشيخ سيدي عومر بن عبد القادر لما أمر الشيخ سيدي

---

1. الحاج امحمد الكنتي ولد سنة 1946 وحفظ القرآن وهو صغير ثم أكمل دراسته بأرض المغرب الأقصى وهو شيخ الزاوية الكنتية حاليا وصاحب مدرسة قرآنية.

أحمد بالانتقال لتأسيس زاويته أهداه بغلة ليجعلها علامة في توقفها النهائي لمكان تأسيس الزاوية.

ولما وصل الشيخ سيدي أحمد إلى هذه الأرض[1]. وجدها غابة كثيفة مملوءة بالوحوش والحشرات فاختار السكن بالقرب منها وتحديدا في قصر أولاد الحاج البرجة الذي يبعد عن المكان بنحو كيلومترين أو ثلاث. وهناك سأل عن الأرض الغابة واشتراها من أهلها وأسس عليها زاويته المعلومة حاليا " وكانت في أصلها أرضا بيضاء يملكها أهل قصر عزي، فنزل الشيخ سيدي أحمد الرقادي بها في حدود ألف وتسعة عشرة(1019هـ) من الهجرة النبوية المطهرة[2]".

بعد هذا انطلقت المسيرة العلمية والاجتماعية للشيخ وظل مواكبا في زاويته ومسجده لدروسه التعليمية التي صنفها بحسب رواده: مبتدئين، متوسطين، وخاصة. فكان يبدأ مع الصنف الأول بقراءة ابن عاشر، ورسالة بن أبي زيد القيرواني في الفقه، وبالآجرومية والملحة الحريرية في النحو. أما بالنسبة للمتوسطين

1. ينظر: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات. ص60، ج1، ط1 المطبعة الحديثة. الجزائر2005م

2. ينظر: محاضرة الشيخ الحاج امحمد الكنتي .عن تأسيس الزاوية الرقادية.

من الطلبة فكان يقف معهم في الفقه مثلا على لامية الزقاق ومع الرسالة بتعمق. أما بالنسبة للخاصة والمتفوقين فكان يقف معهم في النحو مثلا عند مغني اللبيب لابن هشام وغيرها من الكتب الخاصة. وفي هذه الفترة الوجيزة تخرج على يديه نخبة من العلماء منهم تمثيلا لاحصرا: ابنه الشيخ سيدي علي، والشريف سيدي عبد الله بن محمد وأبو محمد عبد الله بن محمد الفقيقي، ومحمد الصديق بن عبد الله، وأحمد بن محمد القطبي وغيرهم[1].

وإلى هذا أيضا كان للشيخ سيدي أحمد أوراد خاصة يواظب عليها كل يوم حيث يقول عنه الشيخ سيدي المختار الكبير (1226هـ) "إن من أوراد الشيخ: ياحي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ثلاثمائة ألف مرة في كل يوم وليلة"[2]. ويضاف إلى كل هذا ما كان يحكى عن نشاطه في ختم القرآن وقيام الليل.

وبعد وفاة الشيخ سيدي أحمد(بعد سنة1016هـ) خلفه ابنه الشيخ سيدي علي على شؤون الزاوية بأمر منه. والشيخ سيدي علي هو من مواليد هذه الزاوية تحديدا سنة ألف وثمانية من الهجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرة

---

1. ينظر: سلسلة النواة .ص65 وما بعدها .

2. المرجع نفسه.

(1008هـ) حيث تربى في رعاية والده وارتوى من علومه بداية، ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن شيوخها آنذاك، ثم عاد إلى مسقط رأسه بتوات محملا بالعلوم والإجازات. وما هي إلاّ أيام حتى ورد على الزاوية الكنتية " قوم من أرض التكرور وطلبوا من أبيه أن يعلمهم دينهم فأذن له بالانتقال معهم إلى بلاد التكرور ونزل بتمبكتو عند البرابيش وفتح لهم مدرسة وأقبلوا عليه من كل فج عميق، وكان أكثر تلامذته من السودان من النيجر ونيجيريا ومن مدينة بماكو بمالي، وقد أسلم على يديه خلق كثير[1]".

وبقي الشيخ سيدي علي في أرض التكرور كما يذكر الرواة زهاء العشر سنوات. ولما طاب له المقام هناك كان أبوه قد تقدم في السن واحتاج إلى معين فبعث إليه بخطاب يستعجل فيه مجيئه حيث قال له فيه بعد الافتتاح "... إنك الخليفة من بعدي والوكيل على الزاوية في القيام بشؤون الضيافة والسهر على مصالح التلاميذ، وإني كدت اليوم أن ألازم الفراش وأنا محتاج إلى معين فاترك كل شغل، وإني أرجو الله عز وجل ألاّ أفارق الدنيا

---

1. ينظر سلسلة النواة. ص79. وكتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. للبرتلي. ص201. تحقيق ابراهيم الكتاني وآخرون. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1401هـ1981م.

حتى أراك ولا تلتفت لمن زين لك المقام بتلك البقاع، فإنما أذنت لك في البقاء فيها ما دمت حيا فامتثل لأمر والدك وأسرع العودة"[1].

ولما وصلت الرسالة إلى الشيخ سيدي علي رجع إلى مقر الزاوية الكنتية على جناح السرعة، وانتقل معه من هناك وفد كبير برسم الصحبة والتتلمذ عليه. وما هي إلاّ أيام حتى انتقلت روح والده إلى الرفيق الأعلى، فتقلد هو زمام أمور الزاوية وحرص على مواصلة مسيرتها أولا، ثم توسيعها وتنظيمها ثانيا ليعم نفعها أكثر، وفي عشية الخميس من شهر شوال عام ألف ومائة وثمانية وعشرين (1128هـ) انتقل الابن سيدي علي إلى جوار ربه أيضا، وتوالت السلسلة الكنتية من بعده في قيادة الزاوية، والقيام على شؤونها أباً عن جد حتى وصلت السلسلة فيما وصلت إلى الشيخ سيدي عمر بن المصطفى الكنتي (1157هـ) الذي بصم هو الآخر ببصمته الذهبية في سجل الزاوية، وتخرج على يده كبار العلماء في القرن الثاني عشر كالشيخ سيدي محمد بن أب المزمري (1160هـ)[2] صاحب الثلاثين مخطوطا أوما يزيد، والشيخ سيدي عبد الرحمن

---

1. محاضرة الشيخ الحاج امحمد الكنتي حول الزاوية الرقادية.

2. ينظر: محمد بن أب المزمري حياته وآثاره .ص.62. أحمد جعفري. ط1، 1425هـ.دار الكتاب العربي. الجزائر.

بن عمر التنلاني(1189هـ) الذي يصف بقوله: "كان رحمه الله متواضعا حسن الخلق... فصيحا فقيها نحويا لغويا أديبا شاعرا محفوظ اللسان وجيها نبيها"[1] إلى أن قال في وصف اللقاء بينهما: "... ألفيته مع طلبة بلده في غاية الاجتهاد بالتحصيل والمذاكرة، يدرس من الضحى إلى قرب الظهر... ويدرس بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب وبعد المغرب يقرأ التصريح للشيخ خالد الأزهري فأعجبني ذلك وأنساني أهلي ومالي"[2].

وفي عصرنا الحالي وصلت السلسلة القيادية يد الشيخ الحاج امحمد الكنتاوي الذي عمل هو الآخر على توسعة بناء المدرسة وتجديدها لتفتح أبوابها أمام الطلبة من الداخل والخارج، بالإضافة إلى القيام بشؤون الزاوية واستقبال ضيوفها وزوارها من جهة، ثم المحافظة على مخطوطاتها وكنوزها من جهة أخرى. والزاوية في كل هذا هي قادمة في مسيرتها حتى هذه اللحظة. وفقنا الله وإياهم لما فيه صلاح البلاد والعباد وأدام لنا هذا المقام وأمثاله منارة عالية نستنير بها على الطريق آمين.

وفي الأخير نأمل أن نكون بهذه النتافات القليلة في هذا الحضور الكريم الذي أحي من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى -قلت نأمل أن نكون-قد شاركنا ولو باليسير في شد خيط من حبال عروة منبركم الوثيق.

---

1. مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني. عبد الرحمن بن عمر .ص 36 وما بعدها.

2. المرجع السابق وينظر أيضا: الغصن الداني في ترجمة الشيخ عبد الرحمن التنلاني .الشيخ محمد باي. ص23 وما بعدها. ط 1. دار هومة. الجزائر.

وعسانا بكل هذا أولا وأخيرا أن نكون قد هززنا جزع إخوتنا القراء ليساقط علينا رطبا جنيا. فنفيد ونستفيد وما ذلك على الله بعزيز.

المصادر والمراجع

1. أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية. مكتبة مدبولي.
2. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، مطبعة بردين باريس، 1964م
3. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات. ط1 المطبعة الحديثة. الجزائر 2005.
4. الغصن الداني في ترجمة الشيخ عبد الرحمن التنلاني. الشيخ محمد باي. ط1. دار هومة. الجزائر.
5. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. للبرتلي. تحقيق ابراهيم الكتاني وآخرون. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1401هـ1981م
6. فتح الودود شرح المقصور والممدود للشيخ سيدي المختار الكنتي. تحقيق مأمون محمد ط1 .1423هـ2002م.
7. كنته الشرقيون. بول مارتي .عربه محمد محمود .مطبعة زيد بن ثابت دمشق. سوريا.
8. محاضرة بعنوان: دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا .للأستاذ عقباوي لمين.
9. محاضرة بعنوان: نبذة تاريخية موجزة عن القادرية الكنتية في منطقة حوض النيجر وما جاورها.
10. محاضرة عن العائلة والزاوية الكنتية. للشيخ الحاج امحمد الكنتي شيخ الزاوية الكنتية حاليا

11. محمد بن أب المزمري حياته وآثاره. أحمد أبا الصافي جعفري. ط1، 1425هـ 2004م.دار الكتاب العربي. الجزائر.
12. مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني. الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر.
13. مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد .الشيخ سيدي محمد بن سيدي المختار. خزانة زاوية كنته أدرار.
14. مخطوط نسيم النفحات. مولاي أحمد الإدريسي.
15. مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري.
16. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية .عبد العزيز بن عبد الله .المغرب 1976م.

البحـــث الرابع[1]

جهود فقهاء توات[2] في خدمة المذهب المالكي

ـ دراسة في الأعلام والموضوعات ـ

1. البحث شارك به الباحث في فعاليات الملتقى الدولي "المذهب المالكي تاريخ وآفاق" المنظم بجامعة أدرار، الجزائر بتاريخ أيام: 30،29،28 نوفمبر 2010 م الموافق لـ: 23،22،21 ذو الحجة 1430 هـ
2. يشكل الإقليم التواتي حاليا تراب ولاية أدرار وبعضا من ولاية تمنراست جنوب الجزائر، وهو ينقسم تاريخيا إلى أقاليم ثلاثة حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولاية حالياً ،وهو من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهو إلى الشمال من قصر تبلكوزة شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما توات فهي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ص02، المطبعة الملكية الرباط ،1381هـ، 1962م، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار (د،ت).

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وبعد:

ينفرد المذهب المالكي عن بقية المذاهب الأخرى بعديد الخصائص والمزايا التي منحته مرونة وحيوية وقدرة أكبر على التكيف مع الواقع، فهو إلى جانب وفرة مصادره وكثرة أصوله وتنوعهما، وتوسعه في استثمار الأصول المتفق عليها يبيح لمنتسبيه الاقتداء بالمخالف في الفروع، ورفضه تكفيرهم بالذنب والهوى. وهي خصائص جعلت منه مذهبا أكثر منطقية وعقلانية في أحكامه، وواقعية في نوازله وفروعه في مختلف الأبواب، إضافة إلى وسطيته واعتداله في مجمل مواقفه وأصوله وفروعه، و كذا مرونته وسماحته ويسره في معالجة كثير من القضايا الشائكة والمشكلات المستعصية.

وهي عوامل كلها جعلت من المذهب المالكي مذهب جميع الأقطارالمغاربية تقريبا انخرطوا فيه طواعية لا كرها ومنذ قرون عديدة، وراحوا في ذلك يدافعون عنه وبشراسة أمام كل التيارات الآنية، والمتغيرات الزمكانية،ويساهمون في خدمته ونشره.

ولقد كان لعلماء الجزائر عامة و فقهاء أقاليم توات خاصة دورهم الريادي البارز في هذا المجال،حيث برز على مر العصور التي خلت عديد العلماء الذين انبروا للدفاع عن المذهب وكذا خدمته تيسيرا ونشرا وهو ما سنحاول الوقوف عنده في هذا البحث بحول الله.

وإذا كانت كتب التاريخ قد شحت علينا في كثير من الأخبار الأولية التي تعلقت بتاريخ هذا المذهب تفصيلا بهذه الديار خصوصا في القرون الثمانية الأولى، فإن لنا في بعض

الكتابات الأولية التي رشحت عن بعض المخطوطات التي وجدت بالإقليم بعضا مما يشفي غليل السائل والباحث في تاريخ هذا المذهب بهذه الأقاليم.

ولعل من أهم المصادر المخطوطة التي أرّخت للمذهب في هذا الإقليم (مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام)، حيث يذكر لنا مؤلفه الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري أنه في سنة (890 هـ،1485م) ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء، كل واحد منهم يحفظ خليلا وبعض أصول المذهب كالبيان والتحصيل وابن الحاجب وعلم المعاني والبيان، وتبعهم من علماء توات في رحلتهم داخل الإقليم سيدي علي بن عبد الله، وسيدي محمد بن العالم وسيدي أمبارك بن احمد إلى بدريان بتيميمون"[1].

ويضيف صاحب مخطوط الدرة أن الشيخ سيدي سالم العصموني بن محمد بن أبي بكر المولود سنة (810هـ،1408م) نزل بتمنطيط، وهو الذي جاء بمقادير المكايل والموازين وضبط قوانين الشرع وسار فيها بسيرة العدل. وفي هذا إشارة أولية مهمة أيضا.

وإلى هذه الإشارات التاريخية الهامة ذكرت بعض المصادر[2] أيضا أن أول من أدخل مختصر خليل لتوات هو السيد

---

1. مخطوط درة الأقلام ص08 وما بعدها.

2. ينظر: مخطوط: درة الأقلام ص 40 وما بعدها ، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها .من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر .عبد الحميد بكري ص139. وما بعدها. ط2 دار الغرب وهران الجزائر 2007م)

ميمــون بـن عمـر(890هـ 1485م)[1] وذلـك بعد نازلـة مشـهورة وقعت لـه مع فقهاء توات حول مسألة فقهية[2]، فتطلب الأمر منه السـفر إلـى فـاس

---

1. هو الشيخ ميمون بن عمر بن محمد قدم إلى توات من المغرب عام (809هـ) ونزل بتمنطيط وسط توات توفي سنة (890هـ). ينظر ترجمته في: مخطوط درة الأقلام ص 40 وما بعدها ، وكتاب النبذة ص 139.
2. نص المسألة "هو إذا قال بائع لمشتري بعتك أمة ثيبا فلما اشتراها وجدها بكرا "حيث أفتى بعض فقهاء توات بعدم رد البيع لأن البكر أحسن من الثيب. أما الشيخ ميمون بن عمر فأفتى بثبوت الرد وبطلان البيع لكنه لم يسند حكمه إلى مصدر معلوم مما ضعف حجته أمام مناظريه ، فما كان منه إلا أن سافر إلى فاس حيث وجد المسألة مبسوطة بحذافرها في مختصر خليل فاشترى نسخة منه وأحضرها إلى توات فكانت أول نسخة من المختصر تدخل الإقليم.

حيث وجد المسألة معروضة ومشروحة بكل تفاصيلها في مختصر خليل فما كان عليه إلاّ أن اشترى نسخة خطية من المختصر بأربعين مثقال ورجع بها على وجه السرعة إلى علماء توات.

كما تذكر لنا ذات المصادر أن أول من تولى شرح هذا المختصر الفقهي للشيخ خليل بالإقليم التواتي هو الشيخ سيدي أمحمد بن العالم الزجلاوي(1212هـ،1798م)[1]، ومن قبله فعل ذلك الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي لكنه لم يتمه.

---

1. هو الشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي(1212هـ) ولد في قصر زاجلو المرابطين بأرض توات جنوب الجزائر وبها نشأ على يد أبيه سيدي أمحمد، كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي التواتي، وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي أمحمد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، ونوازل سيدي عبد الرحمن بن باعومر. تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة(1212هـ). من آثاره مخطوط النوازل في الفقه. وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها، وشرح مختصر خليل، وكتاب المباشر على ابن عاشر بالإضافة إلى تقييدات مختلفة .ينظر ترجمته في: (مخطوط تقاييد خاصة عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص126 ومابعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ص128 ومابعدها. وكتاب سلسلة النواة ج02. ص09 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات .ص123 وما بعدها،وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص93. وما بعدها).

مع إشارة مهمة هنا هو أن بعض الروايات التاريخية تذكر أن قصب السبق في شرح خليل بالإقليم يعود إلى القرن التاسع الهجري مع ما فعله الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي 909هـ ـــــــــــــــــــــــــــ، 1504م)[1]

---

1. هو الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من كبار علماء القرن التاسع الهجري. ولد بتلمسان ودرس بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة .ومنه إلى بجاية .ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات التي حارب بها اليهود وهدم كنائسهم .ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء وملوك لتكون عودته النهائية إلى أرض توات(ولاية أدرار) وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنته سنة(909هـ). كان للإمام دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا، وترك لنا مؤلفات هامة تزيد عن الأربعين مخطوط. ينظر ترجمته في: مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات. خزانة بن الوليد أدرار. ومخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص19. سيدي محمد بن عبد الكريم.خزانة كوسام.و مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص147. الحاج محمد بلعالم. ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ص13، وأعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بوعزيز. ج2، ص143وما بعدها. ط1. 1995م دار الغرب الإسلامي، والإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية. ص92.مبروك مقدم. ط1 1422 هـ2002م.مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان و الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م. ص107 أ.د.أبوبكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة. ط1417،1هـ 1997م، و معجم مشاهير المغاربة. ص505.أبو عمران الشيخ وآخرون. جامعة الجزائر 1995م. ونيل الابتهاج بتطريز الديباج. ص151. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت.

حيث ينسب إليه مخطوط في هذا المجال.

وإلى هذا كله جاء في عدد من المصادر والمراجع أن أول من جمع نوازل تضم مجموعة من المسائل النازلة في أقاليم توات هو الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري.

كل هذا وغيره جعل الأقاليم التواتية عبر تاريخها الطويل تمتاز كسابقتها من حواضر ومدن الجزائر بنشاطها الفقهي المتميز خدمة ونشرا للمذهب المالكي السائد في الإقليم، وقد نشط في هذا الإطار جملة من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم تيسير أصول وفروع هذا المذهب خدمة للدين الإسلامي الحنيف، ولم تقف جهود هؤلاء الأعلام عند حدود أرض الجزائر في نشر أصول المذهب بل تعدته إلى أدغال إفريقيا حيث كان الجزائريون عامة والتواتيون خاصة[1]

---

1. ذكر الدكتور فرج محمود فرج في كتابه إقليم توات خلال القرنين **18** و**19** م أن حضور علماء توات في العواصم العربية والإسلامية كان قوياً، ويذكر من جملة العلماء الذين خرجوا من الإقليم التواتي وكان لهم الأثر البارز في تاريخ الحركة العلمية لكثير من الأقطار: الشيخ أبو القاسم التواتي الذي كان إماماً في جامع سنكري بتمبكتو، والشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم الذي عمل مفتياً لفترة طويلة بمدينة تمبكتو، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد، الإمام والمدرس ببلدة أزواد شمال تمبكتو، ومنهم الأديب الحسن بن محمد الذي كان يدرس في جنوب ليبيا، ومنهم الشيخ عمر بن عبد القادر الذي كان أستاذاً بجامع القرويين بفاس، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد التواتي الذي كان معلماً ومفتيا بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا بتونس، والذي يوجد له الآن مخطوطان لغويان=

=بالمكتبة الوطنية بتونس الأول: (شرح شواهد العربية التي في كتاب سيبويه) وهو تحت رقم**5428**، والثاني: (شرح لامية الأفعال) وهو تحت رقم **8955**. إقليم توات خلال

من أوائل الطلائع التي أوصلت الإسلام التي تلك الديار، وساهمت في نشره وتعميمه عبر كل تلك البقاع تقريبا، ولنا في شخص الإمام المغيلي تمثيلا لا حصرا وما فعله في عموم غرب إفريقيا أكبر نموذج في هذا المجال.

كل هذا وغيره أيضا "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب. وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم و معارف"[1] كما ذكر القاضي الفع محمود كعت[2] أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فرج محمود فرج. ص114 وما بعدها. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1977م.

1. المرجع نفسه. ص 113.

2. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964.

كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي[1] أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف. ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات الفقهية المتواجدة حاليا في خزائن ومكتبات مصر وموريتانيا ومالي والنيجر وغانا ونيجيريا. وإذا أخذنا دولة مالي وحدها كنموذج لتلك الخزائن الأخرى في تلك الدول المذكورة وجدنا بهذا البلد وحده أزيد من 280 مخطوطا فقهيا في المذهب المالكي لعلماء جزائريين تحديدا منهم قرابة ثمانين مخطوطا لعلماء تواتيين فقط.

وبالعودة إلى الحديث عن بداية الحديث عن المذهب المالكي تأليفا بالإقليم التواتي نقول إن قائمة المجتهدين هنا طويلة وطويلة جدا تبدأ في حدود علمنا من منتصف القرن التاسع الهجري تقريبا وما ينسب في ذلك للشيخين الإمام المغيلي(909هـ، 1504م)

1. ينظر: تاريخ السودان. تحقيق هوداس. مطبعة بردين .1898م

والإمام سيدي سالم العصموني(968هـ،1561م)[1]: الإمام المغيلي في مخطوطاته العديدة منها: شرحه على مختصر خليل، تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين[2]، الرد على المعتزلة[3]، شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، شرح خطبة المختصر، مايجب على المسلمين من اجتناب الكفار[4]،

---

1. هو الشيخ سيدي سالم بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر... وينتهي نسبه إلى الشيخ سيدي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها). ولد بتلمسان سنة (882هـ). وتولى قضاء الجماعة بتوات سنة (914هـ).توفي بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي القعدة سنة(968هـ).(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص07. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. ص06. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص31. ومقدمة سيدي البكري بن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص76. وما بعدها).
2. توجد نسخ منه مخطوطة في خزانات توات الجزائر .
3. توجد نسخة منه في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث تمبكتو مالي.
4. توجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. رقم الحفظ: تصوف عربي 920 .رقم الميكروفيلم 37425. وهناك نسخ أخرى عديدة في بعض خزانات توات الجزائر.

مصباح الأرواح في أصول الفلاح[1]، المفروض من علم الفروض، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي[2]، ثم الشيخ العصموني وما ينسب إليه أيضا من تقييدات وفتاوى. وبعد الرجلين وما سجلاه خدمة للمذهب المالكي ونشره في الإقليم وكافة الأقطار المجاورة واصل المسيرة من بعدهما على مدار القرون التي تلت ذلك ثلة أخرى من كبار فقهاء الإقليم التواتي وأخرجوا لنا وخرجوا كبار الأئمة وعشرات المصنفات المذهبية نذكر منهم تمثيلا لا حصرا:

1. الشيخ سيدي بالقاسم (ق 10هـ،16م) المعروف بـ(سيدي الحاج بالقاسم):

من آثاره: مخطوط بعنوان منهاج السالكين، بالإضافة إلى أزيد من عشرة منظومات شعرية في التوحيد، والفقه.

2. الشيخ سيدي محمد الصوفي بن أبو أمحمد بن أحمد بن أبي بكر البادرياني:

أسس الشيخ سيد الحاج محمد الصوفي زاويته المشهورة ببادريان في القرن الحادي عشر بتاريخ التاسع من شهر صفر عام ثلاثة وثلاثين وألف (1033هـ، 1624م) وكان ذلك بنص وصية مشهورة ومعلومة. له تقاييد فقهية عديدة.

---

1. حققه الأستاذ رابح بونار، وطبع في الجزائر سنة 1968م. وتوجد نسخ منه مخطوطة في مركز أحمد بابا للبحوث بتمبكتو جمهورية مالي. غير أن مضمون المخطوط هو بخلاف العنوان وأن عنوان هذا المخطوط هو رسالة في اليهود .أما مخطوط مصباح الأرواح في علوم الشريعة وأصول الدين. ينظر مقدمة كتاب رسالة في اليهود للإمام المغيلي .تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة. ط1 2005.دار أبي رقراق.الرباط.

2. حققه الأستاذ عبد القادر زبايدية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974.

3. الشيخ سيدي عبد الكريم (1042هـ،1633م) بن أمحمد التواتي:

ولد سنة (994هـ،1586م) كان إماما عالما تولى قضاء الجماعة بتوات. له شرح على مختصر خليل لم يتمه، وله مخطوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني.

4. الشيخ سيدي أحمد (1078هـ،1667م)بن يوسف:

ولد بقصر أولاد ونقال سنة(1002هـ، 1594م) ثم انتقل إلى تنلان القديمة (رزق الله الواسع)في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة(1058هـ، 1648م). توفي سنة(1078هـ، 1667م) من آثاره المخطوطة وصيته في تأسيس زاويته الشهيرة، بالإضافة إلى بعض التقاييد المختلفة. كما تنسب له بعض المخطوطات المفقودة.

5. الشيخ سيدي البكري(1133هـ،1721م)بن عبد الكريم بن أمحمد:

الذي اتصل بعلماء كبار منهم: سيدي أبي عبد الله الخرشي مفتي الديار المصرية وقتها والذي تولى قضاء الجماعة بتوات سنة (1092هـ،1681م). له العديد من التقييدات الفقهية المخطوطة.

6. الشيخ سيدي عمر(1152هـ، 1739م) بن سيدي الحاج عبدالقادر التواتي:

ولد عام (1098هـ،1687م) درس بفاس و أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي، ومحمد بن ذكري الفاسي. كان عالما فقيها ونحويا .تولى التدريس بجامع القرويين بفاس وانتقل منها عائدا إلى أرض توات سنة (1129هـ، 1717م). وتولى قضاء الجماعة بتوات .له عديد التقاييد الفقهية.

7. الشيخ سيدي محمد(1160هـ،1747م) بن أُبّ المُزّمّري:

من أكبر علماء توات تأليفا له أزيد من ثلاثين مخطوطا جلها في الفقه المالكي. من آثاره المخطوطة أزيد من ثلاثين مخطوطا في مختلف العلوم وبخاصة الفقهية نذكر منها تمثيلا: نظم[1]

---

1. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار، وقد طبعتها أخيراً مكتبة المعارف بتيميمون. كما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن باعومر التنلاني بشرحها وهو كتاب مطبوع أيضاً يحمل عنوان ، والمورد العنبري لمعاني العبقري.

باب السهو من مختصر الأخضري[1] في العبادات ألفه سنة (1128هـ، 1716م) وسماه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً. مخطوط تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخماس[2] وموضوعه الفقه، رد فيه على سؤال للشيخ سيدي عمر بن سيدي محمد المصطفى الكنتي(ت 1157هـ، 1744م).

8. الشيخ سيدي عبد الرحمن(1160هـ،1747م) الجنتوري القُرَاري:

من آثاره ما ذكره له الشيخ سيدي ضيف الله في رحلته ومنه: منظومة في التوحيد، وشرحه عليها، وشرح على مختصر خليل، وله نظم في الفرائض، ورجز في علم الكلام، وتآليف في التصوف، وما لا يعد ولا يحصى من الرسائل والأجوبة ردا على قضاة وقته، وله طُرَرٌ كثيرة على جميع شُرّاح المختصر وغيره، وكذا حاشية مستقلة عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، بالإضافة إلى قصائد شعرية لكنها غير واضحة من جراء ما أصابها من تلف. ونوازله التي جمعها تلميذه الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري.

---

1. هو عبد الرحمن الأخضري، عاش في القرن العاشر الهجري، له عدة مؤلفات منها: منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، والمختصر في العبادات على مذهب الإمام مالك، نشر له في الجزائر سنة 1324هـ وهو الذي نظم منه مُحمد بن أُبّ باب السهو في الصلاة. (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، وعادل نويهض، ص90، ط1 ، 1981 م).

2. المخطوط موجود بخزانة المطارفة.

9. الشيخ سيدي أبي الأنوار(1168هـ، 1755م) بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني:

ولد سنة (1077 هـ،1666م) بزاوية تنلان، وتوفي سنة (1168هـ، 1755م) وقيل سنة (1158هـ، 1745م).

10. الشيخ سيدي عبد الرحمن(1189هـ،1775م) بن عمر التنلاني:

توفي بمصر أثناء عودته من الحج.من آثاره الفقهية المخطوطة: مخطوط مختصر النوادر في الفقه. بالإضافة إلى تقييدات فقهية مختلفة.

11. الشيخ سيدي عبد الرحمن(1209هـ، 1795م)[1] بن الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد الأنصاري الخزرجى:

أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بيوسف، وعن الشيخ سيدي أمحمد الونقالي. انتقل الشيخ سيدي عبد الرحمن من زاجلو

---

1. ينظر: تقييدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير ، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار

إلـى أنزجميـر سـنـة(1169هــ،1756م)، وكــان بـذلك أول العائلــة الأنصارية الخزرجية دخولا لقصر أنزجمير. و أسس به مدرسته الدينيـة فـي القصر الفوقـاني. عرف الشيخ سيدي عبد الـرحمن بكثـرة مطالعتـه للكتـب ونسـخها وينسـب لـه فـي ذلـك عشـرات المخطوطات المنسوخة بخط يده منهـا: كتـاب القـاموس المحيط، وكتــاب التســهيل، وكتــاب الفريــدة وشــرحها، وكتــاب الكافيــة وغيرهــا. وهــي عوامــل كلهــا ســاعدته علــى تأسـيس خزانــة للمخطوطـات بقصـر أنزجميـر هـي إلـى الآن مـن أكبـر خـزائن المخطوطات بالإقليم كمّا ونوعيـة. مـن مؤلفاتـه الفقهيـة: قصيدة (شـبكة القنــاص لمــا حوتــه درة الغـواص) للشـيخ سـيدي عبـد الرحمن بن محمد بن يوسف التـي ضمنها ألغازا فقهيـة وأجوبـة عليهـا وسـار بهـا مـن بـدايتها علـى طريقـة السـؤال والجـواب. وعددها فـي مـا يزيـد علـى الألـف وسـبعمائة بيت شعري(1700) حيث قال في مطلعها:

يقول راجي رحمة وغفران * أسير ذنبه عبيد الرحمــن
ابن مـحمد هو ابن أحمـــد * وفـــقه الله بكل مـقصـد

12. الشـيخ سـيدي أحمـد (1245هــ،1829م) زروق بـن صـابر البداوي الجعفري:

أخذ عن الشيخ سيدي أمحمد الونقـالي وعن الشيخ سيدي محمد بن أحميد الزجلاوي. سافر لفـاس وأخذ عن علمـاء أجلاء منهم الشيخ التاودي. تولى القضاء بفاس وبإقليم توات .له أيضا العديد من التقييدات الفقهية المخطوطة.

13. الشيخ سيدي عبد الله (1261هـ، 1845م) بـن سيدي محمـد عبد الله بن سيدي عبد الكريم الحاجب:

من آثاره: شرح على ابن جماعة، وحاشية على مختصر فقهي،إضافة إلى تقاييد فقهية مختلفة.

14. الشيخ سيدي حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي (1335هـ-1917):

الذي كان تأتيه الفتاوى والأسئلة من عموم الصحراء الكبرى، وكان يفتي بمشهور مذهب مالك، ويراجع غيره من المذاهب.

وقبل هذه الفترة أيضا ظهرت لنا أكبر مدونة فقهية نوازلية في أصول المذهب المالكي وفروعه بالإقليم التواتي قاطبة وأعني بها مجموعة المسائل الفقهية التي اصطلح على تسميتها بـ: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل والمؤلف واحد من أهم وأضخم المخطوطات التي استطاعت أن تجمع أكبر قدر من النوازل والفتاوى الفقهية التي حلت بأقاليم توات جنوب الجزائر، وتدخل فيها كبار العلماء والفقهاء من الإقليم من أمثال: الشيخ سيدي عبدالرحمن بن باعومر (1189هـ، 1775م)،والشيخ

الزجلاوي(1212هـ،1797م)، والشيخ سيدي الحاج البلبالي (1244هـ،1829م)،وابنه الشيخ الحاج عبد العزيز (1261هـ، 1845م)، وغيرهم كثير، فجاء بذلك المخطوط جامعا بين دفتيه وفي ما يزيد عن السبعمائة صفحة من الحجم الكبير لكل ما وقع في هذه الأقاليم من القضايا والمسائل على مر العصور، وقد بدأ جمعه أولا في مجلد وعنوان واحد الشيخ سيدي الحاج بن عبد الرحمن البلبالي، ثم أكمل العمل بعد وفاته ابنه الشيخ سيدي عبدالعزيز. ليكون ترتيبه بعد ذلك على يد الشيخ سيدي أحمد لحبيب بن أمحمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي، ولا تكاد تخلو مكتبة من وجود نسخة من نسخه المتعددة في توات، وقد وقفنا شخصيا على خمس نسخ منها. الأولى بخزانة البلباليين بقصر ملوكة غرب الولاية أدرار، والثانية محفوظة بخزانة البكريين بتمنطيط جنوب الولاية، والثالثة محفوظة بخزانة باعبد الله ضواحي المدينة أدرار حاليا، والرابعة بخزانة المطارفة شمال الولاية، والخامسة محفوظة حاليا بخزانة كوسام بأدرار.

وبالرجوع إلى عصرنا الحالي فإن جهود علماء الإقليم في خدمة ونشر المذهب المالكي ظلت مستمرة ودائبة على نشاطها تدريسا وتأليفا حيث برز لنا في هذا المجال تحديدا عديد الشخصيات العلمية البارزة يأتي في مقدمتها شيخنا المغفور له الحاج محمد بلكبير(1421هـ،2000م)[1] طيب الله ثراه، وقبله

---

1. هو الشيخ سيدي محمد بن الكبير بقصر لغمارة ببودة .انتقل إلى تمنطيط وأخذ عن الشيخ سيدي أحمد ديدي. أسس مدرسة قرآنية بداية في قصر تيميمون ،ثم إنتقل إلى وسط المدينة أدرار وأسس مدرسته الثانية سنة1959م حيث تخرج منها مئات الطلبة والأئمة. توفي صبيحة الجمعة 16 جمادي الثانية عام 1421هـ الموافق لـ15 سبتمبر 2000م.

شيخه الشيخ سيدي أحمد ديدي (1299هـ،1882م)[1] في مدرسته بتمنطيط، وبعدهم كوكبة أخرى من رجال العلم الذين نهلوا من هذه المنابع الصافية ولا زال عطاؤهم الفقهي مستمرا حتى يومنا هذا من خلال مناراتهم العلمية ومدارسهم الخاصة المفتوحة أمام الجميع .

وبالحديث عن جهود ونشاط فقهاء توات في خدمة المذهب المالكي تأليفا في عصرنا الحديث فإن المتتبع هنا يسجل وبكل فخر واعتزاز محاولات الشيخين الجليلين المرحومين الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي(1399هـ، 1979 م) بسالي، وتلميذه الشيخ محمد باي بالعالم (1430هـ، 2009م) بأولف،بما جسداه من دور ريادي وفعال من خلال نشاطهما التدريسي في مدرستيهما

---

1. هو الشيخ سيدي أحمد بن سيدي محمد المشهور بديدي ولد بتمنطيط عام (1299هـ 1882م) ،أخذ عن الشيخ الطالب محمد بن عبد الواحد، وعلى يد شقيقه سيد البكري .كانت له مدرسة قرآنية مشهورة بالإقليم .توفي عام (1370هـ 1951م). ينظر: النبذة ص217.

بسالي وأولف ترسيخا لأصول المذهب ودفاعا عنه أولا، ثم بما خلفاه من مطبوعات فقهية مالكية متعددة ومتخصصة تيسيرا للمذهب ودعما لحضوره ونشره. وهو ما سنقف عنده تمثيلا من خلال هذه الوقفة الخاصة مع الرجلين.

ولد الشيخ سيدي مولاي أحمد الطاهري الإدريسي[1]. بقرية أولاد عبد المولى من نواحي بوجمادة، في محافظة مراكش عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (1325هـ، 1907م).

توفي والده وهو في سن الخامسة من عمره وبعد ذلك كفله أخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان على درجة من العلم والمعرفة مما ساهم في تلقيه عددا من العلوم في سن مبكرة، وتفقه خصوصا في مذهب الإمام مالك، واطلع على أصوله وفروعه.

وفي سنة ألف وثلاثمائة وستة وخمسين هجرية (1356هـ، 1937م) على الأرجح خرج الشيخ مولاي أحمد من أرض شنقيط وتمبكتو التي زارهما متجها إلى أرض توات حيث حط الرحال أولا في قرية تاوريرت برقان ومنها إلى سالي، التي وجد بها ضالته - كما قال -

1. ينظر ترجمته في: فتوحات ألا له الملك على النظم المسمى بأسهل السالك ، الشيخ مولاي أحمد الطاهري ج1، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1994، ص7.

و أسس بها مدرسته الشهيرة إلى الآن حيث يقول: "ساقتنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم وإنما هي من أحسن المصادفات فوجدنا فيهم أحسن الأهل ووجدت بها ضالتي المنشودة فاستقام بها لنا المقام وحسن العيش وأرغده في بذل غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار، وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات"[1]

ولعل من أهم وقفات الشيخ التدريسية مع طلبته بعد تحفيظ القرآن وتفسيره هي الوقفة الفقهية المالكية الخاصة والتي كان يفتتحها على عادة علماء توات يوم الأربعاء[2] من أيام الأسبوع، على خلاف وقفة القرآن الكريم التي تكون يوم الأحد.

وقفة الشيخ الفقهية المالكية كان يحضرها عدد كبير من الطلبة والمحبين وكان الشيخ رحمه الله يقف فيها عند مختصر خليل شرحا وتفسيرا لينتقل بعدها إلى سائر الكتب الأخرى من شرح لألفية بن مالك، والعاصمية لابن العاصم في القضاء بشـــــــــــــــــــــــــــــــــرحين

1. مخطوط نسيم النفحات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري .خزانة كوسام أدرار .

2. جاء في مخطوط "رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بم محمد البكري(1042هـ)" منسوبا للشيخ المقري أن الفقه لما تشعبت طرقه واتسعت أقواله ورواياته ناسب الابتداء به يوم الأربعاء لأن فيه لغات معدودة ،ولما كان الأحد ليست فيه إلا لغة واحدة ناسب أن يبتدئ فيه بالقرآن.

والدرة البيضاء للأخضري في الفرائض، ونحو ذلك.

وخلال إقامته بتوات لم يقف الشيخ مولاي أحمد عند حدود مدرسته بسالي بل ظل يتردد على قصور توات قصرا قصرا، من حدود عين صالح بتدكلت إلى حدود تبلكوزة بقورارة وكان يرافقه في رحلته تلك عدد غفير من طلبته النجباء تتبعهم في ذلك ألواحهم وأقلامهم وكراريسهم وجميع الأدوات اللازمة لهم[1].

وخلال هذه المسيرة الحافلة بالعطاء تخرج على يد الشيخ جملة من الطلبة الذين واصلوا مسيرة العطاء من بعده،وأسسوا مدارسهم الدينية الخاصة، وكان لهم بذلك عظيم الأثر في مسار الحركة الدينية داخل الإقليم خلال هذا القرن نذكر منهم تمثيلا لاحصرا:

-المرحوم الشيخ سيد الحبيب بلحبيب خليفته الثاني في قصر سالي و هو من أوائل الطلبة الذين التحقوا به في سالي له مدرسة دينية مشهورة في قصر تاسفاوت، وله عديد الكتب الفقهية المخطوطة والمطبوعة توفي عام 1425هـ الموافق ل: 2004م.

-المرحوم الشيخ مولاي عمر الذهبي التيلوليني، وهو الخليفته الأول على المدرسة في غياب الشيخ.

-المرحوم الشيخ السي محمد الرقاني المعروف بالفقيه،شيخ الزاوية الرقانية توفي عام 1427هـ الموافق لـ 2006م.

---

1. فتوحات إلا له الملك، ص11،10.

-المرحوم الشيخ محمد باي بلعالم شيخ المدرسة الدينية بأولف، وصاحب المؤلفات الغزيرة كما سيأتي.

-الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي، والشيخ الحاج المختار بن أحمد البرماكي، والشيخ الحاج الحسن بن الحاج الطيب التيليلاني الذي أسس زاويته ومدرسته بولاية البيض وهي إلى الآن منارة يهتدي بها عموم أبناء تلك الناحية وما جاورها. ومن التلاميذ نذكر أيضا: الشيخ الفقيه الحاج محمد بن الحاج أحمد البوحامدي المعروف بالنحوي، وأخيه الحاج احمادو. والشيخ المرحوم لعبادي الإمام المفتي بولاية تمنراست، وكذلك المرحوم الشيخ الحاج عبد القادر بن السيد بن سالم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، هذا دون أن ننسى تلميذه الأبر وابنه القائم على المدرسة الآن الشيخ مولاي عبد الله أطال الله في عمره. وكذلك الشيخ مولاي الحاج خليفة الشيخ سيد الحبيب على مدرسة تسفاوت الآن،وكذلك الشيخ الحاج محمد بكاري شيخ المدرسة الدينية ببني مهلال بتيميمون.، والشيخ الحاج عبد الكريم بلحبيب الجعفري شيخ المدرسة الدينية بقصر باحو بسالي،

والشيخ سيدي محمد الحسن بن الحاج عبد السلام الجعفري شيخ المدرسة الدينية بغرداية.، والشيخ الحاج محمد حرمة شيخ المدرسة الدينية بقصر تازولت بلدية زاوية كنته وغيرهم كثير.

توفي الشيخ مولاي أحمد بعد عمر زاخر بالعطاء في مدينة مراكش المغربية مسقط رأسه سنة(1399هـ 1979 م) وخلف لنا كتبا هامة في شتى العلوم وبخاصة منها الكتب الفقهية التي لم تخرج في عمومها عن رداء المذهب المالكي ونذكر له من ذلك تمثيلا مما وقفنا عليه مخطوطا في رفوف بعض خزائن الإقليم:

-المنح الربانية في الفتاوى الفقهية المالكية.

-فتوحات الإله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك في أربعة أجزاء.

-فتاوى عديدة في نوازل سديدة

-العقد الجوهري شرح العبقري في سجود السهو.

-نبذة في تحقيق الطلاق الثلاث في كلمة واحدة.

-رسالة في الرد على ابن الهادي.

-ألغاز في مسائل فقهية بعثها لاختبار طلبته.

-فتاوى فقهية مختلفة ردا على أسئلة.

-النحلة في حلق اللحية الكلام.

-رفع الحرج والملام عن أكل المال المشكوك بالحرام.

وغيرها من الكتب والفتاوى العديدة التي نبعت في مجملها من صلب المنظومة الفقهية المالكية.

أما الشخصية الثانية التي كان لها الباع الطويل في ترسيخ ونشر المذهب المالكي بالإقليم خلال هذا القرن من خلاله مؤلفات

الغزيرة في هذا الباب فهو تلميذ الشيخ مولاي أحمد الطاهري نفسه المرحوم الشيخ محمد باي بالعالم طيب الله ثراه.

ولد الشيخ باي بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم عام(1930 م،1349هـ) في قرية(ساهل) من بلدية (اقبلي) بدائرة (أولف) بولاية (أدرار) بجنوب الجزائر. ترعرع الشيخ في أسرة علمية،و اتصل في سن مبكرة بالشيخين سيدي محمد بن عبد الرحمن بن المكي الذي حفظ عليه القرآن الكريم، ثم الشيخ محمد عبد الكريم،ليلتحق بعدها بركب الشيخ مولاي أحمد الطاهري بسالي، وظل هناك قرابة السبع سنوات تشبع فيها بأصول المذهب المالكي إلى جانب جملة من العلوم الأخرى. وخلال هذه الفترة وما أعقبها تحصل الشيخ على عديد الإجازات في شتى العلوم منها إجازة شيخه مولاي أحمد،وإجازة من الشيخ الحاج أحمد لحسن بأسانيد متعددة،ثم إجازة من الشيخ السيد محمد العلوي المالكي.

توفي الشيخ باي رحمه الله صبيحة يوم الأحد 24 ربيع الثاني 1430هـ الموافق لـ19 أبريل 2009م مخلفا لنا زادا وفيرا من الكتب الفقهية وبخاصة في فقه الإمام مالك نذكر من ذلك:

1. زاد السالك شرح أسهل المسالك.(جزءان)
2. ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك (أربعة أجزاء).
3. فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك (نظم يحتوي 2509 أبيات).
4. الجواهر الكنزية نظم متن العزية.
5. الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية شرح على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنزية.

6. **السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية.**
7. **فتح الجواد على نظم العزية لابن باد**
8. **الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري.**
9. **الإشراق البدري شرح الكوكب الزهري.**
10. **المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية.**
11. **أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق(مناسك).**
12. **إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمات من مختصر خليل (أربعة أجزاء)**
13. **مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل المسمى جواهر الإكليل(عشرة أجزاء).**

وله في أصول الفقه:

14. **ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول.**
15. **ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول.**

الخــاتـمة:

بمثل هذه الأعمال الجليلة التي تركها الرجلان الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي وتلميذه الشيخ محمد باي بالعالم، ومن قبلهما جملة علماء توات المذكورين بدأ بالشيخ المغيلي في القرن التاسع الهجري ووصولا إلى الشيخ سيدي محمد بالكبير في القرن الحالي استطاع إقليم توات أن يواكب المسيرة الفقهية المالكية منذ ظهورها في الإقليم نشرا وترسيخا، وتخرج على أيديهم في كل ذلك عشرات الطلبة والأئمة الذين تعج بهم الآن معظم مدارس ومساجد القطر الجزائري خاصة، وكان بذلك فقه الإمام مالك رضي الله عنه حامي وحدة علماء وسكان الإقليم المذهبية وصمام أمان في وجه كل التيارات والانقسامات العقائدية والمذهبية التي طالت عديد الأقطار العربية والإسلامية.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .

2. **مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات.خزانة بن الوليد أدرار.**

3. **مخطوط تقاييد حول العائلة الأنصارية بتوات عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير.**

4. **مخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم.**

5. **مخطوط تقييدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار.**

6. **مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. الشيخ البكري. خزانة تمنطيط**

7. **مخطوط الدرة البهية للشيخ الحاج محمد بكراوي. خزانة تمنطيط .**

8. **مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية. محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.**

9. **مخطوط "رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد البكري". خزانة تمنطيط.أدرار.**

10. **مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل. خزانة باعبد الله أدرار**

11. **مخطوط مقدمة سيدي البكري بن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح. خزانة باعبد الله أدرار.**

12. **مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري. خزانة كوسام أدرار.**

- **المطبوعة:**

1. **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بوعزيز. ط1، 1995م دار الغرب الإسلامي**
2. **إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م. فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .**
3. **الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .مبروك مقدم .ط1 1422 هـ2002م. مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان.**

4. التـاريخ الثقـافي لإقلـيم تـوات مـن القـرن 11 إلـى القـرن 14هـ،17م إلـى 20م .الصـديق الحـاج أحمـد. ط1،2003. الجزائر.
5. تاريخ السودان .تحقيق هوداس. مطبعة بردين1898م
6. تـاريخ الفتـاش فـي أخبـار البلـدان والجيـوش وأكـابر النـاس.تحقيـق هـوداس و دلافـوس.مطبعـة بـردين. بـاريس 1964.
7. تقييـد مـا اشـتمل عليـه إقلـيم تـوات مـن الأيالـة السـعيدة مـن قصـور ووثـائق أخـرى.، المطبعـة الملكيـة الربـاط،1381 هـ، 1962م.
8. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانـا، مـالي، سنغاي، التي قامت فـي غرب إفريقيـا بين القرن 4هـ و11م. ص107 أ.د. أبـو بكـر إسـماعيل ميقـا. مكتبـة دار التوبـة .ط1.1417هـ 1997م.
9. الرحلـة العليـة إلـى منطقـة تـوات لـذكر بعض الأعـلام والآثـار والمخطوطات والعادات وما يربط توات مـن الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم .ط 1 _ 2005م. دار هومة الجزائر .
10. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم تـــوات .ج1و2.الشــيخ مـــولاي التهـــامي. ط1. مـــارس 2005.المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. الجزائر.
11. فتوحـات ألا لـه الملـك علـى الـنظم المسـمى بأسـهل السـالك، الشــيخ مــولاي أحمــد الطــاهري ج1، المطبعــة العلاويــة، مستغانم، ط1، 1994.

12. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.

13. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، (عادل نويهض، ط1، 1981 م)

14. معجم مشاهير المغاربة.أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر 1995م.

15. المورد العنبري لمعاني العبقري. الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن باعومر التنلاني.

16. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر.

17. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت .

البحـــث الخامس

خَزائنُ المخطُوطَات بأقَــاليم تـوَات (الجزائر)

ـ الواقـع والآفـاق ـ [1]

---

1. البحث نشر بمجلة آفاق الثقافة والتراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد دبي الإمارات العربية المتحدة. العدد الرابع والستون السنة السادسة عشر يناير 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد،

تعتبر منطقة توات التاريخية (ولاية أدرار حديثاً) بأقاليمها الثلاث (توات،قورارة وتيديكلت) منطقة ضاربة في أعماق التاريخ،ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام بقرون بعيدة. ولاأدل على ذلك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم، كابن حوقل والكرخي واليعقوبي والبكري والإدريسي وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان وعبد الرحمن السعدي وأبي سالم العياشي والحاج بن الدين الأغواطي والشيخ أبو راس الناصري وسعيد قدورة الجزائري، بالإضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف والمؤرخ الأسباني مار مول والكاتب الأمريكي جون هنيك والمؤرخان الفرنسيان: مارثان وبرنارد سافرو و غيرهم.

ولقد اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات)، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة[(1)]

1. هو عقبة بن نافع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة 62هـ وتوفي بمدينة بسكرة بالجزائر. (معجم مشاهير المغاربة. أبوعمران الشيخ وآخرون. جامعة الجزائر 1995م، ص365–366).

بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة[1]، وصل خيلُه توات، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزله بها أويجلّيه بها، فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف"[2]. وهو رأي انفرد به العالم محمد بن عومر (ت.ق13هـ)،في حين نراه يورد إلى هذا رأياً آخر أكثر تداولاً، وهو الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري (ت.ق14هـ).

حيث يقول:" في سنة 518 هـ حيث غلب المهدي[3] الشيعي سلطان الموحدين على المغرب. بعث قائدَيه علي بن الطيب

---

1. واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعتبر سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة140 هـ757 م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. ص62 .عبد العزيز بن عبد الله .المغرب 1976م).
2. مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري. ص04.(مخطوط).
3. هو محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي بدأت مبايعته على الخلافة سنة 515 هـ وتوفي سنة 524 هـ (الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى:أحمد بن خالد الناصري. الدار البيضاء المغرب 1997م).

والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات، لأن السلطان قبله منه في المغرم"[1]. ونرى البكري (ت.ق14 هـ) يعلق على هذه الرواية ويقول: "وهذه الرواية أصحّ ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح[2]: "التوت هو الفاكهه والجمع أتوات"، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات، فحذف المضاف، وأُقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح[3]". وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين[4] واعتُبر الرأي الأرجح

---

1. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري. ص 06 (مخطوط).
2. المصباح المنير. أحمد بن محمد الفيومي. ج 1. ص 108. ط 4. المطبعة الأميرية القاهرة 1921.
3. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم البكري. ص06.(مخطوط).
4. مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة، ومولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات والشيخ محمد باي بلعالم في محاضرته حول المنطقة.

في المسألة على ما يذكر الرواة. في حين راح البعض[1] الآخر ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك تبعا لمدلولها. وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها هل هو من الفعل واتى يواتى، أو هو اسم للمغارم، أي الأتوات، أو هو غير هذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي يحمل دلالات خاصة تبعاً للغته الأم، البربرية[2]، أوالتكرورية[3] أوالتارقية[4] أوالعربية.

عُرفت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان، "غالب أهلها ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهلها، وهضم قوة النفوس، كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[5]. وهي كلها

1. ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية " لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله، وتوطن هناك، فسمي الموضع باسم تلك العلة." تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، ص07، مطبعة بردين باريس، 1964م. أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة. ينظر ص12.
2. لغة القبائل الأصلية التي سكنت المنطقة . .
3. التكرورية لغة مدن تمبكتو وأدغاغ وزناقية وبيط وما بينهم من الحواضر .فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي .ص 26. تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حاجي .دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1401هـ 1981م
4. التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء.
5. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم البكري. ص08.

عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلماء، والزهاد من كافة الأقطار العربية والإسلامية، واستقرارهم بالمنطقة. هذا دون أن ننسى موقعها الإستراتيجي الذي تقف فيه شامخة متوسطة كبريات العواصم الثقافية آنذاك، إضافة إلى نشاطها الاقتصادي الداخلي المميز الذي جعل الحجيج في المغرب وغيره قديما يؤخرون صرف الذهب وسعر القوت من الزرع والتمر إليها بعدما غلا في بلاد المغرب.

كل هذا وغيره "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب .وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف. [(1)]"كما ذكر صاحب القاضي الفع محمود كعت[(2)]أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي[(3)]أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف. ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات

---

1. إقليم توات خلال القرنين 18 ، 19 م .ص 113. فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م . .

2. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس ودلافوس.مطبعة بردين. باريس1964.

3. ينظر: تاريخ السودان. تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م .

المتواجدة حاليا في خزائن ومكتبات مصر وموريتانيا ومالي والنيجر وغانا ونيجيريا .وهذه بعض الإحصاءات الأولية لعدد، وأماكن تواجد مخطوطات المنطقة هناك[1]:

*** مكتبة أحمد بابا بتمبكتو (مالي): 127مخطوط**

*** مكتبة ماما حيدرة (مالي): 84 مخطوط.**

*** مكتبات غانا: 31 مخطوط**

*** مكتبَتَا شنقيط وودان (موريتانيا): 08 مخطوطات.**

*** مكتبة دار الكتب والوثائق القومية(مصر) 08 مخطوطات**

*** مكتبَتَا كادونا وأبادان (نيجريا): 06 مخطوطات**

شكلت منطقة توات على مر العصور خيط تواصل وعطاء بين مختلف الشعوب القاطنة خصوصاً في شمال إفريقيا وفي جنوبها. ومن ثم انعكس الأمر إيجابا على واقع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط وأروان وغير ذلك.

ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبت النفوس على الطروس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر بالمؤلفين والمؤلفات، وفي شتى المعارف، والعلوم من فقه وتفسير ولغة

---

1. أسعى جاهدا إلى إعداد إحصائية ودراسة عامة و دقيقة لمجمل مخطوطات المنطقة المتواجدة في الخزائن والمكتبات الإفريقية وغيرها و هذا بالإطلاع على بعض الفهارس الخاصة والاستعانة ببعض الزملاء في نيامي بالنيجر وفي مدينة تمبكتو بمالي.

وتاريخ وجغرافيا وطب وفلك وغير ذلك ، واستودع كل ذلك في دور وخزائن خاصة منتشرة في كل ربوع الإقليم وقد تجاوز عددها في آخر الإحصاءات الخمسين(50) خزانة ومكتبة خاصة، وهــــــــــــــــــــــــــذه أهمهـــــــــــــــــــــا[1]

---

1. اعتمدنا في إحصائها وضبطها أولا على ما وقفنا عليه شخصياً من خلال جولاتنا الميدانية لمختلف مناطق الولاية (توات، قورارة، تيدكلت) خلال عشر سنوات على التوالي (1995، 2005م)، وثانياً على ما اطلعنا عليه من خلال لقائتنا المختلفة مع بعض المهتمين في هذا المجال من جهة، أوما جاء مسجلا في بعض سجلات جمعية الأبحاث والدراسات بأدرار. وللمزيد ينظر: رسالتنا المقدمة لنيل شهادة الماجستير. (شرح روضة النسرين في مسائل التمرين لمحمد بن أُب المزمري .تحقيق ودراسة (ص 215 إلى 220). إشراف الدكتور مختار بوعناني. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة وهران 2002م.

في أقاليم المنطقة الثلاثة، وهي مرتبة بحسب تاريخ تأسيسها وأماكن تواجدها وكذا المشرفين عليها حاليا(انظر الجدول الآتي):

الرقم	اسم الخزانة	مكان التواجد	اسم البلدية	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس	اسم المشرف الحالي
01	خزانة ع، عقباوي	قصر الزاوية	بلدية أقبلي	سيدي بونعامة	652 هـ	عائلة عقباوي
02	خزانة أركشاش	قصر أركشاش	بلدية أقبلي	محمد التهامي	ق. 07 هـ	؟
03	خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	بلدية أقبلي	محمد بن مالك	ق. 08 هـ	بن مالك عبد الكريم
04	خزانة لمطارفة	قصر لمطارفة	بلدية لمطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشيدي	ق. 09 هـ	عائلة بن ع الكبير
05	خزانة سيد الحاج بلقاسم	قصر زاوية سيد الحاج بلقاسم	بلدية تيميمون	سيدي الحاج بلقاسم	ق. 10 هـ	أحفاد الشيخ سيد الحاج بلقاسم

06	خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ	بلدية زاوية كنته	الشيخ المغيلي	ق. 10 هـ	أحفاد الشيخ المغيلي
07	خزانة تبلكوزه	قصر تبلكوزه	بلدية تينركوك	سيد الحاج أبو أمحمد	ق. 10 هـ	بولغيتي باحمود
08	خزانة زاوية الدباغ	قصر زاوية الدباغ	بلدية تينركوك	سيدي محمد الدباغ	ق. 10 هـ	الدباغي أحمد بن محمد
09	خزانة فاتيس	قصر فاتيس	بلدية تينركوك	سيدي محمد بن عبد الله	ق. 10 هـ	باسيدي أحمد بن العربي
10	خزانة بادريان	قصر بادريان	بلدية تيميمون	سيد الحاج الصوفي	ق. 11 هـ	الصوفي محمد السالم
11	خزانة سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر	بلدية أوقروت	الشيخ سيدي عومر بن أحمد	ق. 11 هـ	الحاج أقرابو
12	خزانة الشيخ الرقاني	قصر زاوية الرقاني	بلدية رقان	مولاي عبد الله الرقاني	ق. 11 هـ	السي محمد الرقاني
13	خزانة أنزقمير	قصر أنزقمير	بلدية أنزقمير	؟	ق. 11 هـ	عبد الرحمان بن عبد الكريم
14	خزانة زاوية سيدي حيدة	قصر زاوية سيدي حيدة	بلدية بودة	سيدي حيدة	ق11هـ	أبا سيدي جعفري

15	خزانة زاوية كنته	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الكنتاويون	ق. 11 هـ	كنتاوي الحاج أمحمد
16	خزانة تنيلان	قصر تنيلان	بلدية أدرار	سيدي أحمد بن يوسف	ق. 11 هـ	بن حسان أحمد
17	خزانة زاقلو	قصر زاقلو	بلدية زاوية كنته	؟	ق. 13 هـ	محمد العالمي
18	خزانة الشيخ سيدي أحمد ديدي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي أحمد ديدي	ق. 14 هـ	البكري الحاج أحمد
19	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	محمد بالعالم	ق 14هـ	شاري الطيب
20	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	الحاج محمد بن سيدي جعفر	ق14هـ	الحاج عبد الرحمان جعفري
21	خزانة سالي	قصر سالي	بلدية سالي	مولاي أحمد الطاهري	ق. 14 هـ	مولاي عبد الله طاهري
22	خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	بلدية أدرار	بن الوليد	ق. 14 هـ	بن الوليد وليد

23	خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي ادرار	بلدية ادرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق 14 هـ	محمد السالم بن ع الكريم
24	خزانة الشيخ محمد باي بلعالم	قصر الركينة	بلدية أولف	محمد باي بلعالم	ق. 14هـ	الشيخ باي بلعالم
25	خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	بلدية أولاد أحمد	؟	ق. 14 هـ	مولاي قريشي
26	خزانة باحو	قصر باحو	بلدية سالي	؟	ق14هـ	بلحبيب عبد الرحمان
27	خزانة سيدي محمد الصدوق	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي محمد الصدوق	ق. 14 هـ	؟
28	خزانة فاعون	قصر الحاج قلمان	لدية أولاد سعيد	محمد الطاهر	؟	أباحيا الطيب
29	خزانة الشيخ إبراهيم	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	إبراهيم بن عبد القادر
30	خزانة أولاد سعيد	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	الجوزي عبد الرحمان
31	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	بلدية أولف	؟	؟	الشيخ أبختي امبارك

32	خزانة الشرفاء	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الشرفاء	؟	عائلة اسماعيلي
33	خزانة بني مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	بزكار بلقاسم
34	خزانة بن مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	أبا الصالح
35	خزانة وجلان	قصر وجلان	بلدية تسابيت	؟	؟	؟
36	خزانة برينكان	قصر برينكان	بلدية تسابيت	؟	؟	باعربي عبد القادر

37	خزانة ملوكة	قصر ملوكة	بلدية أولاد أحمد	البلباليون	؟	بلبالي عبد الرحمان
38	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	شاري محمد بن محمد
39	خزانة بني تامر	قصر بني تامر	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	مبدو بي أمحمد
40	خزانة زاوية سيدي البكري	قصر زاوية سيدي البكري	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	بكراوي محمد بن سالم
41	خزانة البلباليين	قصر أولاد ونقال	بلدية أدرار	عائلة البلباليين	؟	بلبالي الطاهر
42	خزانة آدغا	قصر آدغا	بلدية أدرار	؟	؟	سليماني علي
43	خزانة أ. علي بن موسى	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	محجوبي عبد العزيز
44	خزانة سيدي سالم	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	البكري الجازولي
45	خزانة أولاد سيدي وعلي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	بكراوي الحاج أحمد
46	خزانة تمنطيط	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط			صديقي بومدين
47	خزانة عباني	قصر عباني	بلدية فنوغيل	؟	؟	سالم سالم
48	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	محمد بن سيدي جعفر	؟	عبد الرحمان جعفري
49	خزانة الشيخ	قصر زاوية حينون	بلدية أولف	؟	؟	الشيخ أبختي امبارك

	بختي					
50	خزانة آدغا	قصر آدغا	بلدية أدرار	؟	؟	سليماني علي

والجدير بالذكر أن هذه الخزائن جميعها تختلف فيما بينها أهميةً وتواجداً للمخطوط وإن كانت أقل واحدة منها تحوي بين سقوفها حاليا ما يزيد عن مائتي مخطوط تقريبا، بينما وصل العدد في البعض الآخر منها الألفي مخطوط. كما تختلف عن بعضها البعض أيضا في قيمتها التاريخية وأهمية محتوياتها كخزانات ملوكة وتمنطيط و المطارفة وهو ما جعل هذه الثلاثية قبلة لزيارة المفكرين والباحثين العرب والأعاجم كالمؤرخ والرحالة أبي سالم العياشي والمفكر الجزائري مالك بن نبي، والمؤرخ الألماني جيرهارد رولف وغيرهم كثير.

ولما "كانت العربية محور كل هذه الدراسات، ومحركها الأساسي في فهم الكثير من المسائل الدينية، والدنيوية، فقد أخذت علوم العربية قسطها الأوفر من العناية والدراسة، وتخصص فيها جملة من العلماء ألفوا في ذلك كتباً نحويةً وصرفيةً وبلاغيةً وعروضيةً وما إلى ذلك. ويعتبر القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي العصر الذهبي في تاريخ المنطقة بالنظر إلى العدد الهائل من العلماء الذين نبغوا فيه"[(1)]

1. محمد بن أب المزمري (**1160**هـ) حياته وآثاره .أحمد أبا الصافي جعفري .ص **31**. **32**. دار الكتاب العربي الجزائر. ط**01**. **1425**هـ **2004**م.

من جهة وإلى وفرة مخزونه المخطوط الذي وصل في أقل التقديرات إلى أكثر من خمسة وعشرين ألف مخطوط من جهة أخرى هذا أن "ذلك أن الإقليم لم يخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم البلدان العربية وسَلِمت اللغة العربية من مزاحمة اللغة التركية"[1].

كل هذا ما كان ليوجد أو ينتج لولا وقوف جملة من نخبة الفكر ورجال الإصلاح في المنطقة ومنذ قرون بعيدة، رجال حملوا لواء الفكر والأدب وراحوا يتصفحون لنا ذاكرتهم ومعارفهم ليعصروا لنا تجاربهم، رجال هانت في أعينهم المشقات حين قاسوها بالغايات، رجال ظلوا ولسنوات طويلة تحت وطأة الإهمال والنسيان على الرغم من غزارة إنتاجهم وأهميته لما يحمله من بوادر الاجتهاد والتجديد، وقد ضاع منه ما ضاع وما أكثره،ووصل إلينا القليل القليل والحمد لله على كل حال.

وفي كلّ فإن هذا الجزء القليل من المخطوطات التي فلتت من قبضة الإهمال والنسيان ما كان لها أن تصارع الزمن لتصمد طويلا أمام خصوصيات المنطقة في كثرة رمالها وزوابعها خريفا، وفرط حرارتها اللافحة صيفا، وقساوة برودتها شتاء. وهي عوامل

1. إقليم توات خلال القرنين 18، 19 م. فرج محمود فرج.

لم تكن وحدها عوامل ضياع وتلف للمخطوط على مر التاريخ في غياب أبسط وسائل الحفظ الحديثة، بل زادها الإنسان نفسه بصمته السلبية بقصد أو بغير قصد كما فعل المحتل الفرنسي في نهبه وتهريبه لآلاف المخطوطات معه خارج الوطن وبمباركة بعض سماسرة التراث من أبناء جلدتنا أحيانا .هذامن جهة، ومن جهة أخرى ما يفعله بعض الخاصة وكثير من العامة وإلى الآن و الذين لايزالون يعايشون احتضارها في صمت وسمت.

ووسط هذه الأجواء (الكارثية) التي تعقبت أكبر ثروة تاريخية للمخطوط في الوطن الجزائر قاطبة، انطلقت سفارات الإنذار وصرخات الاستغاثة المختلفة لنجدة ما أمكن من ذلك ، فكان أن شُكلت مع بداية الثمانينات أُولى خيوط العناية بهذا الإرث في شكل جمعية خاصة للعناية بالبحث والدراسات التاريخية في الولاية، ومعها عرفت المنطقة تدريجيا حركة وعي واهتمام أنبأت في مجملها عن حجم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الجميع. وما حملات التوعية المختلفة لأرباب الخزائن من جهة، ومدهم ببعض المساعدات -على قلتها -من جهة أخرى إلاّ خير شاهد في هذا المقام. هذا دون أن ننسى تلك التجمعات والملتقيات المحلية والوطنية وحتى الدولية، والمبادرات الهادفة إلى تكوين فرق متخصصة ومؤهلة للتعامل مع المخطوط ووضع

فهارس[1] عامة لهذه الخزائن. والتي قادها في الغالب أساتذة جامعيون مختصون، ومراكز بحث وطنية ودولية، وتكفل بتبعاتها المادية والمعنوية بعض المحسنين من القطاع الخاص الذين أخذوا على عاتقهم تكاليف العملية عن آخرها على أمل خلق جو طبيعي من الثقة بين أرباب الخزائن والمالكين للمخطوط، وبين الباحثين والمهتمين في هذا المجال. وهذا و وحده هو الضامن الأساسي لكل استثمار علمي وعملي جاد في هذا الميدان مستقبلا بعيدا عن لغة السين وسوف وبقية الضمائر البلهاء.

وخوفا من تلف وضياع المزيد من المخطوطات داخل هذه الخزائن عمد بعض القيّمين على شؤون المخطوط حديثا إلى إعادة نسخ وترتيب بعض المخطوطات من جديد،كما عمد البعض الآخر إلى شرحها وتحقيقها مثلما الأمر مع خزانات تمنطيط و المطارفة وكوسام وأولف وبودة وأدرار وغيرهم. وهي محاولة صادقة وطريقة جادة وظفها المالكون لهذا الإرث وبمجهودهم الشخصي بهدف الحفاظ على ما أمكن من هذا الزخم التاريخي من جهة،

---

1. مثل فهرس مخطوطات ولاية أدرار .للدكتورين بشار قويدر ومختار حساني. وهو من أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ1999م .مطبعة عمار قرفي .باتنة الجزائر.

وتقريبه إلى أعين وأقلام الباحثين والمفكرين من جهة أخرى. والعملية بما تقتضيه من صبر وإتقان وجدت في أنامل هؤلاء أمانة ودقة علمية باهرة حفاظا على المخطوط الأصل كما وجد، وليضيفوا بذلك إلى عمل من سبقوهم بصمتهم الذهبية الخاصة في نهاية المخطوط وذلك بذكر اسم الناسخ وتاريخ ومكان نسخه. وهي مبادرة جريئة ومميزة اقتطع المشتغلون عليها وقتها ووسائلها من عمر شبابهم وصحة جسدهم، وقوت عيالهم ليوفروها لقمة سائغة وغذاء ناضجا لكل عقل بشري.

هي مبادرة إذن وأية مبادرة!! لكنها قليلة بين عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات، ومع هذا تظل بعيدة عن أي استثمار حقيقي. ولولا حرص هؤلاء وإدراكهم بحجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقهم من جهة، وتقديرهم لجهد بعض الخيرين من جهة أخرى، لوجد الجميع في تصرفات بعض الخواص وكثير من العوام في تعاملهم مع التراث عامة والمخطوط خاصة أيسر السبل للفرار من هذا الواقع.

المصادر والمراجع

1. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: أحمد بن خالد الناصري. الدار البيضاء المغرب 1997م.
2. إقليم توات خلال القرنين 18،19 م. فرج محمود فرج. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1977م.
3. بحث حول خزانة الشيخ الحاج عبد القادر بن سالم المغيلي. في إطار مذكرة التخرج لنيل شهادة التكوين المتخصص في المخطوطات .جامعة الجزائر .2005. الأستاذان: بوجمعة دليمي ومبارك جعفري
4. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، مطبعة بردين باريس، 1964م
5. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين. باريس.1964
6. التعريف ببعض الجوانب الحضارية لإقليم توات. محاضرة للشيخ محمد باي أدرار. الجزائر.
7. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي. تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حاجي .دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1401هـ 1981م .
8. فهرس مخطوطات ولاية أدرار .للدكتورين بشار قويدر ومختار حساني. وهو من أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ. 1999م .مطبعة عمار قرفي .باتنة الجزائر .

9. شـرح روضــة النسـرين فــي مسـائل التمـرين لمحمـد بـن أُب المزمـري .تحقيـق ودراسـة .أحمـد جعفـري .رسـالة ماجسـتير .إشراف الدكتور مختار بوعناني. قسم اللغة العربيـة وآدابهـا .جامعة وهران 2002م
10. محمـد بـن أب المزمـري (1160هـ) حياتـه وآثـاره .أحمـد أبـا الصـافي جعفـري .ط.01. 1425هـ 2004م دار الكتـاب العربـي الجزائر
11. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري.
12. مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات
13. مخطوط نقل الـرواة عن من أبـدع قصـور تـوات: محمـد بـن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري.
14. المصـباح المنيـر. أحمـد بـن محمـد الفيـومي. ط 4. المطبعـة الأميريـة القاهرة 1921 .
15. معجم مشاهير المغاربة. بوعمران الشيخ وآخـرون. جامعة الجزائر 1995م.
16. الموسـوعة المغربيــة للأعـلام البشـرية والحضــارية .عبـد العزيز بن عبد الله. المغرب 1976م.

البحــث السادس

المخطوطات العلمية وأعلامها
في الخزائن والمكتبات التواتية
(جنوب الجزائر)[1]

---

1. البحث ألقي في المؤتمر الدولي الأول في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين المنعقد بجامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة أيام **24**، **25**، **26**، **27** مارس **2008**م.

الملخص:

يعتبر الإقليم التواتي بما يحتويه من عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات الخزان الحقيقي للتراث المخطوط في الجزائر عامة إذ تشير آخر الإحصاءات في هذا المجال أنه وحتى سنة 1962 م كانت بالإقليم قرابة العشرين ألف مخطوط متوزعة على أزيد من 100خزانة ومكتبة محلية بالإضافة إلى عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن مدن: مالي، موريتانيا، النيجر، غانا، نيجيريا، المغرب، تونس ومصر وغيرها.

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة عامة على أهم هذه المخطوطات العلمية تحديدا في واقعها الحالي، فإننا نجد أن جل إنتاج هذه المرحلة قد ضاع مما ضاع من مخطوطات الإقليم، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، أو بفعل عوامل الإنسان نفسه، وإيمانا منا بمساهمة الجميع في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة، والوقوف على أثر علومنا العربية والإسلامية في مسيرة الحضارة الإنسانية من جهة، وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على كثير من المخطوطات العلمية التواتية في صراعها حول رحلة البقاء -وما أصعبها -من جهة أخرى. جاءت مشاركتنا للإخوة القائمين على هذا المؤتمر العلمي القيّم والهادف تصفحا لبعض رفوف خزائن

ومكتبات الأقاليم التواتية في محاولة لاستجلاء أهم رموز هذه الحركة العلمية في ما خلفوه من آثار وأعمال علمية على امتداد ثمانية قرون من الزمن تقريبا، بهدف تقريبه من الباحثين والمختصين، ولنا في كل ما تبقى من آثار مخطوطة، ومعالم مرصوصة -على قلتها -كبير الأمل في الوصول إلى ما قد يشكل يوما بإذن الله منطلقا ونواة حقيقية لدراسات علمية معمقة في هذا المجال.

* فما علاقة هذه الأقاليم بالمخطوطات أولا؟ وما هو وضعها وتعدادها العام فيها ؟

* ما طبيعة موضوعات هاته المخطوطات العلمية ؟ وما هي أوضاع حفظها وصيانتها ؟

* وأخيرا من هم أهم أعلام هاته المخطوطات تأليفا ونسخا ؟ ومتى كان ذلك تحديدا ؟

أسئلة قليلة من كثيرة نرغب في إثارتها، على أمل الوصول -معا -بإذن الله إلى إجابات كافية، وتوصيات شافية لما من شأنه أن يسهم في إنقاذ تراثنا العلمي وإنصاف علمائنا. والله من وراء القصد.

نص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد،

ليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إن المخطوطات العربية هي من أقدم الآثار الفكرية والإنسانية التي وصلتنا سالمة حتى هذا العصر، وليس من المبالغة في شيء كذلك إذا قلنا إن المخطوطات العربية قد فاقت في عددها وتنوعها أي تراث فكري عالمي آخر .لكن مع كل هذا فقد استطاع العدد القليل من هذا الإرث أن يفلت من قبضة الزمن لأسباب وعوامل معروفة.

والحديث عن المخطوطات في الأقاليم التواتية[1] في حدودها الزماكنية عربيا وإسلاميا،كجزء لايتجزأ من تراثنا العربي والإسلامي عامة يقتضي منا الوقوف أولا عند مكانة الإقليم نفسه في تاريخه وحضارته، في علاقته ومدى تأثره وتأثيره .بالإضافة إلى أهم العوامل المساعدة في هجرة العلماء إليه واستقرارهم به لفترات طويلة من الزمن.

تضم الأقاليم التواتية حاليا غالبية (ولاية أدرار حديثاً) باستثناء منطقة تنزروفت الحديثة ومنطقة عين صالح التابعة لولاية تمنراست.

---

1. تقع جنوب الجزائر بنحو 1500كم .

وهي تتوزع تاريخيا على أقاليم ثلاث (توات،قورارة وتيديكلت).

تعتبـر الأقـاليم التواتيـة ـ ضـاربة فـي أعمـاق التــاريخ، ويرجـع تـاريخ عمـــارتها إلـــى مـــا قبـــل الإسـلام بقـــرون بعيـــدة. ولا أدل علـى ذلـك مـن كثـرة الحـديث عنهـا فـي كتـب المؤرخيـــن والرحالـــــة العـــرب والأعـــاجم، كـــابن حـوقـل[1]والكرخـــي[2]، وابـــن بطوطـة[3] وابــن خلــدون[4] والحســن الــوزان[5]وعبــد الـرحمن السعــدي[6] وأبـي سـالم العياشـــــــي[7] والحـــــاج بـــــــن الــــــدين

1. أشار لها في كتابه صورة الأرض ص 83 طبعة أبريل 1938م.
2. أشار لها في كتابه المسالك والممالك ص36. تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي. 1961م مصر.
3. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص 699 و 700. دار صادر بيروت.
4. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج 1، ج1 ص 93، مج 6ج 11 ص 120، 123، 133، 206 .مــج7، ج13 ص 118، 119 .دار الكتــاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.
5. ذكرها في كتابه وصف إفريقيا ج 2 ص 133 وما بعدها .ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر .1983 دار الغرب الإسلامي .لبنان.
6. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها.
7. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص 20. وزار الإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ .

الأغواطي[1] بالإضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف[2] والمؤرخان الفرنسيان: مارثان[3] وبرنارد سافرو[4] وغيرهم.

لقد شكلت الأقاليم التواتية عبر تاريخها الطويل، وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي الذي توسطت فيه كبريات العواصم الثقافية عربيا وإسلاميا خيط تواصل وعطاء بين مختلف هذه الشعوب، ومن ثم انعكس الأمر إيجابا على واقع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط وأروان وغانا وغير ذلك.

كل هذا وغيره "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب

---

1. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة 1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة .ينظر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. أبوالقاسم سعد الله. ج2. ص401. ط 2 الجزائر 1985.
2. زار الإقليم سنة1864م وتحدث عنها في كتاباته. المصدر السابق. ص64.
3. زار الإقليم سنة 1904 م. وكتب عنه في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب1504 إلى1902م) المصدر نفسه. ص45.
4. ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات(معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي العلمي غرداية.

المشرق والمغرب، وفي نفس الوقت قام علماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف"[1]. كما ذكر القاضي محمود كعت أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات[2]. ويضيف السعدي أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف[3]. ولهؤلاء جميعا وغيرهم من علماء الإسلام آلاف المخطوطات الموجودة حاليا في خزائن ومكتبات الأقاليم التواتية خاصة بالإضافة إلى خزائن ومكتبات

---

1. إقليم توات خلال القرنين18، 19 م. ص113. فرج محمود فرج .د م ج .الجزائر 1977م.
2. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964.
3. ينظر: تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م .

كل من مدن: مالي، وموريتانيا، و والنيجر، وغانا، ونيجيريا، والسنغال وغيرها. وهو ما كان رافدا أساسيا في تاريخ نهضة كثير من هذه الدول على مر العصور.

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة عامة على أهم هذه المخطوطات العلمية في واقعها الحالي، فإننا نجد أن جل إنتاج هذه المرحلة قد ضاع مما ضاع من مخطوطات الإقليم شأنه في ذلك شأن كثير من تراثنا الإسلامي عامة، وذلك كله بفعل عوامل الطبيعة القاسية، أو بفعل عوامل الإنسان نفسه ويكفي أن نشير هنا إلى أنه "قبل عملية النهب والضياع التي تعرض لها المخطوط في الولاية، والتي بدأت قبل القرن17 الميلادي كان يوجد سبعة وعشرون ألف مخطوط"[1] وفي آخر إحصاء لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بولاية أدرار، والذي شمل 29 خزانة فقط من بين أكثر من سبعين خزانة للمخطوطات، تبين أن هناك ثلاثة آلاف مخطوط مفهرسة فقط من مجموع اثني عشرة ألف مخطوط تم إحصائها.

وإيمانا منا بمساهمة الجميع في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة، وكسر جدار الصمت المضروب من حولها من جهة، وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على كثير من الآثار العلمية

---

1. دليل ولاية أدرار**1999** م، ص**17**، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).

الإسلامية وما أنتجه العقل العربي الإسلامي في سالف مجده وأنار به دروب البشرية الحالكة كانت لنا هاته المبادرة الأولية في تصفح بعض من رفوف خزائن المخطوطات بالإقليم في محاولة لاستجلاء أهم رموز هذه الحركة العلمية في ما خلفوه من آثار وأعمال علمية تحديدا، ولنا في كل ما تبقى من آثار مخطوطة، ومعالم مرصوصة -على قلتها -كبير الأمل في الوصول إلى ماقد يشكل يوما لبنة أخرى من لبنات صرح حضارتنا التليدة.

لقد شملت هذه الدراسة مبدئيا خمس خزائن من أصل خمسين خزانة زرناها، ووقفنا شخصيا على أهم ما جاء فيها من مخطوطات علمية وأعلامها وصفا وترجمة. وقبل البدء مع وصف هذه المخطوطات العلمية وتحديد طبيعتها وجب التنبيه إلى ملاحظتين اثنتين أولهما: إن طريقة الحفظ بشكل عام في هذه الخزائن لا تبشر بخير، ويبقى المخطوط فيها يصارع الفناء ليل نهار. ثانيا إن موضوعات الفلك والطب وما أنتجه العقل الإسلامي في هذين الميدانين تحديدا قد أخذ حيزا كبيرا من رفوف هذه الخزائن، ومع هذا فقد بقيت في معظمها بعيدة عن أعين الباحثين والمحققين، نذكر منها:

أولا: مخطـوط: "التقييـد المجمـوع لمـن هـو فـي هـذا الفـن مولوع"[1]:

لما كان فن الخط وتأليف المخطوطات من أكثر الفنون التي اشتغل عليها التواتيون وخلّفوا فيها آلآف المخطوطات المؤلفة والمنسوخة كغيرهم من أبناء الإسلام،كان من الضروري الحديث عن الورق والخط وصناعة الألوان، وفي هذا الباب عثرنا على مخطوط صغير ومهم في بابه. ذلك أنه جاء يتحدث عن موضوع صناعة الألوان وطرق استخراجها من النباتات والأعشاب.

المخطوط لمؤلف من الإقليم التواتي، وهـو غير محقق فيما نعلم. أمـا مؤلـفه فهـو الشيخ سيـدي يوسـف: (ق 13هـ)[2] بـن سيدي عبد الحفيظ بـن محمد بـن عبد الحميد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التنلاني التواتي.

جاء المخطوط في أربع أوراق وسبع لوحات من الحجم الصغير، ومع هذا فقد تضمن معلومات قيمة ودقيقة في بابه، واحتوى على مقدمة وثمان كيفيات في عقد الألوان. حيث يقول المؤلف في مقدمته بعد الحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... أما بعد لما منّ الله تعالى بتعلم الخط وشغل بالي أردت أن أقيد لنفسي تقييدا لعقد بعض ألوان المداد مما قيده لي بعض الطلبة ومما سمعته من بعضهم الممارسين لذلك... وسميته التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع والله أسأل أن يكون من العمل المتقبل المرفوع وأن ينفع به من

---

1. المخطوط محفوظ بشكل جيد في خزانة كوسام بأدرار .

2. ينظر ترجمته في: كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات .ج 02 ص37. ، وكتاب قطف الزهرات.

قـرأه أو نظـر إليــه بعـين الرضــا خيــر المنفـوع محتويــا علــى تنبيهـين... وتتمـة وكيفيـات ثمـان كـل كيفيـة فـي عقـد لـون مـن الألوان."[1]

وبعد هذه المقدمة شرع المؤلف في عرض كيفياته الثمانية في صناعة الألوان تفصيلا وجاءت مقسمة نحو الآتي:

الكيفية الأولى في عقد المداد الأسود، الكيفية الثانية في عقد لون من الحمرة، الكيفية الثالثة في عقد لون آخر من الحمرة.، الكيفية الرابعة في عقد الزنجفور، الكيفية الخامسة في عقد الزرنيخ وسحقه.،الكيفية السادسة في عقد الزنجار.، الكيفية السابعة في عقد اللون الأزرق، الكيفية الثامنة في عقد الزعفران حتى يصير ملونا كالذهب.

أما الخاتمة فقد جاءت منه نصحا وتوجيها في ضرورة تعلم الخط وإتقانه حيث قال فيها "واعلم أن الخط الحسن حكمه

---

1. مخطوط التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع ص 01 .يوسف بن عبد الحفيظ. خزانة كوسام أدرار.

ومعرفته هذه الألوان، تعين بحول الله وقوته عليه وبه فسر قوله تعالى (ومن يوتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فليحث اللبيب على تعلمه وتعليمه ولقد أحسن القائل فيه حيث قال:

تعلم قوام الخط ياذا التأدب
ولازم له التعليم في كل مكتب
فإن كنت ذا مال فخطك زينة
وإن كنت محتاجا فأفضل مكسب"[1]

ثانيا: مخطوط في علم الفلك[2] للشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر:

المخطوط جاء في ست لوحات و مبتور الأخر وكتب بخط مغربي دقيق جدا تصعب قراءته. كما أن الناسخ على ما يبدو نقله عن نسخة أخرى حيث يقول في بدايته: "ما نقل عن تأليف الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر الأخضر المسمى بالسراج في علم الفلك مانصه: فصل في معرفة ساعة النهار... وتعرف الساعة... من جملة الشهور والأيام"[3]

ثالثا: وللشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر (1189هـ) مخطوط[4] آخر في علم الفلك وهو عبارة عن منظومة في أزيد

---

1. مخطوط التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع ص 01 ..يوسف بن عبد الحفيظ. خزانة كوسام أدرار .
2. المخطوط محفوظ في خزانة كوسام أدرار.
3. ينظر نص المخطوط اللوحة الأولى .
4. ينظر: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني ص56. الشيخ محمد باي. ط1 دار هومة الجزائر.

من عشرين بيتا ومن بحر الرجز أيضا بحر المتون العلمية حيث قال:

الحمد لله الذي علمنا
من النجوم ما به اهتداؤنا
في ظلمات البحر ثم البر
سبحانه من قادر وبر
وخصنا بأفضل البرايا
محمد ذي الفضل والمزايا
صلى عليه ربنا وسلما
وآله وكل من له انتمى
وبعد فالقصد بذا المسطور
قسم المنازل على الشهور
لبعضها أشير بالحروف
بالعدد المصطلح المعروف

ثم شرع بعد ذلك في ذكر رموز ومنازل الشهور بالحروف

إلى أن قال في نهايتها:

قد انتهى والحمد لله على ما مَنّ من آلائه وأفضلا

والشيخ سيدي عبد الرحمن [1](1189هـ) بن عمر التنلاني:

هو سيدي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد... ويصل نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ولد في مسقط رأسه بتنلان وتنقل بين عواصم تاريخية كبرى وأخذ بها عن شيوخ أجلاء ترجم لهم في مخطوط خاص منهم: الشيخ عمر بن عبد القادر، والشيخ محمد بن أُبّ المُزمّري، وفي فاس أخذ عن الشيخ محمد العربي والشيخ سيدي أحمد السقاط وغيرهم .توفي بمصر أثناء عودته من الحج وكان ذلك تحديدا في اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة (1189 هـ) ودفن بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي بمنطقة قايَتْبَايْ ضواحي القاهرة. من آثاره: مخطوط مختصر الـــــدر المصــــــون فـــــــي إعــــــراب

---

1. ينظر: مخطوط تراجم شيوخه. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص29 وما بعدها ،ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص03. ومخطوط جوهرة المعاني. ص23 وما بعدها .ومخطوطات رحلاته الثلاثة. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ج02. ص220 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمن بن عمر التنلاني. وكتاب قطف الزهرات. ص99 وما بعدها.

الكتاب المبين. مخطوط تراجم شيوخه. مخطوط مختصر النوادر في الفقه. مخطوطات ثلاثة أرّخ فيها لرحلاته إلى الحج، أوفي طلب العلم. بالإضافة إلى تقيدات فقهية مختلفة وقصائد شعرية عدة.

رابعا: مخطوط "المقتع في علم أبي مُقرع"[1]: في الفلك.

المخطوط عبارة عن رجز مختصر في علم الفلك لناظمه محمد بن سعيد بن يحي السوسي (1090 هـ). ورد مبتور الآخر وهو مكتوب بخط مغربي غليظ، وعناوين فصوله كتبت باللون الأحمر يقول الناظم في مطلع المخطوط:

يقول بعد حمد رب الفلك * ثم على محمد الهادي الزكي
أزكى السلام وعلى الأشراف * آل النبي وكل ذي انصاف
محمد نجل سعيد السوسي * المرتجي مغفرة القدوسي
يا سائلا مختصرا يكون في * نظم أبي مقرع المؤلف
خذه بعون القادر المهيمن * كما أردت وبه فاستعن

خامسا: مخطوط "شرح المقتع في علم أبي مقرع"[2] في الفلك: وهو للمؤلف السالف الذكر. وهو شرح كامل جاء

---

1. المخطوط محفوظ في خزانة با عبد الله أدرار.

2. المخطوط محفوظ في خزانة با عبد الله أدرار .

في أربعة وأربعين لوحة من الحجم المتوسط وعليه حواشي عديدة وقد قسمه الشارح إلى مقدمة وفصول تبعا لأبيات المنظومة حيث يقول في بداية المخطوط بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي المختار: "... وبعد فيقول أحوج العبيد لعفو ربه الكريم الوجل الخائف من عواقب ذنبه العظيم محمد بن سعيد بن محمد بن يحي بن أحمد بن داوود بن أبي بكر بن يعزى السوسي المرغتي: هذا شرح قصدت به تبيين رجزنا المسمى بالمقنع في علم أبي مقرع قاصدا فيه الاختصار والوقوف عند الحاجة والاقتصار لقصور الفهم في هذا الزمان القليل الخير الكثير الشر والضير، نسيت فيه العلوم، وامتحت منها قيد الرسوم إنا لله وإنا إليه راجعون"[1]

وقد قسم الشارح مؤلفه إلى مقدمة وفصول حيث تعرض في المقدمة إلى معنى هذا علم التنجيم وأهميته وكذا أول من نظر فيه حيث قال: " مقدمة: اعلم أن هذا العلم يعرف عند الناس بعلم التنجيم، والتنجيم مصدر نجم الرجل إذا نظر في النجوم فهو منجم .ولما كان أكثر هذا العلم مبينا على سير النجوم والشمس والقمر والبروج والمنازل والدوائر. وكل الذي أراد لا بد أن ينظر في النجوم فيعرفها بأعيانها وأسمائها سمي ذلك التنجيم. وأصل معرفة

1. مخطوط: "شرح المقنع في علم أبي مقرع" اللوحة الأولى.

هذا الفن الذي لا بد منه أولا معرفة منزلة الشمس وبرجها ومعرفة اليوم الأول من الناير. وأول من نظر في علم النجوم سيدنا إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فكان علمه مستقيما إلى زمان نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام فكتبه في ألواح من طين.."[1]

وبعد المقدمة جاء تفصيل الفصول والأبواب فكان الفصل الأول في معرفة أيام العرب والمهمات منه، ليتبع بفصل ثان في معرفة مامضى من الشهر العجمي والعربي، ثم فصل في معرفة منزلة القمر وبرجه، وآخر في أوقات الصلوات والسحور والساعات والطالع، وبعده فصل في أمكنة الدراري ومقامها وبيوتها وأيامها.

وتبين وتفصيل فصول وأبواب النظم يأتي في الختام ليذكر بعدد أبيات المنظومة وتاريخ نظمها فيقول في رجزها أولا:

سميته المقنع في علم أبي * مقرع أبغي نفع أمة النبي

أبياته (ضحا)وعامها (شم) * مصليا على النبي الهشمي

ثم يقول معلقا على هذه الأبيات: "أي أبيات هذا المختصر على عدد حروف (ضحا) وهو تسعة وتسعون بيتا مزدوجات وعدها خوف الزيادة والنقصان منها. وقوله وعامها (شم) أي العام الذي نظمت

1. مخطوط "شرح المقنع في علم أبي مقرع" اللوحة الأولى.

فيـه أبيـات هذا المختصر هو بعدد نقط حرفـي (شم) وهو عـام أربعـين وألـف (1040 هـ)"[1] . إلـى أن يقـول فـي آخـر الشـرح: "وسميت هذا الشرح الممتع في شرح المقنـع ومعنـاه إنـه يمتعك إذا نظرت فيه بمسائل العلم وينعمك. نسأل الله العظيم بجاه نبيـه الكريم أن يجعله كذلك مكملا للمقصود من الانتفاع به وحقق فيـه الرجـاء والإمتـاع ويجعلـه خالصـا لذاتـه الكـريم تبـارك وتعـالى، ويثبت أجره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم وصـلى الله علـى سـيدنا ومولانـا محمـد وعلـى آلـه وأصـحابه وأزواجه وذرياته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين"[2]

وقد قام بنسخ هذا المخطوط الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمـر التـواتي1189 هـ وكـان ذلـك ضـحى يـوم الإثنـين الخـامس والعشـرين مـن ربيـع الثـاني سـنة 1168 هـ. وهو مخطوط كامل وجيد الأوراق.

سادسا: مخطوط في الطب[3]:

جاء هذا المخطوط في أزيد من 300 صفحة تقريبا وهو بدون عنوان ومبتور الأول ليس فيه ذكر للمؤلف ولا الناسخ ولا تاريخ

1. مخطوط "شرح المقنع في علم أبي مقرع" اللوحة الرابعة والأربعين .

2. مخطوط "شرح المقنع في علم أبي مقرع" اللوحة الرابعة والأربعين .

3. المخطوط محفوظ في خزانة قصر ملوكة ولاية أدرار الجزائر

النسخ وهو بخط مغربي غليظ وملون، عناوين أبوابه باللون الأحمر والأخضر كما جاءت كلمات النص مشكولة بلون أحمر. وقد ضم الكتاب إثنين وستين بابا بحيث يبدأ من الباب الثاني الذي عنونه باب في علاج النّواسير والثالث والبتور وهي أمراض تصيب النساء. وينتهي في الباب الثاني والستين الذي جاء في أنواع الفك الذي يكون مع جرح أومع كسر أو معهما. ولم تأتي في المخطوط خاتمة معينة ولكن الكتاب انتهى بنصائح عامة وما ينبغي أن يتوفر في المعالج من حذق بالصنعة وطول الدربة والرفقة والشفقة في غير تهور ولا جسور.

جاء المخطوط الطبي مدعما بكثير من الرسوم والصور لمختلف الآلات المستعملة في التطبيب مثل آلة المَربَع الذي يدفع به الجنين و المبضع الذي يقطع به الجنين وصورة المحجمة التي تستعمل في النار وغير ذلك. كما نسجل اهتمام المؤلف في جزء كبير من مخطوطه بالجنين وسبل إخراجه والمحافظة عليه. وانتهى المخطوط دون ذكر للمؤلف ولا الناسخ حيث جاء في ختامه: "كمل بحمد الله وحسن عونه والصلاة التامة على سيدنا محمد خاتم النبيئين ورضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وغفر الله العظيم لكاتبه ولقارئه وللمطبب به ولجميع المسلمين رحمته إنه هو أرحم الراحمين وذلك يوم الأحد

السادس والعشرين شعبان المكرم الذي من عام أربعة وتسعين وثمانمائة".[1]

سابعا: مخطوط حاشية[2] على مخطوط ابن الوليد في الكبس:

المؤلف هو سيدي البكري بن عبد الرحمن البكري (1339هـ) من علماء إقليم توات له مؤلفات مخطوطة وديوان شعري ضخم. أما مؤلف المخطوط الأصل فهو الشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن سيدي الوليد من علماء الإقليم، له آثار مخطوطة في شتى العلوم.

جاء مخطوط حاشية البكري على مخطوط الكبس والازدلاف مختصرا في ورقتين من الحجم المتوسط، وهو باللون الأسود و عناوينه باللون الأحمر ومكتوب بخط مغربي كبير، كما جاءت حواشيه متآكلة أما آخره فجاء مبتورا كليا بدأه الشارح بقوله: "ولما دعت همة الأريب والأحب اللبيب سيدي محمد بن الأحب المرحوم البركة سيدي عبد الله بن سيدي الوليد رحمه الله إلى أن يؤلف تأليفا في الكبس والازدلاف يذكر فيه كلاما، فخولف فيه، فألف في رد المخالف مسودة كاتبني أن أمعن النظر فيها فأصوب من ألفاظها بما ظهر لعقلي القاصر وجهدي الفاتر

---

1. مخطوط الطب. اللوحة الأخيرة.

2. المخطوط محفوظ في خزانة بن الوليد ولاية أدرار الجزائر

فوجدت نظرة المسودة ربما تضيق فجعلت هذا الصك كالحاشية لتكون للمؤلف تذكرة عند تبيضه مسودته لأنه استنصحني فنصحت له بما أمكن إذ النصح واجب والغش حرام"[1].

وفي نهاية اللوحة الثانية من المخطوط وجه الشيخ البكري أبياتا ظاهرها أنها ختامية للمخطوط وجاء فيها:

فانظر وجرد الحساب تعلـــم
صــــواب مـا قلـــــت بـــلا تلعثـــم
وطالع الكتب في التنجيـــــم
كـروضة الأزهار بالـتـتـــمـــيـــم
ومثل شرح ابن سعيد الكبيـر
وتـأليف الحطاب تسـأل الخبيــر
تـجد هناك وفق مـا ذكرنـــا
محقـقـــا تحـقـيـــق مـــا سبرنا
فيرجع الغمر الذي بك اقتـدى
إلى صواب القول فيما قد بدا"[2]

1. مخطوط الحاشية اللوحة الأولى .

2. مخطوط الحاشية اللوحة الأخيرة.

ومن خلال هذا الرد نستطيع أن نقف وبوضوح على نشاط الحركة العلمية عموما والفلكية خصوصا في هذا الإقليم الصحراوي ويتجلى ذلك من خلال التأليفات في هذا العلم والردود عليها. فهذا ابن الوليد يؤلف كتابا أولا فيتلقى عليه ردا مخالفا لنظره، فيضطر إلى إعادة تأليف كتاب ثان ويوجهه هذه المرة للشيخ البكري لتصوييه وتنقيحه فيكون أخيرا هذا المخطوط الحاشية. كما يأتي هذا المخطوط ليبين لنا اهتمام علماء الأمة بتراث أجدادهم وما كتب في هذا العلم خصوصا على يد ابن سعيد والحطاب وغيرهم وهو مانبه إليه الشارح في أبياته الأخيرة.

ثامنا: مخطوط في طب مرض الجدري والحصبا[1]

المخطوط عبارة عن فوائد منقولة من كتاب الشيخ المؤلف الأزرق وجاء في ورقتين وأربع لوحات، وكتب بخط مغربي واضح و بلوني الأسود والأحمر. بدأه المؤلف بقوله: "اعلم أن هذه العلة تعم جميع الناس ولا يسلم منها أحد. سببها مادة غليظة مجتمعة من.... دم غليظ وهو الذي كان غداء الجنين في بطن أمه، أوله يبادر في أول الأمر بالفصد أو فصد عرق الأذن فإنه يقوم مقام الرعاف ويحفظ العين من أن يقع فيها شيئ. وأما ألوان الجدري الأسود

1. المخطوط محفوظ في خزانة الطالب محمد بن العربي غرميانو أدرار.

ثم الأخضر وأجودها الأبيض"[1]وبعد أن يأتي المؤلف على بعض أنواع المرض وأهم النباتات والأعشاب المستعملة في علاجه وكذا طرق تحضير كل ذلك يختم قوله بالحديث عن العسل ونبات الحلبة وأهميتهما في علاج هذا المرض حيث يقول: "والعسل إذا أكتحل به منع من ظهور الجدري في العين. الملح إذا ذوب بالماء وطرح عليه لب الحلبة بعد أن تطبخ طبخا بليغا وتصير مثل العسل ويلطخ به بدن المصاب فإنه ينضجه سريعا ويقشره ولا يحتاج إلى غيره والله أعلم وعليه الإتكال وإليه المرجع والمآل وبه الإستعانة والتوفيق إلى أنجح طريق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما وهذا ماوجدنا في النقلة المختصرة من الكتب المذكورة"[2]

تاسعا: مخطوط في الفلك:[3]

المخطوط من تأليف الشيخ القاضي النحوي سيدي محمد المحفوظ بن سيدي عبد الحميد القسطني. وناسخه هو الشيخ سيدي عبد القادر بن الحاج عبد العزيز. أما تاريخ نسخه فكان

---

1. اللوحة الأولى من المخطوط.

2. اللوحة الأخيرة من المخطوط .

3. المخطوط محفوظ في خزانة بن الوليد ولاية أدرار الجزائر

ضحوة يوم الخميس شهر ربيع الأول...

المخطوط الفلكي هذا جاء في حجم كبير جدا لكنه ناقص لبعض الأوراق تبعا للمعنى. خطه مغربي دقيق وغير واضح والمخطوط عبارة عن شرح لمخطوط آخر كان قبله وتناول في مضمونه معظم الأمور الفلكية المتعلقة بالمنازل والأبراج والأوقات والنجوم وغير ذلك.

يبتدأ المخطوط بقول المؤلف: "حمدا لمستحقه الذي زين الفلك بالخنس الجوار الكنس والسماء بالنجوم وكل في فلك يسبحون وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون وإنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والصلاة والسلام التامتان الأكملان على سيد الكونين وسيد الثقلين وأشرفهما"[1]

وبعد تفصيل موضوعه وتمامه أرّخ المؤلف لشرحه بداية ونهاية حيث قال: "انتهى بحمد الله ونجز على يد كاتبه بأوائل ربيع الثاني من الشهر، الثالث والثلاثين والمائتين وألف، بتاسع منه، وجمعته من عدة كتب موجودة ومن دفتر وهامش.... وكمل بآخر يوم الأحد عند الإصفرار. أسأل من الله القبول ودوام النفع به لمن هو أهل

1. اللوحة الأولى من المخطوط.

له فلله الحمد وله النعمة"[1].

عاشرا: أرجوزة فلكية[2] في معرفة الشهور وأقدام الزوال:

ولعل آخر نموذج نقف عليه من نماذج المخطوطات العلمية في هذا الإقليم هو مع هذه المنظومة الفلكية المجهولة المؤلف والناسخ والتي وقفنا عليها مطبوعة في خزانة أنزقمير، وهي عبارة عن أرجوزة في معرفة الشهور وأقدام الزوال، والمنازل والبروج وأيام دخولها من الشهور وقد جاءت في خمسين بيتا كما وقعها الناظم. يقول في مقدمتها:

الحمـــد لله الكبـيـــر الــبـــــاري
مكــــــور الليـــــل علـــى الـنهــار
وخلق الأرض كــــذا الســـــمـــــاء
وحرّك الأفلاك كـيـف شـــــاء
ثـــــم الصـــــلاة والــســـلام أبـــــدا
علــــى النبي العربي أحـــمـــــد
وآلـــــه وصحـــــبـــــه الأفــاضــــل
ما طلعـــــت شمس على المنازل
وبعد ذا نذكرفي الترحيل
أرجوزة قـــــريـــــبـــة التحصيـــــل
فيهـــا شهور مع رجوع واعتـــــدال
بــــرج سمـــــائـــــم ليال والــــــزوال
حــــــرث ونيسان نحوس عَنْصَـرة
مولد عيسى والفصول الأربعــــة

---

1. اللوحة الأخيرة من المخطوط.

2. قام الشيخ الحاج محمد بن عبد الرحمن بن حسان الشيخ بطباعة هذه المنظومة، وقال إنه عثر على مخطوط المنظومة في خزانة أنزجمير.للمخطوطات.

مـــــــنـــــازل وأيـــــام الشـــــهـــــور
حرف معـدوده مــدى الدهـــور
ملتـــــمسا فضـــــلا مـن الجـــواد
إلــــى الهـــداية نحـو الـرشـــــاد

وبعد هذه المقدمـة التـي تحـدث فيهـا عـن أقسـام أرجوزتـه الخمسـة عشـر شـرع فـي تفصـيل ذلـك بـدء بشـهر ينـاير أول الشهور:

يـــــنـايـــر أل وجـدي بـرجـــه
تـســـعـــة أقـدام بـــهـا زوالـــــه[1]
فتدخل الشمس لسعـد بلــــع
فـي نقط دال منه فاستــمـع وع[2]
ويوم يز منه سعدايا السعــود
والأخبيا يوم الثلاثيــن تـــعـود[3]
عشرون منه تخرج الليـالـــي
فبـــرايـر كح وبـرجه عـــــلـــــم
ومنتهى الحرث لكــز تــالـــي[4]
دلو وسبعـــة زوالـه الـــتــــزم[1]

---

1. المعنى أن شهر يناير عدد أيامه هو (أل) أي واحد وثلاثين يوما، أما برجه فهو الجدي ، وأما وقت الزوال فيه فهو تسعة أقدام.
2. المعنى أن دخول الشمس يكون بعدد نقط حرف الدال وهو أربعة أي في اليوم الرابع من الشهر.

3. المعنى أن منزلة سعدايا السعود من هذا الشهر تكون بعدد نقط (يز) وهو يوم السابع عشر، أما منزلة الأخبيا فتدخول يوم الثلاثين من هذا الشهر وهو ما صرح به مباشرة.
4. المعنى أن خروج منزلة الليالي يكون في العشرين من هذا الشهر. أما منتهى الحرث فيكون في السابع والعشرين منه وهو ما رمز له ب(كز).

في يوم يه منه مدخل الربيـــع
فـــــرغ المقدم في يب يا مطيـــع[2]
وكه فيه للنحوس يـــعـــقــل
فـــــرغ المؤخركذاك يــدخــل[3]

ومــــــارس أل وبــــرجـــه أتــى
حـــوت زوالــــه بــــهـاء ثــــبـتـــا[4]
في يوم عشرمنه يأتي الاعتدال
كذاك بطن الحون قل لمن عقل[5]
والنطـــح نقط كج خذ إلهام
يـــأتي وإبريـل في نقـــط الــلام[6]
وبرجـــه الحـــمـــل وللـزوال

---

1. المعنى أن عدد أيام شهر فبراير هو ثمانية وعشرون يوما بعدد نقط الكاف والحاء (كح). أما برجه فهو معلوم ببرج الدلو، ووقت الزوال فيه يكون بعدد سبعة أقدام.
2. المعنى أن دخول فصل الربيع من السنة يكون في هذا الشهر ويكون تحديدا في يوم الخامس عشر وهو ما رمز له ب(يه)، أما منزلة فرغ المقدم فهي تدخل في اليوم الثاني عشر وهو ما رمز له ب(يب).
3. المعنى أن منزلتي النحوس وفرغ المؤخر فهما معا في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر.
4. المعنى أن عدد أيام شهر مارس هو ثلاثون يوما ، وبرجه هو برج الجوت ووقت دخول الزوال فيه يكون بخمسة أقدام عدد نقط حرف الهاء .
5. المعنى أن دخول منزلتي الإعتدال وبطن الحوت في هذا الشهر يكون معا في اليوم العاشر منه.
6. المعنى أن دخول منزلة النطح يكون في اليوم الثالث والعشرين منه وهو ما رمز له بنقط (كج). وانتقل بعدها للحديث عن الشهر الموالي وهو شهر أبريل الذي يكون عدد أيامه على نقط اللام وهو ما يساوي ثلاثين يوما .

ثـــــلاث أقـــــــدام بــلا مـــــحــال[1]

فللبـــطيـــــن نقط هـاء مــــنــه

وللــــــثـــــريــــا يــح فاحفـــــظـنـــــه[2]

1. المعنى أن برج شهر أبريل هو الحمل، ووقت دخول الزوال فيه يكون بثلاثة أقدام.

2. المعنى أن دخول منزلة البطين فيكون في الخامس من الشهر وهو يرمز بحرف الهاء. ودخول منزلة الثريا يكون في اليوم الثامن عشر وهو ما رمز له الناظم بحرفي (يح)

ونقـــط كـــز منه للنيســـان

سبعا مباركـــا مـدى الزمـــان[1]

ومــايــــه أل وبـرجـــه عـــلـــم

ثـــــور وللـــزوال بـــاء ملــــتـزم[2]

فـــأول للــــدَّبــــران مـــنــه

وهقـــعـــة لــــيد فـــأعلَمـــنْـــه[3]

ويـــوم يـــز للمصيف يدخــــل

وهنعـــة في نقـط كـــز تعقـــل[4]

لِيونيــــوه لام لام مـــن الأيـــام

وبرجــــه الجوزا عـــلى الــــدوام[5]

---

1. المعنى أن دخول النيسان يكون في اليوم السابع والعشرين من الشهر وهو ما رمز له الناظم بحرفي (كز).
2. المعنى أن عدد أيام شهر مايو هو واحد وثلاثون يوما برمز (أل) وأما برجه فهو الثور وو قت الزوال فيه يكون بعدد حرف الباء أي قدمين.
3. المعنى أن دخول منزلة الدبران هو في اليوم الأول من هذا الشهر ، وأما منزلة الهقعة فيكون في الرابع عشر منه برمز حروف يد .
4. المعنى أن في يوم السابع عشر (يز) من هذا الشهر يكون دخول فصل الصيف ، أما منزلة الهنعة فيكون وفق نقط (كز) أي في السابع والعشرين من الشهر .
5. المعنى أن عدد أيام شهر يونيو(جوان) هو ثلاثون يوما، وبرجه هو برج الجوزاء.

زوالـــه قَدْمُ و يدخــل الــذراع
في تسعـــة منه كذا بلا نــــزاع[1]
ويـــاء للرجــوع ثـم النّـــثـــرَة
كــب ويــوم كد قل للعنصـــرة[2]
ليوليـــوز أل وســرطـــان لـــه
وقــــدم يـــا أخــــي قـــل زوالـه[3]
في يــــب منـــه تدخل السمائـم
وأربعـــون عـــدُّها يا فـــاهـــم[4]
وخمسة لطرفـــة قد اشتهــــر
ونـقـــط يح منه جبهـــة ذكــــر[5]

1. المعنى أن وقت الزوال في هذا الشهر (يونيو) هو بقدم واحد فقط .أما دخول منزلة الذراع فيه فيكون التاسع منه.
2. المعنى أن دخول منزلة الرجوع في هذا الشهر هو في اليوم العاشر منه وهو ما رمز له الناظم بحرف الياء. أما دخول النثرة فيكون في اليوم الثاني والعشرين بنقط حرفي(كب). وأما العنصرة أخيرا فيه فهي في اليوم الرابع والعشرين بنقط حرفي(كد)
3. المعنى أن عدد أيام شهر يوليوز(جويلية) هو واحد وثلاثون يوما بنقط حرفي (أل)، وأما برجه فهو برج السرطان، وأما وقت دخول الزوال فيه فيكون بقدم واحدة.
4. المعنى أن دخول منزلة السمائم وتسميها العامة أيضا بالصاد الصمايم فيكون في اليوم الثاني عشر وهو ما رمز له بنقط (يب) وتستمر السمائم أربعين يوما.
5. المعنى أن دخول طرفة يكون في الخامس منه، أما الجبهة فهي بنقط حرفي(يح) أي في في الثامن عشر منه.

لـــغشـــت أل وبــرجه الأســـــد
زوالــــه قدمان فاحفـــظ العدد[1]
فـــأول قل مــنه للخـــرثـــان
يــــد لصرفــة مـــــدى الــزمـــــان[2]
عشرون منه تخرج السمائـــم
ونقـــط يـــز للخريـــف قــــادم[3]
ونقـــط كـــز منه للـــعــواء
شـــتــنـــبــر لام بلا امـــتــــراء[4]
وبـــرجــــه سنبلـــة وللــزوال
أربعــة وعشـــرة للإعـــتـــدال[5]

---

1. المعنى أن عدد أيام شهر غشت (آوت) هو واحد وثلاثون يوما بعدد حرفي أل، أما برجه فهو برج الأسد ووقت الزوال فيه بقدمين.
2. المعنى أن دخول منزلة الخرثان تكون في اليوم الأول من هذا الشهر، أما صرفة فتدخل في الرابع عشر منه وهو ما أشار إليه الناظم في نقط(يد).
3. المعنى أن خروج السمائم يكون في اليوم العشرين من هذا الشهر، وفي اليوم السابع عشر منه يدخل فصل الخريف.
4. المعنى أن دخول منزلة العواء يكون في السابع والعشرين من هذا الشهر بنقط (كز) وأما شهر شتنبر(سبتمبر) ففيه ثلاثون يوما بلا شك.
5. المعنى أن برج هذا الشهر هو السنبلة، وأن وقت الزوال فيه بأربعة أقدام وأما وقت الإعتدال فهو عشرة.

ومدخل السماك يـــوم تاســع
منه كذا الغفر في كـب تابـــع[1]
أكــــتـــوبـــر أل من الأيـــام
وبرجـــه الـميزان خـذ إلـــهــــام[2]
فخمسة قل فـــيــــه للـــزوال
والـــزِّبَنَـــان نقـــط هـــاء تـــال[3]
ومـــــدخـــل الحرث ليز منـــه
ويـــح للإكليـــل فاعـــرفـــنـــه[4]
والقلب في الآخر منه يـدخـــل
نـــــوفامبــــر لام لـــــه محصـــل[5]

1. المعنى أن دخول منزلة السماك يكون في اليوم التاسع من الشهر، وأما الغفر فيكون في اليوم الثاني والعشرين بعدد نقط(كب).
2. المعنى أن عدد أيام شهر أكتوبر هو ثلاثون يوما،، وأما برجه فهو الميزان.
3. المعنى أن دخول وقت الزوال في هذا الشهر يكون بخمسة أقدام، وأما دخول الزّبنان فهو في الخامس من هذا الشهر بنقط (الهاء)
4. المعنى أن دخول منزلة الحرث يكون في السابع عشر من الشهر بنقط(يز) أما الإكليل فيكون في اليوم الثامن عشر منه.
5. المعنى أن منزلة القلب تدخل في اليوم الأخير من الشهر أي في اليوم الواحد والثلاثين منه .وشهر نوفمبر عدد أيامه بنقط (لام) التي تساوي ثلاثين.

وبرجه العقرب قلــه يا فتـــــى
زوالـــــه بنقـــط حاء قــد أتـــــى[1]
لشــــولــــة يــــج وللشتــاء يــو
ونقـــط كـــو للنـــعـــائـم روو[2]
دجانبــــر أل ويـــاء تحـسـب
زوالــــه والقـــوس بـــرج ينسب[3]
لبلــدة طــــاء ويــاء للرجــــوع
وكـب ذابح فكــن ليّ سمــــوع[4]

---

1. المعنى أن برج شهر نوفمبر هو العقرب ووقت دخول الزوال فيه يكون بثمانية أقدام على نقط حرف(حاء).
2. المعنى أن دخول منزلة الشولة في هذا الشهر يكون في الثالث عشر منه أي على نقط حرفي(يج)، وأما دخول فصل الشتاء فيكون في السادس عشر منه، وأما منزلة النعائم فتكون في اليوم السادس والعشرين أي على نقط حرفي(كو).
3. المعنى أن عدد أيام دجانبير(ديسمبر) هو واحد وثلاثين يوما على نقط حرفي (أل) وأما وقت الزوال فيه فيكون بعشرة أقدام وهو ما رمز له بحرف(الياء) وأما برج هذا الشهر فهو القوس.
4. المعنى أن دخول منزلة بلدة هو في التاسع من الشهر على نقط حرف(الطاء)، وأما الرجوع فيه فهو في اليوم العاشر على نقط حرف(الياء)، وأما ذابح فيكون في اليوم الثاني والعشرين على نقط حرفي(كب).

ويـــــب منـــــه لليــال تـدخـــــل
وأربعـون عـــدّها يـــافـــاضـــــل[1]

في كد منه مولـــد المــسيــح
أسْبُعَــــه الأخير فـــي الصحيــح[2]

قد انتـــــهى والحمـــــد لــلإلــه
ثـــم الصلاة والـــسـلام الباهـــــي

على الرسول المصطفى المختار
وآلــــه وصـــحـــبـــه الأخــيـــار

أبياتها خمسون بيتا في العدد
من يتقـــن الحساب يظفر بالـمراد

ومـن عنـاوين المخطوطـات التـي وردت فـي فهـارس بعـض خـزائن الإقـليم ولـم يتسـن لنـا الوقـوف عليهـا معاينـة وفهرسـة نذكر: (انظر الجدول الآتي):

---

1. المعنى أن دخول الليال في هذا الشهر يكون في اليوم الثاني عشر منه على نقط (يب) وعدها أربعون يوما.

2. المعنى أن مولد المسيح عليه السلام هو في اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر.

الرقم	عنوان المخطوط	اسم المؤلف	تاريخ التأليف	الموضوع	اسم الناسخ	تاريخ النسخ	مكان الحفظ
01	إكمال فتح المقيت في شرح المواقيت	أحمد بن محمد بن عمر	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة ملوكة
02	الجداول الظاهرة في علم الرمل	مجهول	غير معروف	التنجيم	مجهول	غير معروف	خزانة ملوكة
03	شرح ابن سعيد في الفلك	ابن سعيد السوسي	غير معروف	الفلك	عمر بن عبد الحميد	غير معروف	خزانة المطارفة أدرار
04	منظومة ابن سعيد في الفلك	ابن سعيد السوسي	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة المطارفة أدرار
05	خريدة العجائب في أخبار الأرض	غير معروف	غير معروف	جغرافيا	عبد العزيز بن سالم	1313هـ	خزانة المطارفة أدرار
06	منظومة في المنازل	غير معروف	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة المطارفة أدرار
07	علم النجوم	غير معروف	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة ج أ د تاريخية
08	تأليف في علم الميراث	سيدي البكري بن عبد الرحمان	غير معروف	الميراث	مجهول	غير معروف	خزانة البكريين
09	رسالة في طب الأبدان	سيدي البكري بن عبد الرحمان	غير معروف	الطب	مجهول	غير معروف	خزانة بن الوليد أدرار

10	رسالة في ما يعين على الهضم	سيدي البكري بن عبد الرحمان	غير معروف	الطب	مجهول	غير معروف	خزانة الشيخ باي أولف
11	أرجوزة في المنازل	محمدبن عبد الله بن محمد بن عمر	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة الطالب العباسي أولف أدرار[1]

1. ذكره الدكتور قدي عبد المجيد. في كتابه صفحات مشرقة من تار يخ مدينة أولف العريقة. ص 197.

12	**الديباج المرقوم في أصول علم النجوم**	**مجهول**	**غير معروف**	**الفلك**	**مجهول**	**غير معروف**	**خزانة الشيخ أبي نعامة أولف أدرار[1]**
13	**مخطوطات في الفلك**	**غير معروف**	**غير معروف**	**الفلك**	**مجهول**	**غير معروف**	**خزانة محمد الشريف بن أحمد أولف أدرار[2].**
14	**مخطوطات في الطب**	**غير معروف**	**غير معروف**	**الطب**	**مجهول**	**غير معروف**	**خزانة محمد الشريف بن أحمد أولف أدرار[3] .**

---

1. المرجع نفسه .ص **198**.
2. المرجع نفسه ص **202**.
3. المرجع نفسه ص **202**.

15	السلم المرفوق في علم المنطق	عبد الرحمان الصغير الأخضري	غير معروف	المنطق	مجهول	غير معروف	خزانة كوسام أدرار[1] وعدد أوراقه (20 ورقة)
16	كتاب في الطب	مجهول	غير معروف	الطب	مجهول	غير معروف	خزانة أقبلي أدرار[2]
17	علم الفلك	عبد الرحمان بن أبي غالب الجادري	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة ملوكة أدرار [3] وعدد أوراقه (600 ورقة)

1. جاء ذكره في فهرس مخطوطات ولاية أدرار. ص61. بشار قويدر حساني مختار مطبعة عمار قرفي باتنة.

2. المرجع نفسه. ص127.

3. المرجع نفسه. ص133.

18	كتاب تعريف الوقت والقبلة	مجهول	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة ملوكة أدرار[1] عدد أوراقه(20 ورقة)
19	كتاب في الفلك	عبد الرحمان بن أب الباعلي المعروف بالمعلم	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة ملوكة أدرار [2]وعدد أوراقه (08 ورقات)
20	قصر المانع	محمد المحفوظ بن عبدالحميد بن محمدبن فتح الله القسطني	غير معروف	الفلك	مجهول	غير معروف	خزانة أنزجمير أدرار[3] وعدد أوراقه(200 ورقة)

1. المرجع نفسه.

2. جاء ذكره في فهرس مخطوطات ولاية أدرار .ص 61. .بشار قويدر حساني مختار مطبعة عمار قرفي باتنة .

3. المرجع نفسه .ص186.

21	المنظومة اللفظية في العلاجات والأدوية	علي عبيدة	غير معروف	الطب	مجهول	غير معروف	خزانة زاوية الشيخ المغيلي أدرار[1] وعدد أوراقه(06 ورقات)
22	مختصر في علم الطب	الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم السندي الهندي	غير معروف	الطب	مجهول	غير معروف	خزانة زاوية الشيخ المغيلي أدرار[2] وعدد أوراقه (50 ورقة)

1. المرجع نفسه .ص 198.
2. المرجع نفسه .ص 198.

ولعل في هذه النماذج العلمية المخطوطة وغيرها مما وصل إليه نتاج العقل المسلم على مدى عصور خلت بأكملها من تاريخ نهضتنا المجيد وأُنيرت به دروب المعمورة على امتدادها. لعل كل هذا وغيره يُخَفّف من حدة بعض سهام الاعتقاد السائد، والموجه هذه الأيام ليس لأبناء وطن بعينه ولا الوطن العربي فحسب بل لكل أبناء الإسلام و المسلمين عموما. كون أن العالم الإسلامي ما هو إلاّصورة غريبة شاحبة، وأنّ حَركته العلمية لم يوح بها فكر ولاعقل ولم ينبض بها إحساس، ولا أثر فيها للتجديد والابتكار.

هو غيض من فيض سمحت لنا به ورقات البحث المقدمة في إطار هذا الملتقى القيّم والهادف، والذي مثلنا فيه بتلك العناوين العلمية المخطوطة كجزء يسير جدا من مئات مثيلاتها في هذا الباب، والتي تبقى حبيسة رفوف خزائن الإقليم الكثيرة والمنتشرة في كل الربوع، وهي وحدها الشاهد الأول في كل ما تبقى من مساهمات الأسلاف وأثرهم في مسيرة الحضارة البشرية أجمع، ولنا كل الأمل في الوقوف مع ما تبقى من هذه الخزائن السبعين، وفهرستها ما أمكن تمهيدا وتيسيرا لطرق وصول الباحثين لها ومن ثم تحقيقها ودراستها وما ذلك على الله بعزيز.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. البكري بن عبد الرحمن البكري. حاشية على مخطوط ابن الوليد في الكبس .خزانة بن الوليد أدرار. الجزائر
2. عبد الرحمن بن باعومر التنلاني. مخطوط تراجم بعض العلماء والشيوخ. خزانة قصر تنلان. ولاية أدرار
3. عبد الرحمن بن باعومر التنلني مخطوط في علم الفلك .خزانة كوسام أدرار. الجزائر
4. عبد الرحمن بن باعومر مخطوط في علم الفلك. خزانة كوسام أدرار. الجزائر
5. مؤلف مجهول. أرجوزة في معرفة الشهور وأقدام الزوال. خزانة أنزجمير أدرار. الجزائر
6. مؤلف مجهول: مخطوط في الطب خزانة كوسام أدرار. الجزائر
7. مؤلف مجهول. مخطوط في طب مرض الجدري والحصبة. خزانة الطالب محمد بن الطيب العزاوي. غرميانو أدرار الجزائر
8. محمد بكراوي. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. خزانة البكريين تمنطيط أدرار الجزائر.
9. محمد بن سعيد بن يحي السوسي شرح المقتع في علم أبي مقرع خزانة كوسام أدرار الجزائر.

10. محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
11. محمد بن عبد الكريم البكري جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
12. محمد بن سعيد بن يحي السوسي المقنع في علم أبي مُقرع .خزانة بن الوليد أدرار الجزائر.
13. محمد المحفوظ بن سيدي عبد الحميد القسطني مخطوط في الفلك .خزانة بن الوليد أدرار. الجزائر.
14. يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني. التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع .خزانة كوسام أدرار الجزائر.

- المطبوعة:

1. الإصطخري إبراهيم محمد الفارسي .المسالك والممالك .تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي .1961 مصر
2. برنارد سافرو .التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية
3. ابن بطوطة .تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .. دار صادر بيروت.
4. الحسن الوزان. وصف إفريقيا.ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر .1983 دار الغرب الإسلامي .لبنان ..
5. ابن حوقل .صورة الأرض طبعة بريل .ليدن .1938
6. ابن خلدون .العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

المعروف بتاريخ ابن خلدون .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .
7. أبو سالم العياشي. ماء الموائد. تحقيق محمد حاجي. المغرب 1977م.
8. السعدي عبد الرحمن . تاريخ السودان .تحقيق هوداس .بلريس 1964م.
9. فرج محمود فرج. إقليم توات خلال القرنين 18 ، 19 م. د م ج. الجزائر 1977م
10. أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. ط 2 الجزائر 1985.
11. القاضي محمود كعت. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس 1964.
12. عبد الرحمن الضب وآخرون. دليل ولاية أدرار 1999 م، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).
13. عبد العزيز سيدي عمر قطف الزهرات من أخبار علماء توات،. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.
14. عبد المجيد قدي. صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة. (د ط ت)
15. محمد باي بالعالم. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ط .1.2005 دار هومة الجزائر .
16. محمد باي بالعالم. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني.ط1 2005 الجزائر.

البحث السابع

دور الزوايا في الحفـاظ على التـراث المخطوط بإقليم توات

زاوية الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ) بتمنطيط أنموذجا[1]

---

1. البحث منشور بمجلة "تراث" الصادرة عن نادي تراث الإمارات أبوظبي الإمارات العربية المتحدة. السنة العاشرة العدد 112 يناير 1009م .

مقدمـة:

يشكل الإقليم التواتي (ولايـة أدرار حديثا) علـى امتداد تاريخـه الطويل والزاخر بالأحداث الثقافية. أحد أهم منـاطق ومراكز الزوايـا والمدارس القرآنية. على مستوى القطر الجزائـري عمومـا، إذ أنـه وابتـداء مـن القرن السـادس الهجـري تـاريخ قدوم الشـيخ مـولاي سـليمان بـن علـي وتأسيســه لأول زاويــة بــالإقليم علــى الأرجــح سنة(581 هـ) تـوالى تأسيس الزوايـا فـي هذا الإقليم تباعـا ليصل العدد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري إلى أزيد مـن خمسين زاوية ومدرسة قرآنية كبرى، وبتعداد طلبـة ومتمدرسين هو الأول تعدادا على المستوى الـوطني بمـا يفـوق ستين ألف طالـب، ومئـات الشيوخ والأئمـة. فكانـت بـذلك هذه الزوايـا أحد أهم وأكبـر خـزان للمخطوطات وطنيا وإقليميا تقريبا. وإذا حاولنا أن نلقي نظرة عامـة علـى هـذه الزوايـا بمـا تحتويـه مـن مخطوطـات فإننـا نجـد أن جـل المخطوطـات بهـا قـد ضـاعت الآن، وذلـك بفعـل عوامـل الطبيعـة القاســــــية، أوبفعـــــــل عوامــــــــل الإنســــــــان[1]

1. يذكر كثير من أصحاب الخزائن الذين تحدثنا إليهم أن السلطات الفرنسية أخذت معها العديد من هذه المؤلفات إبان الحقبة الاستعمارية كما هو الأمر مع خزانة زاقلو وزاوية كنته وأقبلي وملوكة وغيرهم. كما ذكر صاحب كتاب إقليم توات خلال القرنين 18 و19م. فرج محمود فرج.أسماء بعض هذه المخطوطات المتواجدة حالياً بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

نفسه ويكفي أن نشير أنه "قبل عملية النهب والضياع التي تعرض لها المخطوط في الولاية، والتي بدأت قبل القـرن 17 الميلادي كـان يوجد سبعة وعشرون ألف مخطوط"[1]، بينما أكثر الباحثين تفاؤلا بمستقبل هذا الإرث الآن لا يمكن أن يتجاوز في إحصائياته عدد عشرة آلاف مخطوط. وهكذا نرى أن ثلثي هذا الإرث قد ضاع مما ضاع من تراثنا ومع ذلك فإن الثلث المتبقي هوليس بعيدا عنه.

ومعلوم أن خزائن المخطوطات جميعها داخل هذه الزوايا تختلف فيما بينها أهميةً وتواجداً للمخطوط لكن أقل واحدة منها تقريبا تحوي بين جدرانها حاليا على ما يزيد عن مائتي مخطوط تقريبا، بينما وصل العدد في البعض الآخر منها الألفي مخطوط، وهي أيضا تختلف عن بعضها البعض وأيضا في قيمتها التاريخية وأهمية محتوياتها.

لقد شكلت الزوايا في منطقة توات موطنا ورافدا أساسيا من روافد الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة، حيث أن جل علماء المنطقة مروا في تعليمهم وتعلمهم بالزوايا والمدارس القرآنية العامة المنتشرة في كل أقطار الإقليم بما تقدمه من وجبات ثقافية دسمة ومتنوعة أولا، وبما توفره من مأوى ومطعم لروادها ثانيا،وفي ذلك يقول

---

1. دليل ولاية أدرار **1999** م، ص**17**، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).

الشيخ مولاي أحمد الطاهري واصفاً المنطقة وزواياها: "ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه، فيجد حتى علف الدواب.... وما أكثر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك."[(1)]، وثانياً بتوفرها على كثير من خزائن المخطوطات التي كان العلماء يترددون عليها ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم، ذلك أن علماء المنطقة وبعد تفرغهم من وقفات تدريسهم في موضوعاتهم اللغوية والأدبية المختلفة داخل هذه الزوايا خصوصا يلجؤون إلى تدوينها ونسخها، بل وإلى شرحها والتعليق عليها حتى يسهل فهمها ومتابعتها من الطلبة المتمدرسين من جهة، أو تُورث للأجيال اللاحقة من جهة أخرى، وشيئا فشيئا يستطيع كل عالم، أو شيخ زاوية أن يؤسس لنفسه خزانة مخطوطات ومكتبة خاصة.

والزاوية اسم "يطلق على بناء أوطائفة من الأبنية ذات طابع ديني... عرفت في أوائل القرن (08 هـ) وكانت تطلق على مكان معد للعبادة، كالمسجد، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين

---

1. مخطوط نسيم النفحات، مولاي أحمد الطاهري ص34،.

بها، وإيوائها للواردين عليها وعابر السبيل، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن (05 هـ)، وسميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة"[1]، أما عند أهل توات فإن مصطلح الزاوية يشار به إلى تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشخص في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثق ومحدد، لينتفع بها عامة الخلق، ويحبس لها جملة من الأملاك ولها مكان وموقع خاص، ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته وبعد وفاته يتعاقب عليها (مقدمين) على التوالي. وتنقسم الزوايا بذلك عندهم إلى ثلاثة أنواع: زاويا الضيافة، زوايا العلم، زوايا الضيافة والعلم معاً.

وكثيرة هي الزوايا والمدارس القرآنية التي احتضنت وزكت المخطوط باكرا، وانتشلته من غياهب الضياع حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري نذكر: [2]، ولعل من أهمها وأكثرها نشاطا، واحتضانا للمخطوط -تأليفا ونسخا -زاوية الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن أمحمد (1133هـ) بتمنطيط جنوب مقر الولاية أدرار حاليا بنحو عشر كيلومترات والتي نحاول الوقوف عندها تمثيلا لباقي زوايا الإقليم.

أولا: التعريف بالمؤسس الشيخ سيدي البكري[3]

1. زوايا العلم والقرآن بالجزائر، ص30. محمد نسيب. دار الفكر الجزائر.
2. ينظر: تقييدات مخطوطة بخزانة باعبد الله وكوسام، وكتاب الرحلة العلية ص 418 وما بعدها، ودليل ولاية أدرار.

3. ينظر ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات .ص 15 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني .ص20 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 53 وما بعدها. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 77 وما بعدها. وكتاب

هو الشيخ سيدي البكري(1133هـ) بن عبد الكريم بن أمحمد ولد في يوم 12 من رمضان 1042هـ توفي عنه والده الشيخ سيدي عبد الكريم في أربعينية ميلاده بأربعين في نفس السنة، فتكفل به عمه سيدي الحاج أمحمد القاضي بن عبد الكريم بن أمحمد، وعنه أخذ مبادئ علومه الأولى في الفقه والنحو وغير ذلك،ومما يروى عن بداية اتصاله بشيخه الوقروتي أنه في يوم من الأيام أرسلته والدته بقفة مملوءة بالتين، فسار بها حتى وصل إلى السبخة المعروفة حاليا بسبخة تمنطيط -وهي الموجودة مابين تمنطيط والمنصورية -وهناك التقى بالشيخ سيدي يدر التطافي الذي سأله عن نسبه فأجاب سيدي عبد الكريم قائلا: أنا البكري من عائلة أبي محمد فقال له الشيخ التطافي من أبناء أبي محمد؟ فقال: ابن عبد الكريم فتأسف الشيخ التطافي كثيرا

الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج02. .ص 59 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج، 01..ص 94 وما بعدها، وكتاب قطف الزهرات .ص 119 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص124. وما بعدها .

لوضع وحالة ابن العالم الجليل الشيخ سيدي البكري الرجل الذي تخرجت على يده العشرات من الطلبة والأئمة. وقال الشيخ التطافي مخاطبا سيدي البكري: إنك ستذهب معي لتتعلم. وبالفعل أخذه معه إلى أحد تلاميذ والده وهو الشيخ سيدي أمحمد بن اعلي النحوي الوقروتي القاطن آنذاك بزاوية سيدي اعمر بأوقروت، ووضعه أمامه وقال له جئتك به لتفعل معه ما فعل معك أبوه، فأجابه الشيخ الوقروتي قائلا: جزاك الله عني وعن شيخي وعن ابن شيخي خيرا، فبالغ الشيخ في إكرامه وتقديره، ومكث عنده مطولا، حتى أجازه في جميع ماأجيزه عن والده.

وبعد خروج الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم من عند شيخه في أوقر وت تنقل مطولا بين مدن مراكش وفاس، وهناك اتصل بعدة شيوخ، واستفاد منهم حتى أجازوه في كثير من العلوم.

وبعد عديد الرحلات العلمية داخل وخارج الوطن عاد الشيخ سيدي البكري إلى مسقط رأسه بتمنطيط، وتفرغ بعدها للتعليم والفتوى.

وبعد مدة أرسل الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدوره الجزائري إلى البكريين يطلب أحد أبناء تلميذه سيدي عبد الكريم، فكان أن حظي الشيخ سيدي البكري بهاته الزيارة وانتقل إلــــــــــــــى جـــــــــــــــواره

في الجزائر، ولما وصل الشيخ البكري استقبله الشيخ سيدي سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري ببيتين من الشعر جاء فيهما[1]:

لوتعلم الدارمن قد جاءها فرحت
واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأنشأت بلسان الحال قائلة
أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

وبقي الشيخ البكري في ضيافة الشيخ سيدي سعيد إلى أن توفي الشيخ سيدي سعيد عام1076هـ، بعدها رجع الى توات.

كانت للشيخ البكري في آخر حياته رحلة إلى البقاع المقدسة حيث مر بتونس وهناك أسس زاوية مشهورة باسمه إلى الآن، ثم اتجه نحو طرابلس الغرب، ثم قصد مصر، فقابل فيها العديد من العلماء، والمشايخ من بينهم: الشيخ أبي عبد الله محمد الخرشي، مفتي الديارالمالكية في ذلك الوقت، ومن هناك توجه إلى الحجاز. وفي أثناء عودته إلى الجزائر مر بأرض الزاب وأسس بها زاوية أخرى، ثم قصد أخيرا أرض تقرت التي بقي بها قرابة الثلاثين (30سنة).

ولما طالت مدة بقائه في أرض تقرت راسله العديد من أصدقائه يلومنه على طول الغياب وهجر الأحباب ولعل من أهم الرسائل المؤثرة التي وصلت مسامعه، رسالة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي التزلاغتي التي جاءته في أعقاب وفاة أخيه الحاج محمد القاضي.

---

1. ينظر: 1 الدرة البهية في الشجرة البكرية ص 53 وما بعدها.

عاد الشيخ البكري إلى تمنطيط وأخذ عنه أبناؤه الأربعة سيدي محمد الصالح، وسيدي عبد القادر، وسيدي محمد، وسيدي عبد لكريم، كما تولى قضاء الجماعة بتوات سنة (1092هـ). وفي زوال يوم الأحد الثاني من شهر ذي القعدة سنة (1133هـ) انتقلت الروح الزكية إلى بارئها.

لقد بلغ الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ) مكانة مرموقة في العلم والتفقه في الدين، الشيء الذي أهله من بين أقرانه ليتربع على عرش القضاء التواتي لفترات طويلة، فكان بذلك قبلة مجموعة كبيرة من الشعراء الذين راحوا يعددون من خصاله وفضائله، وينوهون بدوره البارز في إرساء قواعد العدل بين عموم الرعية، وبين سطور تلك القصائد جميعا. أخذت الزاوية البكرية حظها الأوفر وتحدث الشعراء عنها أيضا تأسيسا ومكانة ونذكر من هؤلاء الشعراء تمثيلا:

أولا: الشيخ سيدي محمد الإداوعلي شاعر الرسول كما يلقب وأحد أبرز علماء توات في القرن الثاني عشر الهجري. والشاعر الإداوعلي كانت تجمعه علاقة حميمية خاصة بالشاعر البكري عبر عن بعض مكنونها في هذه القصيدة[1] المدحية على وزن (البسيط) وتعرض فيها الشيخ الإداوعلي إلى جملة من خصال ومحاسن الشيخ البكري، والتي يتقاصر نظم أي الشاعر عن عدها -كما قال -من تبحر في العلم،وحب للعلماء،وعدل في القضاء، وما إلى ذلك. وهي كلها بعض من كل وقف عليه الشاعر بنفسه، أو سمعه من صدوق فأثبته في نصه جملا جملا. بعدها انتقل من الحديث عن ممدوحه إلى الحديث عن بنيه مبلغا

1. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص 97، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص 65، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها .ص129 وما بعدها .

إياهم سلامه الطيب العطر، معمما شذاه على السهل والجبلا.وفي الأخير انتهى الشاعر إلى الدعاء والتوسل لله سبحانه وتعالى سائلا منه له ولهم جميعا ظلا ظليلا متصلا بظله عز وجل. حيث يقول:

زرمن هويت ولا تصبو لمن عـــدلا
علـــى هواه وسـق لربعه الإبلا
وحط للسيد البكري ركـاب منـى
تجد من العلم عند بابـه الأملا
واذكر كريما قصاه للعلى خلـــق
عـــذب وفـاز بسؤل من به نزلا

وهذه القصيدة كما هو معلوم جاءت ردا على أبيات[1] شعرية بعث بها الشيخ البكري(1133هـ) لصديقه الإداوعلي (ق 12هـ) على وزن البسيط وقال فيها:

بسمـــل وأحمد مهللا وصـــل علـــى
خيــر النبيئيــن بـذا تـــبلغ الأمـــلا
باب الرضا لك مفتوح فكن شاكرا
أوزعك الله شكرا من صفا عملا
ودعـوة الأخ لـلأخ فـــي غـــــيــبــتـــه
مقـــبـــولـــة بحديث عنه قد نقلا

ولمـا تـوفي الشـيخ البكـري كـان الشـيخ سـيدي محمـد الإداوعلـي (ق12هــ) واحـدا مـن أكثـر أصـدقائه تـأثرا لهـذا

1. ينظر: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .الحاج محمد العالم ص65، و كتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 هـ إلى القرن 14هـ .ص129.

المصاب، وفي ذلك خلف لنا الشاعر هذه المرثية[1] المعبرة التي جاءت تحمل في طياتها أبلغ معاني النبل والصداقة بين الرجلين وفيها قال الشيخ على وزن البسيط:

آه على تــوات حل الـــوبـال بهـــا
وصارت من بعد نور العلم في الظلم
بموت عالمها الحبر الذي انتشرت
عـــلـــومـــه بأرض العرب والعجـــم

والشاعر الإداوعلي في حديثه عن مصيبتة في فقد صديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم، انطلق من الجو العام الذي خيم على الإقليم التواتي قاطبة غداة انتشار الخبر، ودخلت المنطقة بموجبه في حزن عام عمّ النجوم والكواكب والأشجار والحجار، ولم يستثن الطيور في أيكها. كما نعرف من الشاعر أيضا من خلال النص أثر انتشار خبر الوفاة في نفوس التواتيين بعد نعيه في يوم العروبة يوم اجتماع المسلمين.

بعد هذا راح الشاعر الإداوعلي يعدد جملة المكاسب التي فقدتها المنطقة بفقدها للشيخ سيدي البكري، حيث لم تعد هناك دروسه المختلفة في شتى أنواع الفنون، من تفاسير للقرآن والحديث ومن دروس في النحو والفقه والبلاغة والمنطق وغير ذلك، ولم يعد هناك بعده من يوضّح مشكلات المسائل المختلفة، ولا من يرتقي على المنابر إماما معلما، ولا من يتربع على حلقات المدارس معلما وشارحا لكثير من النوازل الخاصة والعامة. وفي الختام لم يسع الشاعر أمام مصابه الجلل إلاّ

---

1. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص 100، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص73 وما بعدها وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص 135 وما بعدها .

الدعاء والترحم عليه أملا في تقبل صالح أعماله والتجاوز عن سيئاته وخطاياه بجاه وحرمة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أيـــن الفنون التي كانت مـــقـــررة
أين التفاسير أين النحو في الكلـم
أيـــن الحديث وأين الفقه يــا أملــي
أيـــن البديـــع وأين منطـق البكـــم
أيـــن البـــيان وتوحيـــد يمـــيـــزه
بـــعد الإمـــام البكري درة العلـــم
من للمسائل بعد الشكل يا أسفي
من للمـــنـــابر بعد الحــاذق الفهـــم
مــن للدفاتر بل من للمــدارس بـــل
من للـــنوازل بــل في اللــوح والقلـــم
أكرم به سيدا شمس الورى قمــرا
بيـــن العبــاد ونـــور يذهــب الظلـــم

ثانيا: الشاعر سيدي علي بن حنيني(1115هـ) الشيخ الذي كانت تجمعه روابط خاصة بهذه الزاوية وهو ما جعله يثني

عليها وعلى مؤسسها في أكثر من مناسبة من ذلك قوله[1]:

الحمد لله العظيـم الأحـــد * الواجد الحي العزيز الصمـــد
ثم الصلاة والسـلام أبـــدا * علــى النبي العربـي أحـــمـــد
و آلـــه وصحبـه الأخـيـــار * مــن الـــمهاجرين والأنصـــار
وبعد فالدعا مـخ العـــبـاده * فمـــن به جد نـال الـــمـــراده
لاسيما الدعاء في الإنشـاد * فـواظـــب علـــيه باجتـــهـــاد
وقصــــدنا بـهذه الأبـيـــات * تـــوسل بالـذكـر والآيـــات
وبالنــــبي ســـيـــد الأنـــام * وآلــــه وصحبــــه الأعـــــلام
يا ربنا انزل بهذي الـزاويــة * ستـرا ولطفـا ودوام العافيـــة
زاويــــة بكــرية قديمــــة * عـلـــويــــة شريفـة كريمـــة

وفـي هذه القصيدة ينطلـق الشـاعر سيدي علـي مـن الحديث عن أهمية الدعاء وفضله على العبد وما ذكر في ذلك في الأثر، ثم راح بعد ذلك يبين هدفه وقصده من نظمـه ودعائـه الذي جاء منه كما قال توسلا بالذكر والآيات وبالنبي(ص) وآلـه وصحبه. وبعد جملـة مـن الأدعيـة والأذكـار المختلفـة خلص الشـاعر إلـى الدعاء للزاوية البكرية بأن يتولاها العلي القدير بسترة وعافيته.

---

1. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص52. وكتاب النبذة .ص 145.

ثالثا: الشاعر الشيخ سيدي محمد عبد الله بن سيدي الحاج محمد: الذي اعتذر له بهذه البائية[1]على وزن الطويل قال فيها:

من الشوق عبد الله يسكب دمعة
وبـــالـذل قـــال قـــولا جـاء مصـــوبــا
أيا قـــابل الأعذار جـد بــمكـــــارم
على من قصته عن دياركم الصبا
أتـــــاك يريـد منـــك تقبـــل عــــذره
وحـــاشــاك أن تـرد مثـلـي خـائـــــبا

رابعا: ومن الشعراء البكريين الذين خلدوا اسم الشاعر بعد وفاته خصوصا نذكر حفيده الشاعر الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري(1210هـ) الذي رثاه بدالية[2] مطولة جاء فيها على وزن البسيط بعد المقدمة:

---

1. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص98 وما بعدها .ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .للشيخ الحاج محمد بكراوي .ص 17 وما بعدها، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص 70 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص 133 وما بعدها.

2. ينظر مخطوط درة الأقلام ص 101 وما بعدها وكتاب النبذة .ص 134 وما بعدها

وللــدنيــة اشــــراط تـــــدل عــــلــــى
زوالها فاعمل الخيـرات واجتهـد
من بعضها موت أهل العلم يا أسفي
بقبـــضهـــم يندر العلم ويفتقـــد
فمنهم الســيد البكري ذو هــمـــم
فـــاق المـــقـــارن في أوانه واحـــد

كمـا نـذكر أيضـا مـن الشـعراء البكـريين الـذين رثـوا الشـيخ الشاعر الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التنلاني[1] قال فيها:

تبجيـــلــــك الأخيار حــــتم إنهـــم
أهــل الفضــائل والثنا المعطار
إن الخيـار ذوو التقى والعلم والعر
فــــان والافـضـــــال والأســرار
فإذا نطمـــت من الكرام قــلادة
ومنحتها الأجـــــياد من أحرار
فالسيد الـبكري اجعلن وسيطها
فيه يتم العـــقــــد في الأخـــيار

وجل هذه النصوص الشعرية وغيرهـا مـن المؤلفـات لا تـزال مخطوطـة بهـذه الزاويـة كشـاهد حـال عـن نشـاط هـذه الزاويـة العلمي على مر العصور.

ثانيا: التعريف بالزاوية وبمخطوطات البكريين بها:

---

1. ينظر: الدرة البهية في الشجرة البكرية ، الكواكب البرية في المناقب البكرية ، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني.

لقد جاء في بعض التقاييد المخطوطة بهذه الزاوية وغيرها من خزائن المخطوطات أن هذه الزاوية تأسست سنة(1120 هـ) وقيل (1109هـ)، أسسها الشيخ البكري خاتمة لمجموع زواياه داخل وخارج الوطن-كما رأينا -وكان من ضمن أقسامها وفروعها العلمية خزانتها الشهيرة للمخطوطات والتي تعد من أغنى الخزائن بالمنطقة إنتاجا للمخطوط لا نسخا -على اعتبار أن هناك خزائن بها غالبية المخطوطات منسوخة لعلماء خارج العائلة بخلاف هذه الخزانة كما قلت التي بها مخطوطات جديدة تأليفا ونسخا لعلماء من العائلة البكرية تحديدا بالإضافة إلى مخطوطات أخرى منسوخة لعلماء من خارج هذه العائلة.

ومن أشهر العلماء البكريين الذين ساهموا في إثراء خزانة مخطوطات هذه الزاوية خاصة وخزائن المخطوطات بالمنطقة عامة. بما خلفوه من مخطوطات ومؤلفات شخصية لهم أو منسوخة لغيرهم نذكر تمثيلا لا حصرا:

1. والده الشيخ سيدي عبد الكريم (1042هـ)[1] بن أمحمد التواتي ولد سنة (994هـ) أخذ عن علماء عدة منهم والده الشيخ سيدي أمحمد والشيخ سيدي عبد الحاكم بن عبد الكريم الجراري والشيخ سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي مَحَلّى السجلماسي، والشيخ سيدي سعيد بن لحاج إبراهيم المشهور بقدورة الجزائري، والشيخ سيدي علي الأجهوري المصري. والشيخ

---

1. ينظر ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .ص12 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني .ص30 وما بعدها. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص07 وما بعدها .ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 34 وما بعدها .ومخطوط الدرة الفاخرة .ص 05. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 75 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص114. وما بعدها .

أحمد المقري التلمساني وغيرهم. وقد ألف مخطوطا سماه الرحلة وعدد فيه شيوخه وإجازتهم له. كان إماما عالما تولى قضاء الجماعة بتوات توفي ليلة الاثنين وقت صلاة المغرب(23) من شهر شوال سنة (1042هـ) من آثاره المخطوطة بهذه الزاوية: مخطوط الرحلة. ومخطوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني. وله أيضا مخطوط بعنوان: تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز. ومخطوط شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان .وله أيضا شرح على جمل ابن المجراد سماه: غاية الأمل في إعراب الجمل وله في الميراث أبيات شعرية وشرح عليها وله قصائد شعرية عدة أشهرها قصيدته المسماة سفينة النجاة لآهل المناجات.

* * * *

2. الشيخ سيدي الحسن(1286هـ)[1] بن سعيد البكري:

ولد سنة(1210هـ) وأخذ الفقه والنحو عن الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي وأجازه في العلم. كان فقيها متنقلا بين أرض توات وتمبكتو والمغرب وأخذ عنه في مدرسته بالزاوية البكرية تلاميذ عدة منهم ابنه سيدي محمد والشيخ سيدي الحاج محمد عبد الرحمن وأخيه سيدي البكري والشيخ سيدي أحمد بن سيدي البكري، وسيدي البكري بن عبد الرحمن وغيرهم. تميز رحمه الله بكثرة نسخه للكتب. توفي سنة(1286هـ) وقيل سنة (1292هـ).

---

1. ينظر: ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات .ص **48** وما بعدها. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص **107** وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص**171**. وما بعدها.

* * * *

3. الشيخ سيدي السعدي(1261هـ)[1] بن الصالح بن البكري: أخذ عن والده الشيخ سيدي محمد الصالح بن البكري. كان عالما له من الآثار شرح على الأجرومية في النحو. ونسخ بخط يده العديد من المخطوطات. توفي بتمنطيط سنة(1261هـ).

* * * *

4. الشيخ سيدي عبد الحق(1210هـ)[2] بن عبد الكريم بن البكري: أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر، والشيخ سيدي عمر بن المصطفى الرقادي والشيخ سيدي عبد الكريم بن الحاجب. تولى القضاء بعد وفاة والده بأمر من عمه الشيخ سيدي محمد بن البكري سنة(1174هـ). توفي وهو محرم في صلاة الصبح يوم الاثنين مطلع شهر ذي القعدة سنة (1210هـ) من آثاره مجموعة من القصائد الأدبية، وبعض الفتاوى المختلفة.

* * * *

---

1. ينظر بعض التقاييد في خزانة البكريين قصر تمنطيط أدرار.

2. ينظر: ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص.33 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني.ص22 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية .ص 101و127. ومخطوط الدرة الفاخرة ص 05. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 80. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج02. ص120 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات. ص125 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص154. وما بعدها.

5. الشيخ سيدي عبد الكريم(1174هـ)[1] بن البكري: ولد سنة(1096) بتمنطيط وبها قرأ القرآن على يد الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم، و أخذ الفقه والنحو عن والده، وعن الشيخ سيدي عبد الحق، وسيدي عبد الكريم الحاجب، وسيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج عبد الله وغيرهم. تولى قضاء الجماعة بتوات بعد وفاة والده ولم يزل به حتى أنهكه المرض فتخلى عنه لإبنه بإشارة من أخيه سيدي محمد سنة (1174هـ). اشتغل بالتدريس مدة وأخذ عنه ابنه سيدي عبد الحق، وسيدي عبد الكريم الحاجب وسيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج عبد الله وغيرهم. توفي وقت صلاة الجمعة الثامن عشر من ربيع الثاني سنة (1174هـ).

* * * *

6. الشيخ سيدي علي(1286هـ)[2] بن عبد القادر بن البكري: كان عالما فذا جمعته مع ابن عمه القاضي سيدي عبد الحق عدة مراسلات. كان بارعا في النحو، وله تقييدات مختلفة توفي بتمنطيط سنة (1286هـ).

* * * *

---

1. ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .ص 26 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية .ص 125 وما بعدها. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 79. وكتاب قطف الزهرات. ص 121 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص151. وما بعدها.

2. ينظر: تقييدات مخطوطات .خزانة بتمنطيط .

7. الشيخ سيدي محمد(1188هـ)[1] بن البكري بن عبد الكريم: هو سيدي محمد بن سيدي البكري بن عبد الكريم بن امحمد بن محمد بن ميمون بن عمرو بن عمار البازي ولد سنة(1081هـ) بتمنطيط وبها درس على يد والده الشيخ سيدي محمد البكري، وأخذ بعد ذلك على الشيخ سيدي محمد الصالح بن عبد الرحمن الميموني، والشيخ سيدي علي بن حنيني. خصه أبوه بالتصرف وإدارة شؤون زاويته المشهورة دون باقي إخوته. فانتقل إليها الشيخ سيدي محمد سنة(1117هـ) واتخذها مسكنه النهائي حتى توفاه الله بها ليلة الإثنين عشرين من شهر صفر سنة(1188هـ).

*** * * ***

8. الشيخ سيدي محمد(1192هـ)[2] بن عبد الله بن محمد البكري: ولد في ربيع الثاني من سنة(1123هـ). أخذ عن الشيخ سيدي محمد الزجلاوي وعن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، وكان كثير الإطلاع، وأحد شيوخ الشورى الأربعة في المنطقة. له عدة مخطوطات. توفي بتمنطيط في شهر محرم سنة (1192هـ).

وفي الأخير يمكن القول إن المخطوط بصفة عامة وجد في الزاوية نعم المأوى والمستقر فيها حررت معظم مضامينه الفكرية حبرا على الورق، وفيها أيضا أعيد نسخه وتدريسه

---

1. ينظر: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 92 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص143. وما بعدها.

2. ينظر: مخطوط جوهرة المعاني .ص16. والتاريخ الثقافي ص 81.

أحيانا مرات ومرات، وفيها أيضا استقر ووطن مئات السنين هربا من الضياع والنسيان. وبهذا كله استطاعت هذه المؤسسة الخيرية ومنذ تأسيسها أن تكون أهم رافد في نهر الحياة الثقافية والاجتماعية للإقليم بالإضافة إلى وقوفها الصامد والمتميز طيلة هذه الفترة كصمام أمان في وجه كل الحملات التخريبية ضد مقومات الأمة وعناصر هويتها.

المصادر والمراجع

• المخطوطة

1. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات.الحاج محمد بكراوي (المنيعة).
2. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي عبد الكريم بن سيدي أحمد التمنطيطي .خزانة قصر تمنطيط أدرار .
3. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي علي بن حنيني .خزانة قصر زاجلو أدرار.
4. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي علي بن عبد القادر بن البكري .خزانة تمنطيط أدرار.
5. تقييد مخطوط حول نسب وحياة بعض العلماء البكريين .خزانة قصر تمنطيط .أدرار.
6. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني: محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار .
7. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
8. الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد بكراوي (المنيعة). خزانة قصر تمنطيط .أدرار.
9. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار .
10. الكواكب البرية في المناقب البكرية. الحاج محمد بكراوي

(المنيعة). خزانة قصر تمنطيط .أدرار.

11. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.

- المطبوعة

1. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ /17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد. ط2003/1. الجزائر.
2. دليل ولاية أدرار 1999 م، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).
3. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بالعالم .ط1.2005 دار هومة الجزائر .
4. زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر الجزائر.
5. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .ج1و2.الشيخ مولاي التهامي .ط1. مارس 2005.المطبعة الحديثة للفنون المطبعية .الجزائر.
6. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.
7. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر

البحـــث الثامن

الحـملة الإنـجليزية الـهولنـدية

على مدينـة الجـزائر سـنـة 1231هـ، 1816م

من خلال مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي

(ت1233هـ)

(أقدم مخطوطة في الموضوع، وأول شهادة عربية عينية حول الواقعة)[1]

---

1. البحث منشور بمجلة "ترات " الصادرة عن نادي تراث الإمارات أبوظبي الإمارات العربية المتحدة. العدد 139 أبريل 2011 .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

يعتبر الإقليم التواتي بما يحتويه من عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات الخزان الحقيقي للتراث المخطوط في الجزائر عامة. إذ تشير آخر الإحصاءات في هذا المجال أنه وحتى سنة 1962م كانت بالإقليم قرابة العشرين ألف مخطوط متوزعة على أزيد من 100خزانة ومكتبة محلية بالإضافة إلى عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن. مدن مالي وموريتانيا والنيجر وغانا ونيجيريا، ومصر والمغرب وتونس، وغيرها.

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة عامة على أهم هذه المخطوطات في واقعها الحالي، فإننا نجد أن جل إنتاج هذه المرحلة قد ضاع مما ضاع من مخطوطات الإقليم، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، أوبفعل عوامل الإنسان نفسه، وإيمانا منا بمساهمة الجميع في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة، والوقوف على أثر علومنا العربية والإسلامية في مسيرة الحضارة الإنسانية من جهة، وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على كثير من المخطوطات التاريخية الهامة في صراعها حول رحلة البقاء -وما أصعبها -من جهة أخرى. آثرنا الوقوف عند واحد من أهم وأندر المخطوطات المحلية بالإقليم، وذلك لما يحمله بين طياته من وقائع وشهادات حية ونادرة عن واحدة

من أكبر الحملات التاريخية وأشدها ضراوة على مدينة الجزائر في العصر الحديث إنها الحملة الإنجليزية الهولندية بتاريخ 1213هـ الموافق 1816م.

-فما هي أسباب تلك الحملة ؟ وما هي أهم أحداث مجرياتها؟

-ما هي أسباب انهزام الجيش الجزائري في هذه الحملة وماهي أهم النتائج التي أفضت إليها؟

وقبل كل هذا وذاك من هو صاحب الرحلة ؟ وما هي أهم مضان ومصادر معلوماته عن الواقعة؟ أسئلة قليلة من محاور كثيرة نحاول أن نجيب عنها في هذا المقال، علنا بذلك نساهم ولو بأقل القليل في نفض غبار النسيان عن تاريخنا العربي الإسلامي وما أكثره.

التعريف بصاحب الرحلة[1]:

يعتبر الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. واحدا من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري. ولد سنة 1181هـ بتنلان وكان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ كل ذلك عن شيوخ عدة

---

1. ينظر ترجمته في: الدرة الفاخرة .ص 06. وكتاب الرحلة العلية ص36. وكتاب قطف الزهرات ص 81.

نذكر منهم تمثيلا: الشيخ سيدي محمد، و الشيخ سيدي محمد بن احميد. سافر الشيخ التنلاني إلى فاس وأخذ هناك عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون وغيره من أعلام عصره.

عرف الرجل بمشاعره الجياشة، وفي قدرته الفائقة على قرض الشعر. ومما نستشهد له به في هذا المجال رائيته الرائعة في رثاء العالمين الجليلين: الشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن سيدي أحمد بن يوسف التنلاني(1221هـ)، والشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني (1221هـ) أثناء سفرهما حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة(1221هـ)، وذلك في الصحراء. ولقد هزت الحادثة كثيرا من شعراء المنطقة فكتبوا فيها عديد القصائد والمرثيات حيث قال الشيخ التنلاني في مطلع قصيده[1] (2) على إيقاع الطويل:

ألا في سبيل الله فيما أصابنا
من الهم والأحزان والضيق والنكر
لقد غمرتنا الحادثات ببؤسها
وحلت بنا الرزايا من حيث لا ندري

توفي الشيخ سيدي عبد الرحمن إثر عودته من الحج في شهر جمادي الثانية سنة 1233هـ مخلفا لنا ديوان شعر به العديد من القصائد إضافة إلى رحلته المشهورة إلى الجزائر العاصمة سنة (1231هـ) (1816م).

---

1. القصيدة مخطوطة في ثلاث صفحات وينظر أيضا: الغصن الداني ص 74 وما بعدها. و قطف الزهرات ص 89 .

* مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني إلى الجزائر سنة 1231هـ:

كتب الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس التواتي رحلته[1] المشهورة والتي قادته فيها المسيرة إلى الجزائر المحروسة بتاريخ أول شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(1231هـ)(1816م). وهو تاريخ الانطلاق من زاوية جده بتنلان مرورا ببلدة تيميمون[2]وبلاد الزاب بغارداية[3]أولا وكذا مدن المدية والبليدة[4] وأرض متيجة ثانيا ووصولا أخيرا مع طلوع فجر يوم الأربعاء إلى الجزائر المحروسة. حيث يقول في مقدمة الرحلة:

"الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فلما قدر الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنير أحد شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (1231هـ)، خرجت من بلدتنا زاوية تنلان ثالث الشهر المذكور، وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون قاعدة قرارة، وأقمت فيها تسعة أيام وخرجت في العاشر-وهو الثامن عشر منه

---

1. مخطوط الرحلة ورد في ثلاث نسخ .النسخة (ا)(1244هـ) .خزانة قصر باعبد الله أدرار. النسخة (ب) (1161هـ) خزانة قصر باعبد الله أدرار. النسخة (ج) خزانة قصر كوسام أدرار .
2. من دوائر ولاية أدرار حاليا .
3. من ولايات الجنوب الجزائري حاليا على بعد 800 كلم من إقليم توات،و700 كلم من الجزائر العاصمة
4. المدية والبلدية من المدن القريبة من الجزائر العاصمة .

-قاصدا مدينة الزاب " إلى أن قال في وسطها أثناء بلوغه مشارف مدينة الجزائر المحروسة: "خرجت مع رجال من بني أمزاب قاصدين مدينة تطْر وهي أول عمالة صاحب الجزائر من هذه الطريق، وتسمى أيضا لمدية، وفيها الباي ابراهيم، ودخلناها يوم الأحد عيد الفطر، وأقمنا فيها يومنا ذلك. وفي غده خرجنا منها عند الظهر ومشينا يوم ذاك وكثيرا من الليل، وأصبحنا عند المدينة المسماة لبليدة وما أحسنها وأطرافها حازت جميع المحاسن، وهي عروس ذلك الإقليم، ولا يوجد لها فيه نظير. واشترينا فيها ما نحتاجه ليومنا ذاك من خبز أو إدام أوفاكهة ومشينا عنها، وعند العصر دخلنا أرض متيجة، ومشينا فيها إلى الغروب وبتنا هناك ومن هناك يسمع هدير البحر وتلاطم أمواجه، فلما قرب طلوع الفجر مشينا داخلين للجزائر، ودخلناها وسط ضحى ذلك اليوم وهو يوم ألأربعاء، ونزلت في الفندق الجديد بباب عزوز اكتريت فيه بيتا وأقمت فيه ذلك اليوم، وفي غده يوم الخميس اجتمعت بقاضي المالكية في الجزائر، وهو الفقيه الأجل سيدي الحسن بن قاضي المالكية سيدي الحاج مصطفى الجزائري أصلا ودارا وتعارفت معه ووقعت بيني وبينه محبة أكيدة حتى صرنا لانفترق في غالب أوقاتنا فجزاه الله عني في الدارين خيرا"[1].

ولعل أهم انطباع خرج به الرحالة قبل دخوله أرض الجزائر المحروسة هو ملاحظاته الانطباعية على سكان وادي ميزاب، وماسجله من اختلافات مذهبية بينهم وبين سكان باقي الأقاليم الصحراوية. وقبل يوم أو يومين من دخوله مدينة الجزائر سجل لنا الشيخ أيضا انبهاره الشديد لحالة الاخضرار والتنظيم التي

---

1. ينظر مخطوط الرحلة .

وقف عليها في أحياء وأطراف مدينة البليدة عروس الإقليم كما كانت تسمى، ومدينة الورود كما هي الآن تسمى.

وأثناء دخول الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس مدينة الجزائر المحروسة وإقامته بها أرّخ لنا لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر[1] بقيادة اللورد اكسموث، و بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ، الموافق لـ01 سبتمبر 1816م)، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال:

"فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر، وهي أربعون سفينة، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود. ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء[2] بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا .والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم".

---

1. ينظر أخبار الحملة في كتاب: الجزائر في عهد رياس البحر .وليم سبنسر .ترجمة د عبد القادر زبايدية .الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. ص160 وما بعدها. وكتاب مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر. تحقيق أحمد توفيق المدني .الطبعة الثانية 1168هـ،1246م.ص .117 وما بعدها. وكتاب مذكرات وليام شالر .قنصل أمريكا في الجزائر(1816، 1824) تعريب إسماعيل العربي الشركة الجزائرية للنشر .الجزائر 1982. ص 289 وما بعدها.
2. الثلاثاء 10 شوال الموافق ل:03 سبتمبر 1816م.

وقبل أن يخوض قائد جيوش العدو معركته مع الجيش الجزائري بادر بمكاتبة قائد الجزائر في محاولة لخداعه واستمالته وتخويفه من نتائج المعركة عليه وعلى جنده. حيث قال القائد النصراني في نص رسالته:

"اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية، هو على دينه وهم على أديانهم، وانظر صاحب تونس وهو ضدك وأخوك صلحا مع جميع جنس النصارى، وصاحب طرابلس كذلك، كل واحد على دينه، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلاّ عليك، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك. ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس، واصبانيول وافلامينك... وعدد عليه قبائل النصارى، بل أنا بدْر.... وعندي ألفَي قلاع جئتك منها بأربعين... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسارى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين"[(1)]

ويرى الشيخ التنلاني في معرض تعليقه على هذا الخطاب أن الرسالة لم يكن لها معنى أساسا على اعتبار أن القائد النصراني أمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس في معرض حديثه في رحلته:

---

1. ينظر: مخطوط الرحلة.

"... وبعث بهذا الكتاب مع شاوش له فلما بلغ الكتاب صاحب الجزائر وجد أكابر البلاد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف وعادة البلد أن كل من عنده جنان يكون سكنا فيه ذلك الوقت،فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر، وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر. فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة

ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا، فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر والربعة عشر بقي شيء منها"[1].

ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمن دون أن تتحرك لها مشاعره، وتتدفق أحاسيسه، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم.

"... وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولافصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها

1. ينظر: مخطوط الرحلة.

أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري مايشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد، فلما كان نصف الليل نادى النصراني بالبيات إلى الصباح، نادى في بوقه بعجميته حتى نصبح فسكت البارود، فلما كان بعد صلاة الصبح نادى لعنه الله في بوقه نزيد في الحرب أم يكفينا هذا. وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به ولابحربه. فطلب منه العافية فأجابه إليها على شروط أولها أن يرد إليه كل أسير عنده وهم يحسبون عنده في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير واثنين وثلاثين أسيرا، منها من قبيلة كذا وكذا ومن قبيلة كذا كذا وكذا وهكذا. وإن بقي أسير واحد فلا عافية. وثانيها أن النصارى خذلهم الله كانوا عام أول فادوا بعض أولادهم من أصحاب الجزائر وعددهم أحد عشر مائة أسير كل أسير بألف أريال دُرُ الكبير فشرط عليه أن يرد عليه جميع ما وقع به الفدى من الريال وإن بقي شيء من ذلك فلا عافية. وثالثها أن يطلق صاحب الجزائر لهم وهران وعنابه يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع أهل الفلاحة في ذلك "[1].

كانت هذه هي الشروط الثلاثية التي اشترطها القائد

---

1. المصدر نفسه.

الإنجليزي في مقابل إيقاف الحرب، وهي شروط وافق عليها قائد الجزائر جميعا على ما فيها من الإجحاف والظلم لأنه وببساطة لم تكن له القدرة الكافية على مواجهته كما سجل الشيخ التنلاني في رحلته حيث يقول:

"... فأجابه إلى جميع ذلك فوقع الصلح بينهم وانعقد قيل خمس سنين وقيل سنة وقيل خمسة أشهر ما بلغني تحقيق ذلك عن ثقة. والقاضي المالكي أخبرني بوقوعه سنة فكتبوا ذلك وخرج اللعين من المرسى وأرسى سفنه بعيدا منها حتى وفد عليه جميع ما عند المسلمين من الأسارى، وأما المال فما خرج من المرسى حتى استوفى قبضه. وخرب الجزائر خرابا عظيما لا تقع عين من فيها إلاّ على الخراب وزاد الخراب على خمسمائة دار كاملة وأما الغرف والمنارة فبغير حساب، وأعظم من ذلك كله أسوار المرسى التي هي الحصن الحصين للجزائر فقد فُعل فيه ما يفعل بالخراب، وأعظم من ذلك أيضا برج الفنار الذي شاع خبره شرقا وغربا برا وبحرا ولم يبق بلد إلاّ وفيه ذكر وناهيك بهذه البروج عظمة حتى أن وقوده من الزيت كل ليلة قلة زيت وهي بالجزائر ثلاثة عشر رطلا على ما قيل. وهذا البرج مما يقع افتخار الجزائر به على سائر مراسي الإسلام فإنه لايوجد له نظير وهو العدة الوافية في تحصين الجزائر وحفظها، فلا يدخل

مركوب للجزائر ولا يخرج إلاّ عليه وهذا البرج وحده يكفي في تحصينها ويغني عن غيره. فما زال عدو الله يوالي عليه بالكور حتى جعله دكا، وعظمت عليه حسرة الإسلام واشتدت أكثر من غيره بأضعاف كثيرة. وكذلك الجامع الكبير للمالكية خربه حتى لم يبق إلاّ معالمه. ومات من المسلمين ثلاثمائة وإحدى وأربعين رجلا وسبعة وأربعين رجلا أكلهم البارود والكور. شاهدت في الجامع الكبير_يوم التاسع بعد القتال رأس رجل، وكتف آخر، وكرش آخر بمصارينه. كانوا ينقلون خراب الجامع فكل ساعة يجدون مفصلا من رجل. الله تعالى يرحمهم جميعهم ونعم الموت ماتوا. وقد حدثني شيخ القراء بالجزائر سيدي عبد السلام الجبلي المغربي أنه كان مع جماعة يدفنون رجلا من أولاد الجزائر قد ذهبت فخذه وبعض كرشه فلما وضعوه في قبره قهقه قهقهة كبيرة حتى فر أكثر من على القبر[1]. قال الجبلي فقلت له يا شيخ هنيئا لك الشهادة. قال فمد له أصبعه السبابة. ومات من النصارى دمرهم الله على ما أخبر به شاوش النصراني ثلاثمائة رامي في سفينة ضربها المسلمون وغرقوها[2]، وغير هذا لاتحقيق عند أحد به وما شاع وما شاع عند كثير من الناس

1. ينظر تفاصيل عن تدمير قطع الأسطول الراسي في ميناء الجزائر .في تقرير لللورد إكسموث قائد المعركة .مذكرات وليان شالر. ص 303.

2. ذكر وليام شالر في مذكراته أن مجموع القتلى من البريطانيين بلغ 138 أما الجرحى فقد بلغ عددهم 695. أما في الجيش الهولندي فقد كان عدد القتلى 13 والجرحى 52 .أي أن المجموع من الجانبين بلغ 151 قتيل، 747 جريح . مذكرات وليام شارلر قنصل أمريكا في الجزائر 1816، 1824 .ص 311، 312.

هنـاك أنـه مـات مـن النصـارى خمسـة عشـر مائـة فهـو باطـل والتحقيق هو ما في السفينة المغرقة"[1]

ويستمر الشيخ سيدي عبد الرحمن في تسجيل وقائع الحادثـة نقطة بنقطة معددا قتلاها وأسراها وناقلا لبنود صلحها الأخير[2]. وهو كما قال: إنما اعتمد على مصدر مشاهدته هو أولا ثم علـى ما أبلغه به بعض الثقاة كقاضـي المالكيـة بـالجزائر آنـذاك الفقيـه سيدي الحسن بن القاضـي سيد الحـاج مصطفى الجزائـري أصلا ودارا الـذي التقـى بـه وتعـارف معـه ووقعت بينـهمـا محبـة كبيـرة حتى صارا لا يفـترقان في غـالب الأوقات كما قال:

"... فإني ما كتبت ولا نكتب إلاّ ما شاهدته بعيني، أوأخبرنـي به ثقة مثل القاضي المالكي،أو غيره من الثقاة في الجزائر وأقـام عدو الله في البحر بعيدا من الجزائر حتـى قضـى جميـع مـا أراد.

---

1. المصدر نفسه.

2. ينظر : مذكرات وليام شالر ص 157.

وفي غد الصلح بعث الجزائري... للباي على بغل صاحبه بوهران يعلمه بالخبر ويوجه إليه سفينة، وفي يوم الخامس وردت عليه تلك السفينة ووجهها لسلطانه سلطان محمود صاحب اسطنبول، وكاتبه بما جرى بينه وبين النصارى، وأعلمه بحقيقة ذلك كله وأكد عليه أن يوجه إليه مراكب، ثم اشتغل بإصلاح ما أفسدته النصارى، فكان يحمل الحطب الأخضر لطبخ الجير وأعد لذلك خمسمائة جمل تحمل كل يوم حملة. وجميع القبائل التي حول الجزائر يعطون ثلاثة أيام من عنده بردون أو بغل حمل عليه حملة كل يوم ثلاثة أيام، وإلاّفحمل حمارين لكل يوم ولكل رجل ومن لا بهيمة له حمل على رأسه أربع حزمات. وألف بغلة لحمل الحجر والجير، وسبعين مُعَلما للبناء، وأربعة عشر مائة خديم لكل خديم سبع موزونات وللمعلم اثنا عشر موزونات. فأول ما بدأ بإصلاحه سور المرسى، وانفصلت من الجزائر وهو مشتغل بالمرسى لأن الاعتناء بها آكد من غيرها. وأما الدور والغرف والمنارة فلا يلتفت إليها حتى يفرغ منها. وقد أفرد طائفة من المعلمين لبناء المسجد الكبير المنسوب للمالكية. قلت وهدم عدو الله شيئا من قبة روضة العلامة الفقيه الإمام الولي أبي زيد الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، وكذلك هدم قبة مسجد الحنفية الذي عند سوق الحوت حسبت فيه أربعة عشر فرمة"[1].

ويخبرنا الشيخ التنلاني أنه شاهد جميع تلك الوقائع المؤلمة، من خلال إقامته هناك لمدة سبعة وثلاثين يوما عايش فيها هول الكارثة وكذا أهم آثارها السياسية، والنفسية والاقتصادية والاجتماعية على حياة الأفراد داخل مدينة الجزائر، وكذا بقية المدن المجاورة كقسنطينة وتلمسان ونحو ذلك حيث يقول:

---

1. المصدر نفسه.

"... وأقمت بالجزائر سبعة وثلاثين يوما كاملة وخرجت يوم ثمانية وثلاثين ....وفي مدة إقامتي بها ليس فيها بيع ولا شراء،وعامة أهلها في هم وغم خوفا من رجوع ذلك النصراني أوغيره من طوائفهم لما علموا وحققوا من حقدهم عليهم وبغضهم لهم ....ولما وقع بالجزائر ما وقع انقطعت الطريق وقل الأمان بها في جميع نواحيها كل قافلة كانت في طريق من طرق الجزائر وقع فيها النهب والقتل حتى مضى لذلك نصف شهر ونحوه من مدينة قسنطينة إلى تلمسان كلها وقع فيها الخلل في حكمها وحكامها. كان الناس أيقنوا بخراب الجزائر واستيلاء النصارى عليها وقد كان ذلك. إلاّ أن الله تعالى تدارك عباده باللطف وما حال بين النصارى وأخذها بارود ولاسيوف ولا رجال وما حال بينهم وبينها إلاّ هو سبحانه وتعالى لأن الجزائر معظم قتالهم إنما يكون بالمدافع المركبة على سور المرسى وعلى برج الفنار، وعلى ساحل البحر ناحية عين الرباط. والنصراني دخل تحت هذا كله حتى لصق بسور المرسى فكل مدفع خرج تمرُّ

كورته فوق سفن النصارى بكثير ولا نفع لتلك المدافع كلها إلاّ لمنٍ كان خارج المرسى وأما من كان في وسط المرسى فلا يُلحقُه من مدافع الجزائر ضرر لكونه تحت الرمية وبذلك خدع أهلها وكادهم مع أن الجزائر بلغه خبرهم قبل مجيئهم كاتبه بذلك مولانا سليمان نصره الله على ما سمعنا وكاتبه يهود الجزائر من مدينة القرنة(بالقاف الثلاثية) فما بالى بذلك ليقع ما قدره الله وأراد"[1].

ويبدو أن الشيخ التنلاني كان يهدف إلى تدوين الحادثة وتأريخها من البداية، ولذلك نجده لا يكتفي بسرد الأحداث والواقع العامة بل يتعداها إلى سرد أدق تفاصيل الموضوع من مثل ميزان كرات المدافع، وكذا العدد النهائي للقتلى والجرحى، وتعداد قوات العدو وعدتهم وما إلى ذلك:

"... وقد رمى دار السلطان باشا عمر بكورة وَزَنَها أصحاب الباشا المذكور فوجدوا فيها مائة رطل وإحدى وخمسين رطلا بالعطار، وحضرت لوزنها، وخرجت من دار الباشا قدر دويرة ومات تحتها من حشم الباشا وعياله إحدى عشر نفسا على ما قيل. وهذا الباشا فيه من الشجاعة والنجدة أكثر ما يصف الواصف،

---

1. المصدر نفسه.

ولو أن أحدا يموت قبل أجله المقدر لـه مـا عـاش ذلـك اليـوم ولا بقي منـه عظم ولا شيء من ثوبه. استقبل بوجهه وصـدره الكـور الـذي ينـزل مثـل البَـرَد وهـو ينـادي ويصـيح يـا عبـاد الله الجنـة مفتوحة لكم أبوابها الجهاد يا أمة محمد الجهاد يا أمـة محمـد. وهـو فـي ذلـك مثـل الجمـل الفحـل وزبـده علـى فيـه حتـى غطـى شواربه فجزاه الله خيرا على موقفه ذاك. وجميـع مـدافع الجزائـر ما نفع منها شيء ذلك اليوم سوى المدافع التي في بـرج مولانـا الحسـن مـن جهـة عـين الربـاط ومنـه ضـرب المركـب الـذي فيـه ثلاثمائـة نصـراني ولكـن مـا تمكـن مـن الضـرب لمـن فـي وسـط المرسى حتـى هدم المسلمون كثيـرا مـن فنـدق يسـمى فنـدق بنـي امزاب لحيلولته بين برج مولانـا الحسـن والمرسـى فهـدموا بعـض طبقته العليا حتى تمكن للرامي من البـرج المـذكور رمـي مـن فـي المرسى. وأما غيرهم من المدافع فلم تغن عنـهم شيئا"[1].

وبعـد أن وضـعت الحـرب أوزارهـا بـين الفـريقين كـان الشـيخ التنلاني حاضـرا أيضـا فـي كل مكـان مـن شـوارع مدينـة الجزائـر يرصد أخبار ونتائج الحرب نقطة نقطـة،حيث اسـتطاع خـلال مـدة ثمانيـة عشرة يومـا -وهـي مـدة إقامـة العـدو-أن ينقل أهـم ملامـح

---

1. المصدر نفسه.

خارطة مدينة الجزائر بعد الحرب.

"... وفي مدة إقامته لعنه الله خارج المرسى ينتظر أسراه كان أصحابه دمرهم الله يدخلون للجزائر بكرة وعشيا يتسوقون العنب والتين وجميع الفواكه والخضر والدجاج والغنم، ويفتخرون بصنيعهم تصريحا ويقولون هذا الموضع هدمه أهل السفينة كذا وهذا أهل السفينة كذا ولا يقدر تركي ولا عربي يكلمهم حتى أقاموا هناك ثمانية عشر يوما وجاءه أسراه كلهم"[1].

والشيخ التنلاني وهو يسجل أحداث الحملة في محاولة منه لتأريخها تمكن من الحصول على نص الرسالة التي بعث بها القائد الإنجليزي إلى قائد مدينة الجزائر بعد نهاية المعركة، والتي راح يتبجح فيها بقوته وسلطانه، ومكره ودهائه في الحرب. وبالمقابل راح يعترف لخصمه بقوته ومدى صبره لقرابة إحدى عشرة ساعة في الحرب وهذا على عكس جميع الحكام و السلاطين الذين التقى معهم في نزال من قبل حيث يقول القائد الإنجليزي في معرض رسالته المشروطة في الصلح والموجهة إلى حاكم الجزائر بعد نهاية الحرب:

"... اليوم علمت وأنك علمت وحققت بأني صادق فيما أخبرتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــك

1. المصدر نفسه.

بـه قبـل المقاتلـة إنـه لـم يبـق عربـي ولا عجمـي يضـادني، ومـا قاتلني أحد إلاّغلبته وكل من حدثتـه نفسـه بقـوة وشجاعة قهرتـه وغلبته ولم يبق في بر ولا في بحر من قـاف إلـى قـاف مـن عنـده قرن إلاّ كسرته له بقوتي ومالي، ولا تقل إني غدرتك فإن ملاقـاة الأقـران ومحـاربتهم يكـون بـالقوة ويكـون بالشـجاعة ويكـون بالمكيدة والحيلة، كما قيل الحرب خداع. وكما ينبغي لأمثالك أن يكون فيهم فضل جماعة فكذلك ينبغي لهم أن يكونوا أهل مكر وخديعة بل هذا أولى بهم وآكد في حقهم، ولو كنتَ متصفا بذلك ما توصلت أنا لما فعلته بك وبمدينتك ومع هذا كله فإني ما قاتلت أحدا قط وطاول معي مثلك نصراني ولا مسلم حتى أن سيدك وسلطانك صاحب اسطنبول قاتلته عام أول فما مضت ثلاث ساعات حتى أذعن وأطاع وأقر بالغلب، وأنت قاتلتك إحدى عشر ساعة غير سدس فكان آخر قتالك مثل أوله .ولكن الذي أوصيك به لا تحقر الرجال ولا يكون القتال والحرب أحب إليك وأسرع من الصلح والعافية واجعل أيامك لك ولرعيتك أيام عافية ومسالمة يقضون فيها مصالحهم ويبيعون ويشترون ويزيد في أرزاقهم وبهذا يحبونك ويرجونك، يسافرون لأي أرض أرادوا من غير خوف عليهم ولا حذر. وأما ما كنت عليه فلا يرتضيه عاقل. والمقصود من هذه الدنيا هو السير في الأرض برا وبحرا للأسباب والتجارات في عافية وأمان

وأنت أعرف لنفسك والسلام"[1].

ويختم الشيخ التنلاني حديثه عن هذه الحملة بالتأكيد مرة أخرى على مصادره في سرد الوقائع والأحداث والتي لم تخرج في مجملها عن ما شاهده الرجل بأم عينه، أوما وصل سمعه من مصادر ثقاة كما قال:

"... وهذا تحقيق ما وقع بين صاحب الجزائر الباشا عمر وبين بدر لنجليز طاغية أفلنقطرة -لعلها انقلترى -دمره الله وقطع دابره. بعضه مشاهدة وبعضه بطريق الخبر من الثقاة والسلام.وكتبه عبد الرحمن بن إدريس التواني التنلاني"[2].

وفي الختام بقي أن نشير إلى أن معظم الذين أرخوا للحادثة يرون في هذا المخطوط المصدر العربي الوحيد-إلى الآن على الأقل - في تسجيل وتدوين أحداث تلك الحملة، وهو ما يكسب المخطوط أهميته البالغة في تاريخ الجزائر الحديث، لما يحمله من حقائق تفصيلية غاية في الدقة والإحكام لكونها سجلت بعد مشاهد عينية واكب المؤلف أحداثها شخصيا، و استمع فيها بالمقابل إلى شهادة كبار أعيان مدينة الجزائر وقتها. فجاء المخطوط في كل هذا وذاك حاملا لواحدة من أهم وأندر الشهادات التاريخية العينية في تاريخ الجزائر الحديث.

كما يجب التنويه أخيرا إلى أن مخطوط الرحلة جاء في ثلاث نسخ مختلفة. الأولى وردت في اثني عشر صفحة، وهي منقولة من خط المؤلف بتاريخ أواسط ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائتين وألف (1244هـ) وناقلها هو محمد عبد الرحمن بن

---

1. المصدر نفسه.

2. المصدر نفسه.

محمد. والثانية جاءت في خمس صفحات ونصف، وهي بخط الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد البداوي بن سيد المحضي (1261هـ). أما الثالثة فهي منسوخة حديثا بتاريخ ألف وأربعمائة وسبعة عشر (1417هـ) ووردت في ثلاثة عشر صفحة(13ص) وهي بخط ناسخها الشيخ الحاج الطيب شاري. والمخطوط في كل هذا ينتظر أقلام المؤرخين والباحثين لتسليط مزيد من الضوء عليه تحقيقا ودراسة.

البحـــث التاسع

الإمـام المقري في مخـطـوطات التواتيين[1]

---

1. ألقي البحث في ملتقى "تراث المقري مشروع إعادة قراءة" الذي نظمه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المسيلة، الجزائر. بتاريخ 03. 04. 05 مارس 2008م.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

يعد إقليم توات واحدا من الأقاليم الضاربة في أعماق التاريخ، ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل الإسلام[1] حيث كان يسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارته بعد جفاف نهر قير[2] في غضون القرن الرابع الهجري، ولا أدل على ذلك من كثرة الحديث عنه في كتب المؤرخين، والرحالة العرب والأعاجم

---

1. ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ 106 هـ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام 517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد(Bernard) في بحثه عن تاريخ الإقليم أن عمارة الإقليم بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).
2. هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة. الرحلة العياشية ماء الموائد.ص18 الجزء الأول. ط 2. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1397هـ. 1977 م.

علـى السـواء، فـهذا ابـن خلـدون[1] (ت.808هـ) يتحـدث عـن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها قائلا: "... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[2] ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر من الكتاب واصفا إياها بقوله: "....وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى إليه"[3].

وقبل ابن خلدون وبعده نجد أحاديث كثيـرة عـن الإقليـم التواتي فـي كتب الرحالة والمؤرخين كابـن حوقـل، والحسـن الـوزان والكرخـي، واليعقـوبي وابـن بطوطـة[4] (ت.779هـ)،

---

1. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج 1، ج1 ص 93، مج 6، ج11 ص 120، 123، 133، 206 .مج7، ج13 ص 118، 119 .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .
2. المصدر نفسه مج1، ج1 ص 93.
3. المصدر نفسه مج6، ج11 ص 120.
4. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص 699 و 700. دار صادر بيروت.

وأبـــي ســالم العياشــي[1](ت.ق11هــ) وعبــد الـرحمن السعــدي[2] والقاضـــي الفــع محمـــود كــعـــت[3] والرحـــالـــة الجزائـــري الحـــاج بـــن الدين[4] الأغواطي (ت.ق13 هـ) وغيرهم.

وُصـف الإقلـيم التـواتي علـى مـر التـاريخ بأنــه أرض أمــان واطمئنان، كثر فيـه الصـالحون والزهـاد جاؤوه من كافـة الأقطـار العربيـة والإسـلامية واسـتوطنوا بــه متــأثرين ومـؤثرين فـيمن حولهم، نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا: الإمـام المصلح محمد بـن عبـد الكـريم المغيلـي (909هــ)، والقاضــي العـادل سـيدي ســالم العصموني (968هـ)، والفقيه الورع سيدي عبد الكريم بن أمحمد البكـراوي (1042هــ)، والعروضــي البــارع سـيدي محمـد بـن أب المزمـــــــــــــــــــري (1160هـــــــــــــــــــــ)،

---

1. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص 20. وزار الإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ .
2. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها .
3. تناول بعض أعلام الإقليم في كتابه المشهور بـ: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص15، تحقيق: (هوداس) و (دلافوس)، مطبعة بردين، باريس 1964 .
4. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة 1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة ينظر: كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. أبو القاسم سعد الله. ج2. ص 401. ط 2 الجزائر 1985 .

والمربي الحكيم سيدي أبي ألأنوار بن عبد الكريم(1168هـ)، والمفسر الشهير سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (1189هـ)، والأديبين المفلحين سيدي محمد بَكُّو الإدوعلي (ق12هـ)، وسيدي محمد بن المبروك الجعفري(1198هـ)،واللغوي الفذ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي(1212هـ)، والمؤلف القدوة سيدي المختار الكنتي(1226هـ) والفقيه الصوفي مثل سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي(1281هـ)، والمؤرخ المتقن سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق(1374هـ) وغيرهم.

كل هذا وغيره جعل الإقليم التواتي عبر القرون السالفة نقطة ارتكاز وحضور قوية في حياة القوافل الذاهبة والآيبة من وإلى أدغال إفريقية، وذلك بفعل ما شهده من حراك ثقافي وعلمي شدّ له حضور وانتباه عدد كبير من العلماء، وفي هذا الوسط العلمي الخصب كان علماء الإقليم يجوبون الأرض شمالا وجنوبا، شرقا وغربا بحثا عن سند علمي ومدد معرفي جديد.

ولعل من أهم الوجوه العلمية التي كان لها الأثر العلمي البارز والحضور القوي في حياة التواتيين على امتداد القرن الحادي عشر الهجري ومابعده، نذكر تمثيلا لا حصرا: الشيخ الإمام أبي العباس

أحمد المقري التلمساني[1]، ويكفي هنا أن نشير إلى علاقته القوية ودوره الفعال في رسم معالم شخصية الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد(1042هـ) [2] أو عالم توات -كما لُقب-ورائد حركتها العلمية على امتداد القرن الحادي عشر بما خلفه من مؤلفات وتلاميذ من بعده، وبما عُرف عنه من تنقل وترحال في شتى البقاع بحثا عن المعلومة مع السند والإجازة في إيصالها، وهو مامكنه من الجلوس والأخذ عن علماء عدة داخل الإقليم وخارجه يتقدمهم في ذلك الإمام أبي العباس أحمد المقري.

يعتبر الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي (1042هـ) أحد أهم وأبرز علماء توات الذين كان لهم فضل الصحبة والتلمـــــــــــــــــــــــــــــــــــذة

1. المقري بفتح الميم وتشديد القاف، وقيل بفتح الميم وسكون القاف والأول أشهر والثاني أصح نسبة إلى مقْرة التي تقع ما بين مدينتي المسيلة وبريكة ويعبر عنها اليوم بمقْرة بفتح الميم وسكون القاف. معجم مشاهير المغاربة .ص 507 وما بعدها. أبو عمران الشيخ وآخرون ..1995.المؤسسة الجزائرية للطباعة .الجزائر.
2. ينظر ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .ص 12 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني. ص 30 وما بعدها. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص 07 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 34 وما بعدها. ومخطوط الدرة الفاخرة .ص 05. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 75 وما بعدها .وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص114. وما بعدها .

على يد الإمام الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد المقري فجاءت حياة الشيخ سيدي عبد الكريم على خطى شيخه حافلة بعشرات المؤلفات المختلفة الأغراض، والتي لا تزال في معظمها مخطوطة وحبيسة أدراج رفوف خزائن المنطقة نذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا: مخطوط حاشية المختصر عن ابن الحاجب والتي اختصرها بأمر من شيخه سيدي سعيد قدورة الجزائري، ومخطوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني، و مخطوط غاية الأمل في إعراب الجمل، مخطوط رحلته تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز، مخطوط شقائق النعمان في من جاوز المائة بزمان، و مخطوط رحلته في طلب العلم، وله أيضا شرح على جمل ابن المجراد سماه: غاية الأمل في إعراب الجمل، وله في الميراث أبيات شعرية وشَرْح عليها، وله قصائد شعرية عدة أشهرها قصيدته المسماة سفينة النجاة لأهل المناجاة وما إلى ذلك من العناوين.

وفي ثنايا هذه المخطوطات وغيرها وبخاصة رحلاته في طلب العلم كان الشيخ سيدي عبد الكريم يستطرد مطولا في سرد أدق تفاصيل حياة شيوخه، وما سمعه عنهم من أخبار هنا وهناك، كما هو الأمر مع شيخه الإمام الشيخ أبي العباس أحمد المقري الذي تحدث عنه مطولا في مخطوطين مختلفين على الأقل مما وقفنا عليه شخصيا من ضمن مؤلفات الشيخ البكري المخطوطة.

ولد الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي سنة (994هـ)، وأخذ عن علماء عدة منهم والده الشيخ سيدي أمحمد، والشيخ سيدي عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجراري، وعن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي مَحَلّى السجلماسي، والشيخ أحمد بابا التمبكتي، والشيخ سيدي سعيد بن الحاج

إبراهيم المشهور بقدورة الجزائري[1]، كما تتلمذ على الشيخ سيدي علي الأجهوري المصري، وأخذ عنه إجازة في كتاب الشفا للقاضي عياض، وكتاب مختصر الشيخ خليل بن إسحاق وغير ذلك حيث يقول الشيخ الأجهوري في ذلك بعد البسملة والتصلية على النبي الكريم: "... وبعد فقد التمس مني الأخ في الله تعالى الشيخ الإمام العلامة النحرير الهمام سيدي محمد عبد الكريم التواتي المغربي الإجازة بكتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض، ولمختصر الشيخ العلامة خليل بن إسحاق، وبغير ذلك ظانا أني أهل ذلك حقق الله ظنه وجعله من الفائزين بجاه محمد صلى الله عليه وسلم فأجبته إلى ذلك رجاء الثواب في الدنيا ويوم المئاب وأجزته

---

1. هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو عثمان الشهير بقدورة، ولد بمدينة الجزائر و درس على الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي، سافر إلى تلمسان ودرس على يد الشيخ سيدي سعيد المقري .توفي سنة 1066هـ له عدة مؤلفات. معجم مشاهير المغاربة. ص 437 وما بعدها.

بذلك وبجميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه وإن لم أكن أهلا لذلك"[1] والمتأمل إلى العبارات الواردة من الشيخ سيدي علي الأجهوري في رده على تلميذه يدرك مكانة وقيمة الشيخ سيدي عبدالكريم عند شيخه، وبين علماء عصره،فهو يصفه -كما رأينا -بالشيخ العلامة والنحرير والهمام وما إلى ذلك.

كان الشيخ سيدي عبد الكريم إماما عالما تولى قضاء الجماعة بتوات، وتوفي ليلة الاثنين وقت صلاة المغرب ثلاثة وعشرين (23) من شهر شوال سنة(1042هـ).

وغير الشيخ الأجهوري تتلمذ الشيخ سيدي عبد الكريم في علم الحديث الذي نبغ فيه تحديدا على يد الشيخ سيدي أحمد المقري التلمساني، وأجازه في ذلك كما سنرى .وإلى هذا كله تتلمذ الشيخ البكري على شيوخ آخرين وقد عددهم بأسمائهم وأسانيد مروياتهم، وكذا إجازاتهم له واحدا واحدا وذلك في مخطوطه المخصص لذلك، والذي سماه الرحلة في طلب العلم، وذكر فيه أخبارهم ودقائق أمورهم العلمية تحديدا.

وقبل الشيخ الأجهوري وبعده -كما رأينا -كان للشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد اتصال بالإمام أبي العباس المقري الذي

---

1. مخطوط تقيدات حول إجازات البكريين وغيرها للشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب 1195 قال إنه وجد نص الإجازة بخط سيدي علي الأجهوري نفسه و نقلها عنه .ووردت أيضا في مخطوط "تقييد بعض أخبار البعض ممن سلف من الأباء والأجداد" للشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم خزانة البكريين بتمنطيط).

تتلمذ عليه في علم الحديث وأجازه في ذلك في نص رسالة[1] واضحة ومحددة بعث بها الشيخ المقري لتلميذه الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد ردا على رسالة وصلته منه في طلب الإجازة. ونَسَخ لنا نص الإجازة نقلا عن المصدر بخط الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري(1041هـ) نفسه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم (ق12هـ)حفيد الشيخ سيدي عبد الكريم وفي ذلك يقول: "...ووجدت أيضا بخط الإمام سيدي أحمد بن محمد المقري التلمساني ما نصه بعد البسملة والتصلية:" أحمد من جعل الرواية لحفظ الدين خير سُلّم، وأصلي على نبيه المرسل بالدين الصحيح الحسن المشهور المعلم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه التابعين نهجه الأقوم الأقوى وسلم،

---

1. ينظر نص الإجازة في مخطوط "تقييد بعض أخبار البعض ممن سلف من الأباء والأجداد" للشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم . خزانة البكريين بتمنطيط.

ورضي الله عن العلماء الراوين سننه الشريفة المتبوئين منها الظلال... التي تأوي إليها من تعلم وعلم. وبعد فلا خفاء أن العلم أجل ما تحلى به من تكلم وخصوصا علم الحديث الذي اعتنى الموفقون بأمره في القديم والحديث، وبنوره يزاح عن القلب ما به أظلم ولم يزل أهل النُّهى يعتنون به في كل زمن، ويحرصون على الأخذ به من كل عالم مؤتمن،ومن استبرأ لدينه لا بد أن يسلم. وكان من جملة من سلك هذا الطريق، وانتهى إلى خير فريق، الفقيه الفاضل الأريب الشيخ محمد عبد الكريم بن محمد التواتي، وفقني الله وإياه وجميع المحبين إلى الأمر المواتي، فسأل مني أن أجيزه بكل ما تجوز لي وعني روايته بشرطه مع أني لست بأهل لمعرفة ما طلب وضبطه فقال لسان حاله عند ارتحاله ما لا يدرك جله لا يترك كله. ولما ألح علي في المطلوب أجبته في صورة المكره المغلوب، والله سبحانه آخذ بيد المنكسرة القلوب فليروي عني وفقني الله وإياه جميع ما تصح لي وعني روايته من مجاز ومسموع ومصنف ومجموع على الشرط المعتبر عند أصحاب الأثر، ومن جملته البراءة من التصحيف والتحريف حسبما يعرف ذلك من له أدنى مشاركة في التعريف. وقد ضاق بي الزمان والمكان عن ذكر بعض الطرق والأسانيد وهي موجودة بيد الأصحاب هنالك وكذلك بعض [الأسانيد]، وأوصيه ونفسي أحق بذلك بتقوى

الله التي هي ملاك الأمر للسالك في تلك المسالك، وانتهاز فرصة العمر فكل شيء غير الله هالك، وكما قلت بديهة مخاطبا فكري الحالك: (من بحر السريع)

بادر إلى التوبة في وقتها * فالمرءُ مأخوذُ بما قد جناه

وانتهز الفرصة هذا............. * ما فاز بالكَرْمِ سِوى من جَنَاه

وابتغيَ النهجَ الذي سنَّه * نبيُنا الوضّاحُ فينا سَنَاه

عليه أزكى صلواتُ بها * يبلغُ ذو التقصيرِ أقصى مدَاه

والآل والأصحاب معْ مَن تلا * وكان مَعْنيا بما قَدْ عنَاه

"... وكتبه عَجِلا خجلا وجلا مرتحلا العبد الفقير أحمد بن محمد المقري التلمساني وفقه الله أوخر شهر...."[1].

ومن خلال هذا النص نستطيع الوقوف على مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات أهما:

1. يأتي هذا النص ليعكس لنا حرص القدماء رحمهم الله على الأخذ بالإجازة والسند في جميع مروياتهم وأحاديثهم توخيا للأمانة والدقة في النقل.

2. يأتي هذا النص أيضا ليعكس لنا مكانة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري (1041هـ) وتضلعه في علم الحديث

---

1. وردة الإجازة مبتورة من تاريخ النسخ أما الأبيات فهي على وزن السريع .ينظر:مخطوط الإجازة في خزانة البكريين بتمنطيط.

خصوصا والذي أصبح فيه مصدر السند والمشيخة لدى الكثير من العلماء.

3. تعكس هذه الوثيقة أيضا تواضع الشيخ المقري أمام تلميذه رغم اطلاعه الواسع وهو ما عبر عنه في أكثر من مناسبة في هذه الإجازة وذلك في مثل قوله: "مع أني لست بأهل لمعرفة ما طلب وضبطه" وقوله أيضا: "ولما ألح علي في المطلوب أجبته في صورة المكره المغلوب "وقوله كذلك في نهاية الإجازة". وكتبه عَجِلا خجلا وجلا مرتجلا العبد الفقير أحمد بن محمد المقري التلمساني".

4. تبين لنا الإجازة أيضا مكانة سيدي عبد الكريم بن امحمد (1042هـ) عند شيخه المقري الذي اعترف له في مقدمة النص بالمشيخة و بالفضل ورجاحة العقل والتفوق في هذا العلم حيث قال: "وكان من جملة من سلك هذا الطريق، وانتهى إلى خير فريق، الفقيه الفاضل الأريب الشيخ محمد عبد الكريم بن محمد التواتي، وفقني الله وإياه وجميع المحبين إلى الأمر المواتي".

5. وأخيرا تأتي هذه الإجازة لتبين لنا حرص الشيخ سيدي عبد الكريم على التعلم رغم تقدم سنه وهو ما جعله يلح في استجازة شيخه والرواية عنه في علم الحديث الذي تعلمه عنه خصوصا. وهذا الأمر ظاهر في رد الشيخ المقري حين قال: "فسأل مني أن أجيزه بكل ما تجوز لي وعني روايته بشرطه " إلى أن يقول: "ولما ألح علي في المطلوب أجبته في صورة المكره المغلوب".

ومما وقفنا عليه أيضا عن حياة الشيخ المقري في مخطوطات التواتيين ما نقله عنه الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب بن سيدي محمد الصالح(1195هـ) نقلا عن أبي علي

اليوسي(تـ1102هـ) قوله:[1] "قال قد وجدت أبا العباس قد وقع بينه وبين طلبة العلم من أهل مصر شحناء عظيمة وحدث أن... (هـ،و) اتفاق غريب وهو أن حضر ذات يوم بسوق الكتب وهو إذ ذاك لم يُعرف، فوقع في يده سفر من تفسير غريب ففتح على تفسير سورة النور فإذا هو قد تعرض لمسألة فقهية غريبة، وذكر فيها اختلافا وتفصيلا وتحقيقا، فحفظ ذلك كله على الفور. وكان رجلا حافظا، ثم اتفق عن قريب أن اجتمع علماء البلد دعوة وحضر معهم، فلما استقر بهم المجلس إذا سائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها فدُفعت للأول من أهل المجلس فنظر فيها فكأنه لم يحضره فيها ما يقول، فدفعها لمن يليه، ثم دفعها للآخر وهكذا حتى بلغت

1. تقيدات مخطوطة عن إجازات البكريين وغيرها .خزانة البكريين تمنطيط .

أبا العباس المذكور، فلما تناولها استدع الدواة فكتب عليها الجواب لنحو ما حفظ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين،فلما فرغ تعاطوها فقالوا: من ذكر هذا فقال لهم ذكره فلان في تفسير سورة النور فالتمسوا التفسير فإذا الأمر كما ذكر فدخلهم من ذلك ما هو شأن النفوس".

ويعلق الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب بن سيدي محمد الصالح (1195هـ) على هذا الأمر بقوله[1]: "قلت وليس ببدع فمازال هذا الجنيس يتحاملون على من توسموا فيه.... عليهم أومزاحمة في رتبة أوحظ إلاّ من عصمه الله وقليل ما هم.

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا إن ذاك ذميم"

ثم يسترسل الشيخ البكري بعد هذا في سرد أخبار من وقع لهم مثل ما وقع للشيخ أبي العباس المقري من مثل ما وقع لسيبويه مع أهل الكوفة، وما وقع لسيف الدين الأموي مع أهل مصر، وما وقع للفقيه محمد بن تومرت المعروف بالمهدي إمام الموحدين... وغيرهم كثير ممن عدد أمثلتهم الشيخ سيدي عبد الكريم.

وبعد استطراد في المسألة يعود الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب (1195هـ) في مخطوطه السالف الذكر إلى ترجمة الشيخ سيدي أحمد بن محمد المقري التلمساني نقلا عن اليوسي (تـ1102هـ) دائما حيث يقول: [2] "وحدثني أبو الفقيه أبا العباس المذكور: كان أيام مقامه بمصر قد اتخذ رجلا عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب [يجوب]

---

1. المصدر نفسه .

2. المصدر نفسه .20، المصدر نفسه .

البلد أسواقا ومساجد ورحابا وأزقة وكل ما رأى من أمر وقع أوسمع يريحه فيقصه عليه".

ويعلق الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب على هذا الأمر مرة أخرى بقوله: [1]: "وهذا اعتناء بالأخبار والنوادر والتواريخ وقد كان نحو هذا الشيخ من مشائخنا أبي عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي... إلى أن يقول: "وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ضعيف جدا في المغاربة"[2].

وفي الوجه الثاني من نفس الورقة من المخطوط المذكور يواصل الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب الحديث عن سيرة الإمام سيدي أحمد بن محمد المقري شيخ جده سيدي عبد الكريم بن امحمد نقلا عن أبي علي اليوسي(ت1102هـ) والغدامسي

1. المصدر نفسه .

2. المصدر نفسه .

دائما قوله[1]: "وأبو العباس المذكور هو أبو العباس أحمد بن محمد المقري(انتهى) كما وجدته. وفي شرح سيدي محمد بن عمر الغدامسي المسمى بإرشاد خالقي ومصوري بشرح عقيدة الإمام المقري[2] المسماة بإضاءة الدُجُنة لكونها اعتقاد أهل السنة ما نصه: اسم الناظم رحمه الله تعالى أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن أحمد بن محمد المقري القرشي التلمساني مولدا ومنشئا نزيل فاس المحروسة، وكان إماما في كل فن سيما في فن التوحيد له في التوحيد مؤلفات شتى، وله حواشي على المختصر، ومات قبل أن يبيضها".

وهي إشارة واضحة إلى أن للإمام المقري مؤلفات أخرى غير التي وفق إلى تدوينها في مخطوطاته وأثرت عنه، وهي الشروح والحواشي التي كان يسجلها على مختلف المدونات لكنه مات قبل أن يبيضها.

ويسترسل الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب(1195هـ) في أخبار الإمام المقري نقلا عن سيدي محمد بن عمر الغدامسي نقلا عن بعض مشائخه نقلا عن الإمام المقري أنه قال:[3]"قرأت

---

1. المصدر نفسه.

2. ذكر هذا العنوان الأستاذ أبو القاسم محمد كرو. ضمن مقال على الأنترنات بعنوان المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية. وقال إنه متواجد بمكتبة علي النوري بتونس ورقمه هو **64**. ينظر موقع:

showthread.php ،forums ،**www.sahab.net** ، ،**http:**

بتاريخ **11، 02، 2008**

3. المصدر نفسه .

في كل فن فنهيت عن قيس خط الرمل و..... وعلم النجوم" إلى أن يقول عنه: "وكان خطيبا بجامع القرويين بفاس فيجلس على المنبر عند الآذان فيؤلف الخطبة التي يخطبها وهو على المنبر، فما يفرغ المؤذن من الآذان إلاّ ورتب خطبته في غاية ما يكون " ويواصل نقله عنه قائلا أيضا: "وسمعت من مشائخنا أنه يقرؤهم الحديث بالأزهر فكل حديث يبدأ به الدرس يبتدأ له بخطبة توافقه، فيختبر به أهل مصر فمهمى وقف على كلام صعب يعملون له عزمه بالقصيد، ويلهون فيها على المطالعة، ولا يفارقونه إلاّ وقت الدرس فيأتي بعجب العجائب".

ومما ينقله الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب (1195هـ) من شرح الشيخ سيدي محمد بن عمر الغدامسي عن الإمام أبي العباس أحمد المقري في قوة ذاكرته وحضور بداهته في استيعاب صفحات الكتاب الواحد كاملة وفي ليلة واحدة فقط قوله: "وحكى لنا بعضهم أنه أتى إسكندرية فوجد فيها مجلدا عند رجل يريد

السَّفر، فطلب الشيخ منه السِّفر فقال له أردت السَّفر غدا، فقال له تكفيني هذه الليلة فأخذه منه فطالعه تلك الليلة فحصل جميع عبارته في ذهنه". انتهى كلام الحاجب.

وأمر حضور الذهن هنا وقوة الذاكرة الحافظة ليس بالأمر المستبعد ولا المستغرب بل إن لنا في كتب السلف وقصص الخلف ماهو أكبر من أن يستوعبه عدٌّ أو يحصره عدد.

ومن الأخبار التي وصلت إلى سمع الشيخ سيدي محمد بن عمر الغدامسي عن حياة الإمام المقري وسارع إلى تدوينها الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب ما نقله الغدامسي عن مشائخه عن قصة الإمام المقري مع سلطان مصر وقتها حيث يقول: [1] "وسمعت أيضا من مشائخي أن السلطان أرسل رجلا يطلب له كتابا مشتملا على مسائل، فلم يجد في مصر كتابا مجتمعا على ما طلبه، فقال بعض الناس لذلك الرسول: اطلب المقري يؤلفه لك فطلبه، فألفه له في ليلة واحدة فأتى به إلى السلطان فأعلمه بالخبر فعجبه فأمر له في مصر بجوامل كثير وتزوج الشيخ واحدة من بنات السادات الوفائية[2] بمصر وحج وجاور في الأرض المقدسة".

وهذا النص أيضا يعطينا صورة واضحة على سعة ثقافة الإمام المقري واطلاعه على شتى العلوم، وهو ما مكنه من إيفاء غرض رسول السلطان من جهة و كسب ود السلطان نفسه و التقرب منه من جهة أخرى .كما يضعنا النص أيضا عند

---

1. المصدر نفسه.

2. السادة الوفائيين هم من أعظم البيوت في مصر بعد البكريين .ينظر معجم مشاهير المغاربة. ص 437 وما بعدها.

السبب والطريقة التي اختار بها الأمام المقري زوجته بمصر، والتي كانت من السادات الوفائية الأسرة العريقة في مصر حينها.

ومما يذكره الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب في تقاييده أيضا عن الإمام المقري نقلا عن الشرح المذكور للشيخ سيدي محمد بن عمر الغدامسي ما وقع له ساعة الاحتضار من رؤيا مع سيدنا الخضر عليه السلام حيث يقول في ذلك: [1] "حكي أنه حين حضرت الشيخ الوفاة غُشي عليه ثم أفاق من تلك الغشية فرحا مستبشرا وأثَرُ البِشر على وجهه فسأله الحاضرون بالله عن ذلك فقال لهم أتاني الخضر عليه السلام فقال لي أنت ياأحمد موفق وبحر علم يتدفق. " وهي إشارة جلية على تقوى الرجل وعلو مكانته الدنيوية والأخروية .

وعن سند الإمام سيدي أحمد بن محمد المقري في علم التوحيد يذكر الشيخ الغدامسي أن المقري أخذ العلم عن عمه سيدي سعيد مفتي تلمسان حيث يقول: [2]"... أخذ علم التوحيد عن عمه سيدي سعيد المقري وعمه عن الحافظ بن جلال عن سيدي الكفيف عن العرف بالله إمام الفن سيدي محمد السنوسي صاحب العقائد السنية فبينه وبين الشيخ السنوسي ثلاثة. " انتهى كلام الشيخ الغدامسي.

وفي نهاية هذا الحديث المطول عن الإمام المقري يصل الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب في مخطوطه إلى الحديث عن تاريخ وفاة الإمام وموضع قبره حيث قال: "... وأما موتُه في

---

1. تقيدات مخطوطة عن إجازات البكريين وغيرها .خزانة البكريين تمنطيط .

2. المصدر نفسه.

عام ستة أوسبعة وأربعين بعد الألف[1] وقبره بمصر في قرية المجاورين من الناحية التي تلي الأزهر نسأل الله تعالى أن يحشرنا وإياه في الفردوس من دار النعيم بجاه سيد الأولين والآخرين آمين يا رب العالمين انتهى من الشرح المذكور"[2].

وغير الشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب (1195هـ) وجده الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد (1042هـ) نجد اسم المقري

---

1. هذا التاريخ لم نطلع عليه في مصدر غيره والراجح أنه توفي في جمادي الأخيرة من عام (**1041**هـ.) معجم مشاهير المغاربة .ص **509**.

2. تقيدات مخطوطة عن إجازات البكريين وغيرها .خزانة البكريين تمنطيط .

يتردد كثيرا في أسانيد إجازات التواتيين بعضهم البعض، فهذا الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (1189هـ)[1] يتحدث في مخطوط فهرسته عن إجازات شيخه الإمام أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن الفقيه سيدي إبراهيم بن سيدي عبد الرحمن فيقول: "وأجازه أيضا في تصانيف السنوسي بسندها إلى محمد بن المختار بن الأعمش إجازة. قال: أخبرنا بها شيخنا الكردي إجازة عن شيخه العلامة مسند الحرمين للشيخ عيسى المغربي الجزائري المالكي، عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي، ثم الجزائري(1057هـ) عن أبي العباس الشهاب أحمد بن محمد المقري التلمساني، عن عمه مفتي تلمسان سعيد بن محمد المقري التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ملال التلمساني(856هـ) عن أبي عثمان سعيد المأمون التلمساني الشهير بالكفيف عن مؤلفها الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني"[2]، ثم يقول في موضع أخر: "قال الكردي: وأخبرني بها أيضا شيخنا عبد الباقي الحنبلي، عن الشهاب المقري، وأجازه أيضا في إضاءة الدُّجُنة في عقائد أهل السنة بالسندين إلى مؤلفها الشهاب

---

1. واحد من أبرز علماء توات في القرن 12 هـ توفي بالقاهرة أثناء عودته من الحج .له مؤلفات مختلفة لا تزال مخطوطة .ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخه. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات .ص 29 وما بعدها،ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص 03. ومخطوط جوهرة المعاني .ص23 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات .ج، 02. ص220 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمن بن عمر التنلاني. وكتاب قطف الزهرات .ص 99 وما بعدها.)

2. مخطوط فهرسة أشياخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر. خزانة كوسام أدرار

المقـري، وأجـازه أيضـا فـي جـوهرة التوحيـد للشـيخ إبـراهيم اللقاني(1041هـ) بسنده السابق أنفا[1]".

ويواصل الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر(1189هـ) حديثه عن أشياخه وسنده في العلم قائلا: "ومنهم الأستاذ المقرئ الحافظ سيد الحاج عبد الرحيم بن محمد التواتي ثم التماوي ثم التامرتي .... توجه للحج ولقي بالقاهرة الإمام المقرئ المسن سيدي أحمد البقري،فأخذ عنه السبع على طريقة الشاطبيه... وأخبره أنه أخذ القرآن بسند عال من طريقة الجن، وذلك أنه أخذ عن أبيه وهو أخذ عن الشيخ موسى وهو أخذ عن الشهاب سيدي احمد المقري التلمساني وهو عن الولي الصالح سيدي عبد الوهاب الشعراني، وهو عن السيد شمهروش الجني الصحابي وهو عن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم-عن جبريل عن اللوح عن القلم، عن رب العزة تبارك وتعالى"[2].

ومن شيوخ سيدي عبد الرحمن الذين يسندون في إجازتهم إلى الشيخ المقري: الشيخ أبوعبد الله سيدي محمد بن علي الدرعي حيث يقول عنه: "ومنهم شيخنا العلامة الرحلة الرواية الفقيه المحدث الأديب أبوعبد الله سيدي محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الدرعي"[3]. إلى أن يقول في رواياته وأسانيده: "وروى عن الطبري أيضا شرح التحفة بسنده إلى البابلي عن الشيخ سالم،عن الغيطي،عن زكرياء، عن مؤلفه الحافظ بن حجر العسقلاني. وروى عنه أيضا دلائل الخيرات عن شيخه عبد الله بن سالم المذكور، عن سيدي عبد الرحمن الحسني المغربي

---

1. المصدر نفسه.

2. المصدر نفسه.

3. المصدر نفسه.

المكناسي الشهير بالمحجوب، عن والده السيد أحمد عن جده محمد عن أبي جده عن مؤلفه، ورواه أيضا عن سيدي محمد الصغير، عن شيخه سيد محمد بن عبد الرحمن الفاسي،إجازة، عن سيدي عبد القادر الفاسي عن الإمام أحمد المقري عن أبي العباس الصومعي(1016هـ) عن سيدي أحمد بن موسى السملالي،عن سيدي عبد العزيز التباع (لعله الدباغ) عن مؤلفه سيدي محمد بن سليمان الجز ولي"[1].

وهذه الأسانيد والإجازات التواتية التي مرت جميعها في طريق شخص الإمام أبي العباس المقري تُوقفنا عند أكثر من صورة حية على محيط الرجل الذي كان يدور في فلكه بين التلمذة أحيانا وبين المشيخة أحيانا أخرى فنعرف من شيوخه مثلا: الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وعمه الشيخ سيدي سعيد بن محمد المقري، والشيخ أبوالعباس الصومعي وغيرهم. كما يستطيع القارئ أن يتتبع سند الإمام في كل علم كما هو مذكور في هذا النص الذي بين أيدينا، والذي يبين لنا مثلا أن شيوخه في حفظ القرآن وقراءته كانت على السبع وبسندها العالي تصل إلى رب العزة عز وجل مرورا بالولي الصالح سيدي عبد الوهاب الشعراني، الذي أخذه عن السيد شمهروش الجني الصحابي وهو عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-عن جبريل عن اللوح عن القلم. أما سنده وشيوخه في الفقه والعقيدة وغيرها، فنعلم أنه أخذ كل ذلك عن أبي العباس الصومعي (1016هـ) عن سيدي أحمد بن موسى السملالي،عن سيدي عبد العزيز التباع (لعله الدباغ) عن مؤلفه سيدي محمد بن سليمان الجز ولي.

---

1. المصدر نفسه.

وكما تضعنا هذه النصوص عند بعض ممن تتلمذ عليهم الإمام المقري في مسيرته العلمية تعطينا أيضا وبالمقابل بعضا ممن أخذوا عن الشيخ بواسطة وبدونها حيث يذكر لنا النص أسماء كل من الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري (1057هـ)، والشيخ موسى،والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ سيدي عبد القادر الفاسي وغيرهم.

وأخير فإن المتأمل لهذه النصوص والمرويات المخطوطة جميعها عن علماء توات. يستطيع أن يقف وللوهلة الأولى على مدى أهمية الإمام المقري في حياة التواتيين العلمية كغيرهم من تلاميذ العروبة والإسلام الذين اتصلوا بالإمام أبي العباس ونهلوا من مشاربه، فجاءت تراجم وأخبار التواتيين المخطوطة في معظمها مملوءة بأخبار الإمام أبي العباس المقري وبسنده العلمي وكذا أهم الإجازات التي أثرت عنه في ذلك، وهي أمور كلها تضعنا حقيقة عند بعض حدود امتدادات الإمام العلمية تأثرا وتأثيرا.

رحم الله الإمام أبا العباس أحمد المقري وسائر أئمة المسلمين وأسكنهم فسيح جناته إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي (المنيعة) خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار
2. تقييد بعض أخبار البعض ممن سلف من الأباء والأجداد للشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم (ق12هـ) خزانة البكريين. قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
3. تقيدات حول إجازات البكريين وغيرها للشيخ سيدي عبدالكريم الحاجب (1195هـ). خزانة البكريين قصر تمنطيط. ولاية أدرار
4. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني: محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار
5. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.

6. الدرة البهية في الشجرة البكرية خزانة البكريين قصر تمنطيط. ولاية أدرار
7. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
8. رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي(1042هـ) في طلب العلم .خزانة قصر باعبد الله ولاية أدرار.
9. فهرسة أشياخ سيدي عبد الرحمن بن باعمر رالتنلاني (1189هـ) خزانة قصر كوسام ولاية أدرار.

- **المطبوعة**

1. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري. أبو القاسم سعد الله. ط2 الجزائر.1985
2. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ،17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد. ط1،2003. الجزائر.
3. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، أبو القاسم سعد الله، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م الجزائر.

4. **تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. طبعة هوداس 1964م.**
5. **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش: كعتي محمود كعت بن الحاج. طبعة هوداس 1964م.**
6. **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر بيروت لبنان.**
7. **التسلسل الزمني لأحداث توات، برنارد سافرو، (مترجم)مركز البحث العلمي غرداية، الجزائر.**
8. **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم .ط1 .2005 دار هومة**
9. **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.**
10. **الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني .الشيخ محمد باي بلعالم .ط1. 2005 الجزائر.**
11. **قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.**

12. مـاء الموائد (الرحلـة العياشـية). تحقيـق محمـد حـاجي، ط2، 1397هـ،1977م، مطبوعـات دار المغـرب للتـأليف والنشـر. الرباط المغرب

13. معجم مشاهير المغاربة .أبو عمران الشيخ وآخرون الشيخ .جامعة الجزائر .1995

14. الموسـوعة المغربيـة للأعـلام البشـرية والحضـارية، عبـد العزيز بن عبد الله، المغرب 1976م.

15. النبذة في تـاريخ تـوات وأعلامهـا مـن القـرن 9هـ إلـى القـرن 14هـ. عبد الحميد بكري .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر .

البحـــث العاشر

الوقف الإسلامي في زوايا ومدارس إقليم توات (جنوب الجزائر)
ودوره في النهضة العلمية للإقليم
من القرن6هـ إلى نهاية القرن15هـ

ملخص البحث:

يعتبر الإقليم التواتي(جنوب الجزائر) من أكثر الأقاليم الجزائرية حضورا للزوايا القرآنية والمدارس الوقفية على مر التاريخ إذ أنه وابتداء من تاريخ القرن السادس الهجري (550هـ) تاريخ تأسيس أول زاوية بوقفها الإسلامي المتميز، لم ينقطع العمل الخيري التطوعي عن الزوايا والكتاتيب والمدارس التعليمية .حتى بلغ العدد في بعض فتراته الأزيد من مائة مدرسة وزاوية علمية.

ولقد اضطلعت هذه المؤسسات العلمية الوقفية منذ تأسيسها بأدوار علمية بارزة ومتميزة نابعة من صميم أهداف رسالتها التي تأسست ووُقِّفَت من أجلها، ويأتي في طليعة تلك الأدوار والأهداف تمثيلا لا حصرا:

1. تحفيظ القرآن الكريم والتحفيز عليه: فهي لم تكتف بفتح أبوابها أمام طلبة العلم، بل إن بعض شيوخ الزوايا والمدارس التعليمية حددوا في وصاياهم الوقفية نصيبا لحفظة القرآن عامة يزيد وينقص بحسب عدد سور القرآن المحفوظة.

2. تعليم الفقه وسائر العلوم اللغوية والدنيوية.

3. نشر الإسلام في كثير من بقاع العالم. ونمثل في ذلك

بما قامت به الزاوية الكنتية خصوصا في غرب إفريقيا.

4. مكافحة الأمية. وذلك بفتح قاعات خاصة لتعليم الكبار مبادئ القراءة والكتابة. ويكون ذلك في أوقات خاصة وخارج أوقات العمل المعهودة.

5. المساهمة في نسخ المخطوطات وانتقالها من منطقة إلى أخرى،حتى غدت المنطقة في ذلك وإلى الآن خزانا حقيقيا للمخطوطات في الجزائر قاطبة بما يزيد عن عشرة آلاف مخطوط.

وانطلاقا من كل هذا وغيره كثير جاء تفكيرنا في مشاركة إخوتنا القائمين على هذا الملتقى الهادف، منصبا في تسليط الضوء على هذه المؤسسات الوقفية الخيّرة النيّرة لهذه المنطقة الإسلامية الضّاربة في أعماق التاريخ.

*** فما هي علاقة إقليم توات بالوقف عامة والوقف العلمي خاصة؟ وما هي أبرز المؤسسات الوقفية العلمية في ذلك؟**

*** ما هو واقع الوقف الإسلامي في زوايا ومدارس إقليم توات ماضيا وحاضرا ؟ وما أثر ذلك في النهضة العلمية والأدبية التي عرفها الإقليم في القرون الماضية؟**

*** ما هي أهم الأدوار العلمية التي اضطلعت بها هذه المؤسسات الخيرية عبر تاريخها الطويل ؟ و ما هي أهم المعوقات التي وقفت**

وتقف إلى الآن في سبيل تحقيق رسالتها؟

وأخيرا أين نحن من نظام الوقف حديثا في وقت استغلته الحضارة الغربية أحسن استغلال وأقامت عليه معظم مدارسها وجامعاتها المتخصصة ونجحت في ذلك إلى أبعد حد ؟

أسئلة قليلة من كثيرة نرغب في إثارتها على أمل الوصول - معا -بإذن الله إلى إجابات كافية، وتوصيات شافية لما من شأنه أن يسهم في نشر ثقافة الوقف داخل مجتمعاتنا الإسلامية. وأن يفعل من دور العمل الخيري الوقفي،ويعزز رسالته النبيلة.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

نص البحث:

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

يعد إقليم توات جنوب الجزائر واحدا من الأقاليم الضاربة في أعماق التاريخ ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل الإسلام[1] حيث كان يسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارته بعد جفاف نهرقير[2]

1. ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ 106 هـ ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال، بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام 517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (Bernard) في بحثه عن تاريخ الإقليم أن عمارة الإقليم بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).
2. هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة .العياشي. الرحلة العياشية ماء الموائد. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1397هـ. 1977 م. ط 2 الجزء الأول ص18.

في غضون القرن الرابع الهجري ولا أدل على ذلك من كثرة الحديث عنه في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم على السواء فهذا ابن خلدون[1] (ت.808هـ) يتحدث عن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها قائلا: ".....وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[2] ثم نراه يتحدث عنه في موضع آخر من الكتاب واصفا قصوره المتعددة بقوله: "...وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت <u>وهو بلد مستبحر في العمران</u> وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى إليه"[3].

وقبل ابن خلدون وبعده نجد أحاديث كثيرة عن هذا الإقليم في كتب الرحالة والمؤرخين العرب والأعاجم كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة[4]،وأبي سالم

---

3. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون.دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان. مج 1، ج1 ص 93، مج6، ج11 ص120، 123، 133، 206 .مج7، ج13 ص118، 119.

2. المصدر نفسه. مج1، ج1 ص93.

3. المصدر نفسه. مج6، ج11 ص120.

4. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.. دار صادر بيروت. ص 699 و700.

العياشي[1]، وعبد الرحمن السعدي[2]، والقاضي الفع محمود كعت[3] والرحالة الجزائري الحاج بن الدينالأغواطي (ت.ق13 هـ)[4] إضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف(Gerhard Rolf)[5] والمؤرخين الفرنسيين مارثان(Martin)[6] وبرنارد سافرو (Bernard)[7].

---

1. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص 20. وزار الإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ.
2. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها.
3. تناول بعض أعلام الإقليم في كتابه المشهور بـ: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق: (هوداس) و(دلافوس)، مطبعة بردين ، باريس 1964. ص15.
4. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة 1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ الجزائر 1985. ج2. ص401. ط2.
5. زار الإقليم سنة 1864 م وتحدث عنها في كتاباته. المصدر السابق. ص64.
6. زار الإقليم سنة 1904 م. وكتب عنه في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب 1504 إلى 1902م) المصدر نفسه. ص45.
7. ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية.

أما من علماء الإقليم ورحالته المعروفين، فقد كتب عنه الشيخ مولاي أحمد بن هاشم (ت.ق12هـ)[1]، والشيخ سيدي عبد القادر بن عمر(ت.1121هـ)[2]بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (ت.1189هـ)[3]، والشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق (ت.ق14هـ)[4]، والشيخ مولاي أحمد أحمد الإدريسي الطاهري (ت.ق14هـ)[5]والشيخ سيدي أحمد النحوي[6]. وغيرهم وغيرهم كثير.

---

1. تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة 1113 هـ .ينظر: مبروك مقدم .المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر (19 م) و بداية القرن العشرين (20م) ، بتوات وقورارة ، وتديكلت.. ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر 1987م.
2. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر.المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.
3. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمن بن باعومر، ص01 وما بعدها. المخطوط محفوظ بخزانة باعبد الله أدرار.
4. تحدث عنها في رحلته الشهيرة(درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام)، ص06 ومابعدها.
5. تحدث عنها في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص12 ومابعدها.
6. تحدث عنها في كتابه. لذاذ الأقوات في من حضر وعبر بأرض توات. أخبرني بذلك الشيخ الحاج أمحمد الكنتي.

أعتبر الإقليم التواتي على امتداد تاريخه الطويل والزاخر بالأحداث الثقافية أحد أهم مناطق ومراكز الزوايا والمدارس القرآنية الوقفية على مستوى القطر الجزائري عموما، إذ أنه وابتداء من القرن السادس الهجري تاريخ قدوم الشيخ مولاي سليمان بن علي وتأسيسه لأول زاوية وقفية بالإقليم على الأرجح سنة (581هـ) توالى تأسيس الزوايا والمدارس الوقفية في هذا الإقليم تباعا، ليصل العدد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري إلى أزيد من سبعين زاوية ومدرسة قرآنية وقفية كبرى، وبتعداد طلبة ومتمدرسين هو الأول على مستوى القطر الجزائري بما يفوق الستين ألف طالب، ومئات الشيوخ والأئمة. فكانت بذلك هذه الزوايا الوقفية أحد أهم وأكبر خزان للمخطوطات وطنيا وإقليميا تقريبا.

لقد شكلت الزوايا والمدارس الوقفية في منطقة توات موطنا ورافدا أساسيا من روافد الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة، حيث أن جل علماء المنطقة مروا في تعليمهم وتعلمهم بالزوايا والمدارس الوقفية العامة المنتشرة في كل أقطار الإقليم بما تقدمه من وجبات ثقافية دسمة ومتنوعة أولا، وبما توفره من مأوى ومطعم لروادها ثانيا،وفي ذلك يقول المؤرخ الشيخ مولاي أحمد الطاهري المراكشي واصفاً المنطقة وزواياها: " ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافر

لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه، فيجد حتى علف الدواب... وما أكثر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك"[1].

هذا من الجانب الاجتماعي أما من الجانب العلمي فإن هذه المؤسسات الوقفية بتخصيصها لجزء أكبر من أملاكها للجانب التعليمي من جهة، وبتوفرها على كثير من خزائن المخطوطات التي كان العلماء يترددون عليها ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم من جهة أخرى،فإن هذه المواطن قد شكلت منارة حقيقية ووحيدة في الإقليم لكل العلماء العاملين في هذا المجال خاصة،وكذا طلبة العلم والمعرفة عامة. وهو الدور الذي كان محل إعجاب العام والخاص من علماء المسلمين المترددين على تلك المواطن حيث يقول الشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب القاموس المحيط في وصف الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة التواتي صاحب الزاوية العلمية المشهورة في توات: "...منازلهم في أقبلي من عمالة

1. مخطوط نسيم النفحات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري. المخطوط محفوظ بالمدرسة الطاهرية بسالي.

توات، وزاويتهم محترمة، وقد تولى مشيخة ركب الحج كعادة أبيه وجده، وكنت قد سمعت به ووصلت إليّ أخباره وكاتبته، وعقدت معه عقد الأخوة، ثم ورد علينا حاجا في أثناء سنة 1197هـ فاجتمعت به، وشاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه ما يفوق عن الوصف، وقد عقدت معه عقد الأخوة والمحبة، وسمع مني أشياء، وكتبت له الإجازة، ودعا لنا بخير وعاد لبلاده، ولا تنقطع عني مراسلاته وهداياه بارك الله فيه"[(1)]

وهذا الموقف نفسه نجده يتكرر مع الشيخ مولاي أحمد الطاهري العالم المغربي المتجول الذي ساقته الأقدار إلى هذه الديار التواتية سنة ألف وثلاثمائة وستة وخمسين هجرية (1356هـ، 1937م) على الأرجح، فوجد في قصورها وأوقافها الخيرية ضالته المعرفية والعلمية بما خصصه سكانها من وقف خاص بالعلم والعلماء، وهو ما مكنه سريعا من تأسيس مدرسة علمية من أوقاف المسلمين،وظل يشتغل بها حتى وفاته المنية وفي ذلك يقول: "ساقتنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم

---

1. "مرتضى الزبيدي .مخطوط معجم المشايخ ص 18 .وينظر أيضا: محمد مرتضى الزبيدي .المعجم المختص. تحقيق محمد عدنان البخيت وآخرون .مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. المملكة العربية السعودية .ط 1 ، 1431هـ، ج1، ص79.

وإنما هي من أحسن المصادفات، فوجدنا فيهم أحسن الأهل ووجدت بها ضالتي المنشودة فاستقام بها لنا المقام وحسن العيش وأرغده في بذل غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار، وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات"[1].

والزاوية أو المدرسة الوقفية عموما هي اسم " يطلق على بناء أوطائفة من الأبنية ذات طابع ديني... عرفت في أوائل القرن (08هـ) وكانت تطلق على مكان معد للعبادة، كالمسجد، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها، وإيوائها للواردين عليها وعابر السبيل، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن (05هـ)، وسميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة"[2]، أما عند أهل توات فإن مصطلح الزاوية أو المدرسة الوقفية يشار بها إلى تلك الصدقات الجارية التي يحبّسها الشخص في حياته لتبقى بعد وفاته صدقة جارية، وهذا من خلال نص موثق ومحدد، يحبس فيه جملة من الأملاك الخاصة، وقد يكون لها مكان وموقع خاص، ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته،وبعد وفاته يتعاقب عليها (مقدَّمين) على التوالي. وتنقسم هذه المؤسسات الوقفية عند أهل

---

1. مخطوط نسيم النفحات..

2. محمد نسيب .زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر الجزائر. ص30...

توات إلى ثلاثة أنواع: زاويا الضيافة، زوايا العلم، زوايا الضيافة والعلم معاً.

وهذه الزوايا والمدارس الوقفية جميعا ساهمت كثيراً في توفير المأوى والمطعم وكل ما يحتاجه الزوار إلى هذه الديار، كما كانت أيضا مقرات خاصة يتردد عليها الطلبة والعلماء ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم، وهو ما يمكن اعتباره جميعاً موطناً أساسياً من مواطن الدرس العلمي بالمنطقة.

وإذا أخذنا على سبيل التمثيل لا الحصر الزاوية البكرية[1] لمؤسسها الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي(1133هـ)[2]، نموذجا في نشاطها العلمي وما وقّفه

---

1. جاء في بعض التقاييد المخطوطة أن هذه الزاوية تأسست سنة(1120 هـ) وقيل (1109هـ)، أسسها الشيخ البكري خاتمة لمجموع زواياه داخل وخارج الوطن.
2. هو الشيخ سيدي البكري(1133هـ) بن عبد الكريم بن امحمد ولد في يوم 12 من رمضان 1042هـ توفي عنه والده الشيخ سيدي عبد الكريم في أربعينية ميلاده بأربعين في نفس السنة ، فتكفل به عمه سيدي الحاج أمحمد القاضي بن عبد الكريم بن أمحمد ، وعنه أخذ مبادئ علومه الأولى في الفقه والنحو وغير ذلك كانت للشيخ البكري في آخر حياته رحلة إلى البقاع المقدسة حيث مر بتونس وهناك أسس زاوية مشهورة باسمه إلى الآن ،ثم اتجه نحو طرابلس الغرب، ثم قصد مصر، فقابل فيها العديد من العلماء، والمشايخ من بينهم: الشيخ أبي عبد الله محمد الخرشي ،مفتي الديار المالكية في ذلك الوقت، ومن هناك توجه إلى الحجاز. وفي أثناء عودته إلى الجزائر مر بأرض الزاب أسس بها زاوية أخرى،=

=ثم قصد أخيرا أرض تقرت التي بقي بها قرابة بها قرابة الثلاثين(30سنة) .تولى قضاء الجماعة بتوات سنة(1092هـ). وفي زوال يوم الأحد الثاني من شهر ذي القعدة سنة (1133هـ) انتقلت الروح الزكية إلى بارئها. ينظر: أحمد جعفري .الحركة الأدبية في

الشيخ المؤسس لها من خيرات وأوقاف عامة وخاصة، ومدى انعكاس كل ذلك على واقع الحركة العلمية بالإقليم عامة، نجد أن هذه المؤسسة الوقفية قد كانت ولا تزال إلى الآن قبلة العديد من طلبة العلم من داخل الجزائر وخارجها، وأنها استطاعت ومنذ تأسيسها في القرن الحادي عشر الهجري أن تحافظ على دورها الريادي في العناية بالعلم والعلماء. وكانت في ذلك محط أنظار علماء الجزائر والعالم الإسلامي قاطبة، يفدون إليها ويستقبلون وفودها،كما حصل لمؤسس الزاوية الشيخ سيدي البكري مع الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدوره الجزائري(1076هـ) حين زاره في زاويته بالجزائر العاصمة حيث استقبله الشيخ سيدي سعيد ببيتين من الشعر جاء فيهما[1]:

لو تعلم الدار من قد جاءها فرحت

واستبشرت ثم باست موضع القدم

وأنشأت بلسان الحال قائلة

أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ونجد الأمر نفسه قد تكرر لشيخ الزاوية مع الشيخ أبي عبد الله محمد الخرشي، مفتي الديار المالكية في ذلك الوقت، وهو واقع يعكس بصدق مكانة الشيخ سيدي البكري،وما وصلت إليه زاويته العلمية بين الحواضر الإسلامية آنذاك.

أقاليم توات من القرن 7هـ إلى القرن 13هـ .منشورات الحضارة .الجزائر 2009م ط1 الجزء الأول ص38 وما بعدها

1. الشيخ البكري. مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. خزانة تمنطيط. ص53 ومابعدها.

ولم تقف أوقاف الشيخ العلمية عند حدود تأسيس زاويته المشهور بتمنطيط، بل تعدته إلى خارج حدود أرض الجزائر حيث استطاع الشيخ أن يوقّف حبسا علميا آخر له بتونس أثناء رحلته إلى الحج، وكذلك فعل في طرابلس الغرب وفي بلاد الزاب وغيرها.

ولعل هذا الدور العلمي الريادي هو ما جعل علماء توات في تلك الفترة يتحسرون كثيرا على فقد المؤسس بعد وفاته، وراحوا يعددون لنا بعضا من تلك الأدوار العلمية التي كانت تؤديها زاوية الشيخ البكري ممثلة في شخص شيخها ومؤسسها حيث يقول الشيخ الإداوعلي(ق 12 هـ) في ذلك تمثيلا:[1]

آه علـــى توات حل الوبـال بـــــــها
وصارت من بعد نور العلم في الظلـــــــم
بموت عالمها الحبر الذي انتشــــرت
عـــلومــــه بأرض العـــرب والعجـــــم
أيــــن الفنــــون التي كانت مقررة
أين التفاسيـر أين النحو في الكلم
أين الحديث وأين الفقـه يا أملـــــي
أيــــن البديــــع وأين منطق البكــم
أيــــن البيــــان وتوحيـــد يمــيــــزه
بــــعـــد الإمام البكري درة العلـــــم

---

1. ينظر: الشيخ البكري .مخطوط درة الأقلام خزانة تمنطيط .ص 100 ، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص73 وما بعدها و.عبد الجميد بكري. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ..ط1 دار الهدى الجزائر.. 2005. ص 135 وما بعدها.

من للمسائل بعد الشكل يا أسفي

مـــن للمنـــابر بعد الحـاذق الفهـــم

من للدفـــاتر بل من للمدارس بـــل

مـــن للنـــوازل بـل في اللوح والقلـم

أكرم به سيدا شمس الورى قمـــرا

بيـــن العباد ونـــور يذهـــب الظلـــم

قد كان فينا دليـــل الحق ينصره

ويحمـــل الكل حـــقا يصل الرحم

وفي الموضوع نفسه نرى عالما آخر من علماء القرن الثاني عشر الهجري يتحدث عن هذه الزاوية وعن دورها الريادي في الدفع بالحركة العلمية داخل الإقليم حيث يقول الشيخ سيدي علي بـن حنينـي(1115هـ) الـذي كانـت تجمعـه روابـط خاصـة بهـذه الزاوية، واستفاد من علومها كثيرا: [1]:

الحمد لله العظـيـــم الأحـــــد

الواجد الحي العزيز الصـــمـــد

ثم الصـــلاة والـــســـلام أبـــدا

علـى النبـــي العـــربـي أحـــمـــد

وآلـــه وصـــحـــبـــه الأخـــيـــار

من الـمـــهـــاجـــريـــن والأنـــصـــار

...

...

يا ربنا انزل بـــهـــذي الـزاويـــة

سترا ولطفـــا ودوام العـــافـيـــة

---

1. ينظـر: الشـيخ البكـري مخطـوط درة الأقـلام ص52. وعبـد الحميـد بكـري. النبذة.ص145.

زاويـــــة بكـــريـــــة قـــديـــمـــــة
عـــلـــويـــــة شـــــريـــفـة كريـمـــــة

وعن نفس الدور نجد شاعرا آخر من شعراء الإقليم يتمثله في زاوية وقفية أخرى من زوايا الإقليم حيث نجد الشيخ سيدي أمحمد العالم في القرن الثاني عشر الهجري ينظم قصيدة وهو في ديار الغربة في أرض المغرب الأقصى، يسترجع فيها أيامه الخوالي التي جمعته مع أحبته ورفقاء دربه في مجالس العلم بزوايا إقليم توات وبخاصة في مقر زاويتهم بزا قلوا[1]. حيث يقول الشيخ[2]:

ولـمـا تغـربـنـــا وقـــل مســـــاعـــد
ونفـســـي لشـــــدة الـــفـــراق تـــــراود
تذكـــرت إخـــوانا لـــنــــا ومعـــارفــــا
ومـــاقــــد مضى من عهدنــا متباعـــد
ونحـــن بغرب حـــول شيخ الـمعــــارف
وقد ضاق صـــدري طالـما أنا جاحد
وكــان به جسمـــي وقلبـــي ببـلــــدة
مـــع الأهـــل والإخـــوان ظل يـــنـاشـد
في زاويـــــة بـــكــــريـــــة عـــلـــويـــــة
لـنــــا بـــتـــوات جاهـهــــا متـــزايـــد
فسلـم عـلى سكانـها مـــــن أقـــارب
وغيـــــرَهـــم عـمـــم فإنــــك راشـــد

1. أخبرني الشيخ الحاج أمحمد الشيخ بأنزجمير بأن الزاوية المقصودة هنا هي زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بن أبي بكر.
2. ينظر: مخطوط القصيدة. في مكتبة الحاج محمد الشيخ قصر أنزجمير أدرار.

وأســـــأل ربــــــي أن يَمُـــنّ عليــــــهــم
ويجمــــع شملـــــنـا بهـــم فنــــعاضــد
هنـــــاك رجـــال صالحـــون أحـــبــة
وحُـــق لي أبكهـــم فإنــــيّ فـــاقــد
رجـال كرام خالفوا النفس والهـوى
ونـــالـــوا بفضل الله ما نـال عـــابـد
ألا أيـها المشتاق فاصغ لذكـــرهـم
هُديـــت لحب الصالحين الأمـــاجـد

وأهمية هذه القصيدة كما ترى أولا لا تكمن في عدَ كل تلك الأسماء من رواد العلم والمعرفة الذين عمّت بهم زوايا توات في تلك الفترة، بل إن هذا النص أيضا جاء ليعطينا صورة حية وصادقة لواقع الحركة العلمية في الزوايا والمؤسسات الوقفية بإقليم توات خلال القرن الثاني عشر الهجري وما شهدته من حراك ثقافي منقطع النظير.

وإلى هذا كله كانت الزوايا والمدارس الوقفية بتوات محطة أساسية ورافدا مهما من روافد الرحلة العلمية بالإقليم .بما وفرته من زاد معرفي وعلمي لزائريها من الرحالة، إضافة إلى المأوى والمطعم وحسن الاستقبال، وهو ما جعل العديد من الرحالة يثنون عليها في رحلاتهم،ويدونون مقراتها كمحطات أساسية في كتاباتهم، كما هو حال الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني(1189هـ) الذي يقول في مخطوط رحلته في طلب العلم، والتي انطلق فيها من مقر زاويتهم بتنلان[1] بعد صلاة جمعة يوم العاشر من شهر جمادي الثانية سنة(1188هـ)، حيث يقول: "فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جماد

---

1 من قصور توات. أسس به الشيخ سيدي أحمد بن يوسف زاوية علمية كبيرة سنة1078هـ،

الأخير ونزلنا مدينة تمنطيط[1]،اصفرار يومنا وأقمنا بها يوم السبت، وأسرينا منها وقلنا زاوية الجديد[2]ثم أسرينا منها وقلْنا زاوية الرقاد[3] وبتنا بها ثم رحلنا منها لقرية بوعلي [4] وزرنا بهـــــــــــــا قبـــــــــــــــر الـــــــــــــــولي

1. تمنطيط كانت عاصمة الإقليم قديما. وهي تقع جنوب الولاية أدرار بنحو عشر كيلومترات تقريبا وبها فرع مشهور من الزاوية البكرية.
2. تعود لمؤسسها الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد بن عومر. و تقع على بعد خمسة وأربعين كم تقريبا من مقر الولاية أدرر .وهي تابعة إداريا لبلدية تامست.
3. المقصود هي الزاوية الكنتية التي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمد بن مجمد المعروف بالرقاد. وهي على بعد خمسة وسبعين كم تقريبا جنوبا من مقر الولاية أدرار.
4. من قصور بلدية زاوية كنته يعود في تأسيسه إلى أبي علي البرمكي. كان موطنا للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر .وهو مدفون بجوار هذا القصر.

الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وبتنا بها وقلنا، ثم رحلنا منها ظهر يوم الأربعاء متوجهين لبلاد تدكلت، وبتنا دونها يومين، وقلنا يوم الجمعة قرية تمقطن، ثم رحلنا منها لزاوية سيدي أبي الأنوار، وأقمنا بها ثلاثة أيام، ثم رحلنا منها لأولف الأشراف وبتنا به، ثم لزاوية تقرافت، وبتنا بها، ثم أسرينا منها سحرا متوجهين لبلاد دبدر فنزلنا بأولاد موسى وأضافنا بها سيدي علي بن سيدي أحمد، ثم رحلنا لزاوية أبي نعامة نفعنا الله به وزرناه، وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور، فأقمنا بها أربعة أيام..."[1] وعلى طول خط الرحلة، وفي كل محطة من محطاتها كما رأينا كان يتردد اسم زاوية أو مدرسة وقفية مشهورة بالإقليم.

ومن المؤسسات الوقفية التي انتشر صيتها بإقليم توات وكان لوقفها الدور البارز في النهضة العلمية ومساعدة العلم والعلماء بإقليم توات أيضا الزاوية الكنتية بجميع فروعها وخاصة فرع الزاوية الرقادية منها حيث كانت هذه الزاوية على غرار الزاوية البكرية في قصر تمنطيط والبلبالية في قصر كوسام[2] والجعفرية في قصر بودة[3]والرقانية في رقان[4]،

---

1. ينظر مخطوط الرحلة .خزانة قصر باعبد الله أدرار.

2. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع حاليا بالقرب من مقر المدينة أدرار عاصمة الإقليم بنحو 05 كلومترات غربا.

3. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع حاليا بالقرب من مقر المدينة أدرار عاصمة الإقليم بنحو 20 كلومترات غربا.

4. من قصور توات به زاوية وخزانة للمخطوطات. يقع جنوب الولاية أدرار بنحو 150 كلومترات.

والزجلاوية في زاجلو[1]، والصوفية في بادريان[2] وغيرها من الزوايا والمدارس العلمية الوقفية الكثيرة نبراسا علميا استنار به الكثير من سكان الإقليم على امتداد قرون عديدة. وفي هذا المجال برع الكنتيون وكان لهم الأثر البارز وتشهد لهم به -وإلى اليوم- عديد الزوايا التي تحمل اسمهم في زاوية كنته[3] والجديد[4]وقصر أقبلي[5] وغيرها من القصور، بالإضافة إلى خزائن المخطوطات المليئة بآلاف المخطوطات والكتب العامة والخاصة. هذا دون أن ننسى دور هذه الزاوية الرئيسي في انتشار القادرية في إفريقيا "حيث كان علي الكنتي قطبا للطريقة القادرية وعندما انتقلت قبائل كنته في القرن الخامس عشر الميلادي إلى واحة توات حملوا معهم القادرية وفي هذه الواحة تطورت الطريقة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر"[6]،ومن هذه الطريقة أخذ الكنتيون طريقتهم الخاصة في الأوراد والمعروفة بالطريقة البكائية التي تنتسب إلى

---

1. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 75 كلومتر.
2. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع شمال الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 210 كلومترات تقريبا.
3. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 80 كلومتر تقريبا.
4. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 50 كلومتر تقريبا.
5. من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات. يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 300 كلومتر تقريبا .
6. أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية. مكتبة مدبولي. ص.37

الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي، فصارت الطريقة في أصلها فرع من القادرية المنسوبة إلى الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني (471هـ،561هـ، 1079م،1166م).

ومن الأدلة التاريخية الشاهدة على أهمية الزاوية الكنتية ودورها العلمي البارز بما وفرته من وسائل مادية ومعنوية في سبيل العلم والعلماء،هذه الرسالة التي خُطّت في أواسط جمادي الثانية عام (1095هـ) وهي متبادلة بين عالمين من خريجي الزاوية الكنتية فرقت بينهما الأيام بعد أن جمعتهم مجالس العلم في تلك الزاوية في أيام لاتنسى. حيث يقول الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج وهو بأرض تفيلالت بالمغرب (ق12هـ)[1] مخاطبا ابن عمه مولاي

1. ينظر: محمد بن المصطفى بن اعمر الرقادي .مخطوط حول حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني(1207هـ) للشيخ(ق13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار .

علي بن مولاي أمحمد (ق12هـ) بقصر زاوية كنته. "... أخي لقد عاشرتكم في مجالس العلم وبلوت أحوالكم، وعلومكم وأسراركم، وقضيت معكم مراهقتي وشبابي وكهولتي، وعلمت من علمكم وحلمكم وصبركم... سيدي لقد ورد علينا مكتوبكم الذي راقت من سواد النقش سطوره، واستنارت بين السطور طروسه، وأرانا من خط أناملكم معجزاته. فبهرت آياته، وأطربتنا بتغريد الطيور همزاته فعوزنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته. ولقد ذكرتنا رسالتكم بما كنا نتلقاه في أيام الدراسة مجالس السادات النقاد معادن الفصاحة والبلاغة في المعتاد، المتقدمين من مشائخ بني الرقاد وما جبلوا عليه وظهر عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية، والتعابير البلاغية مع الأحوال السنية. فلا وربك ما هي إلاّ نفحة من نفحاتهم ورمية من كنانتهم، وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا... فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيا من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى. أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفته و نوامس رحمته"[1]

وإذا انتقلنا إلى المضمون العلمي في هذه الزوايا والمؤسسات الوقفية

---

1. ينظر مخطوط الرسالة.

عامة وما انفردت به واجباتها العلمية المقدمة لمريديها، نجد أنها قد تميزت بمنهجها المستقل في التدريس والذي يتخذ من الفارق العمري بين أفراد المجتمع من جهة وبين مضمون المدونات المرجعية من جهة أخرى. مجالا أوحد للتفرقة بين المتعلمين.فالطلبة هنا يتلقون دروسهم وواجباتهم العلمية بحسب كل صنف من الرواد،فنجد أولا صنف المبتدئين، ثم صنف المتوسطين، ثم صنف الخاصة. حيث يبدأ الشيوخ والمعلمون بهذه المؤسسات دروسهم مع طلبتهم في الصنف الأول بقراءة وتحفيظ القرآن ثم التدرج إلى شرح ابن عاشر، ورسالة بن أبي زيد القيرواني في الفقه، وإلى الآجرومية والملحة الحريرية في النحو.أما بالنسبة للمتوسطين من الطلبة فكانوا يقفون معهم في الفقه مثلا على لامية الزقاق ومع الرسالة بتعمق .أما بالنسبة للخاصة والمتفوقين فكان الوقوف معهم في النحو مثلا عند مغني اللبيب لابن هشام وغيرها من الكتب الخاصة والمتخصصة. وقد تخرج من هذه الزوايا والمدارس الوقفية على امتداد فترة اشتغالها منذ القرن السادس الهجري وإلى وقتنا الحاضر آلاف الطلبة والأئمة من الحاملين لكتاب الله والمتفقهين في علومه[1]. ولقد اضطلعت في ذلك ومنذ تأسيسها بأدوار علمية بارزة ومتميزة نابعة من صميم أهداف رسالتها

1. وما بعدها ينظر: الشيخ مولاي التهامي .سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات. المطبعة الحديثة للفنون ص65.

التي تأسست ووُقِّفَت من أجلها، ويأتي في طليعة تلك الأدوار والأهداف تمثيلا لا حصرا:

أولا: تحفيظ القرآن الكريم والتحفيز عليه: فهي لم تكتف بفتح أبوابها أمام طلبة العلم، بل إن بعض شيوخ الزوايا والمدارس التعليمية حددوا في وصاياهم الوقفية نصيبا لحفظة القرآن عامة يزيد وينقص بحسب عدد سور القرآن المحفوظة. وهي المبادرة التي جعلت من طلبة العلم في هذا الإقليم يتنافسون صبية على حفظ كتاب الله، ويتخصصون شيوخا في تفسير آياته، والتأليف في علومه. ونمثل هنا بالشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي (1189هـ) خريج زاوية تنلان الذي ألف مخطوطا شرح فيه كتاب الحلبي المسمى بالدر المصون في علم الكتاب المكنون والكتاب مخطوط في ما يزيد عن أربعمائة صفحة[1]. كما نجد للشيخ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي (1212هـ) خريج زاوية زاجلوا مخطوطا في غريب القرآن[2]. أوكالذي فعله الشيخ المختار الكبير الكنتي الذي ألف كتابا في هذا الباب سماه: فقه الأعيان في حقائق القرآن ويضاف إلى ذلك عشرات المخطوطات في هذا الباب.

---

1. المخطوط محفوظ بزاوية تنلان وعليه نسخ عدة .وقد قام طالب في جامعة الجزائر مؤخرا بتحقيق جزء منه. وقد ذكر المرحوم الشيخ باي بالعالم أن الأستاذ أبو عبد التواب عبد المجيد بن علي رياش من المملكة العربية السعودية يعمل حاليا على تحقيق هذا المخطوط ودراسته .ينظر محمد باي بالعالم .الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني .دار هومة الجزائر 2004.ص81.

2. المخطوط محفوظ بزاوية زاجلو وعليه نسخ عدة .وقد قام الأستاذ عبد القادر بقادر من الجامعة الإفريقية بأدرار بتحقيقه في إطار رسالة الماجستير دفعة 2008.

ثانيا: تعليم الفقه وسائر العلوم اللغوية والدنيوية:

ولقد اعتمدوا في الفقه أساسا على جملة من مصادر التشريع المالكي[1] المعروفة والمتداولة في أقاليمنا المغاربية على الأشمل، وقد فاقت الثلاثين مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا: كتاب الموطأ للإمام مالك، والواضحة لأبي مروان الأندلسي(ت 238)، ومدونة الإمام سحنون (ت240هـ)، وكتاب ابن المواز الإسكندراني(ت269هـ)، والرسالة لأبي زيد القيرواني (ت386هـ)، وكتاب الإعلام بنوازل الأحكام للإمام ابن سهل(ت486هـ)، ونوازل ابن رشد(ت 520هـ)، وكتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام

---

1. ينظر: أ محمد الدباغ وآخرون. غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل. وحدة بحث الجامعة الإفريقية أدرار، الجزائر ص 13 وما بعدها.

للقاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي، وكتاب مجالس المكناسي أو مجالس القضاة والحكام وغيرها من أمهات المصادر التشريعية.

وفي علوم الحديث نجد الإعتماد كليا على كتاب صحيح البخاري، وموطأ الإمام مالك، والبيقونية، وكذا ألفية السيوطي في الحديث وغيرها .أما في علوم اللغة فنجد الإعتماد ظاهرا على ألفية ابن مالك، والأجرومية، وكتاب قطر الندى وبل الصدى، وكذا لامية الأفعال، ومثلث قطرب،وكتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب وغيرها من الكتب المتخصصة.

وفي هذا الباب أيضا لم يكتف سكان الإقليم بالاعتماد على ما وفرته هذه المؤسسات العلمية من مصادر ومراجع للتدريس بل تعدوه إلى التأليف والإبداع في هذا المجال، وخلفوا في ذلك عشرات المخطوطات الفقهية واللغوية التي تعج بها وإلى الآن هذه المؤسسات الوقفية نذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل .جمع مشترك بين سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن ،وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن سيدي محمد الجزولي. المحفوظ بخزانة تمنطيط أدرار. نوازل الشيخ الزجلاوي المحفوظ بخزانة زاوية زاجلو. ولاية أدرار. نوازل الشيخ الجنتوري المحفوظ بخزانة قصر

كوسام. ولاية أدرار وغيرها من كتب الفقه.

وفي علوم اللغة نجد مخطوط غاية الأمل في إعراب الجمل للشيخ البكري المحفوظ بخزانة المدرسة البكرية بتمنطيط. ومخطوط نيل المراد شرح لامية ابن المجراد للمزمري (1160هـ) المحفوظ بخزانة الزاوية البكرية، وكما نجد العديد من المخطوطات في العروض والبلاغة والصرف وغير ذلك.

وفي مجال التاريخ والتراجم والأنساب كانت الزوايا والمدارس الوقفية شاهدة أيضا على حركة تأليفية خصبة في هذا المجال حيث نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا: مخطوط (القول البسيط في أخبار تمنطيط) لصاحبه محمد الطيب بن عبد الرحيم المشهور باسم (ابن بابا حيدة) المحفوظ بالخزانة البكرية بتمنطيط. ومخطوط "تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني": العالم عبد الرحمن بن عمر التنلاني. المحفوظ بخزانة زاوية تنلان. ولاية أدرار. ومخطوط "جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني": لمحمد بن عبد الكريم البكري. المحفوظ بالخزانة البكرية تمنطيط. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام": للعالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. وكذا مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية، لمؤلفه الشيخ الحاج محمد العالم. وهما مخطوطان محفوظان بخزانة الزاوية البكرية بتمنطيط أدرار. كما نجد أيضا مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: لصاحبه محمد بن عمر بن محمد الجعفري. خريج الزاوية الجعفرية ببودة بتوات، وهو مخطوط لا يزال محفوظا بهذه الزاوية ومخطوط نسيم النفحات في ذكر أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الإدريسي مؤسس المدرسة الطاهرية

الوقفية الشهيرة بتوات. وهو مخطوط محفوظ بخزانة هذه الزاوية.

ومن مخطوطات السير والتراجم التي خطت في هذه الزوايا وبأقلام التواتيين أيضا نذكر مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية لصاحبه الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. وهو مخطوط محفوظ بخزانة زاوية كوسام. بتوات . يضاف إلى ذلك أيضا مخطوط لذاذ الأقوات في من حل أو رحل من أرض توات لصاحبه الشيخ الحاج أحمد النحوي البوحامدي. خريج المدرسة الطاهرية الوقفية بسالي.

وهذه النماذج المذكورة جميعها هي غيض من فيض ونقطة من بحر هائل في هذا المجال ويكفي أن نشير هنا إلى أنه وقبل عملية النهب والضياع التي تعرض لها المخطوط في هذه الديار، والتي بدأت قبل القرن 17 الميلادي كان يوجد بزوايا الإقليم ومدارسه الوقفية أزيد من سبعة وعشرين ألف مخطوط، وهي موزعة على أزيد من سبعين زاوية ومدرسة علمية وقفية خاصة، وقد فهرس منها حتى الآن قرابة الألفي مخطوط. وقام مركز جمعة الماجد للثقافة التراث بدولة الإمارات العربية المتحدة بتصوير جزء كبير منها على مراحل.

ويضاف إلى كل هذا العدد ما هو محفوظ خارج الجزائر في خزائن ومراكز مالي وموريتانيا والمغرب وغانا والسنغال والنيجر ونيجيريا وغير ذلك من الدول الإفريقية والإسلامية التي تأثرت بنهضة الإقليم، حيث يذكر السعدي في كتابه تاريخ السودان " أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من

بينهم نسبة تقارب النصف"[1]. كما يذكر القاضي محمود كعت صاحب "الفتاش" أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات"[2].

---

1. ينظر: تاريخ السودان. تحقيق هوداس. مطبعة بردين1898م.

2. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964.

ثالثا: نشر الإسلام والذود عنه في كثير من بقاع العالم:

ونمثل في ذلك بما قامت به الزاوية الكنتية خصوصا في غرب إفريقيا. حيث لم يكتف علماء هذه الزاوية بنشر تعاليم الإسلام داخل أدغال القارة السمراء فحسب، بل وقفوا أيضا سدا منيعا ضد كل المحاولات التغريبية من قبل الاستعمار،ولا أدل على ذلك من شهادة الفرنسيين أنفسهم في الأمر، حيث نجد الباحث والجنرال العسكري الفرنسي "بول مارتي" يعترف صراحة بدور الزاوية الكنتية خصيصا في مواجهة الإستدمار الفرنسي في بلاد الجزائر وما جاورها من البلدان الإفريقية فيقول: "وقد كانت الضرورة تقتضي إنشاء مركز عسكري في آدرار ايفوغاسن... وفضلا عن ذلك فإن إدارة كنته ذاتها وتحقيق الارتباط مع بلاد الجزائر قد فرض إنشاء هذا المركز المذكور وقد قام المقدم "بتريكس" بذلك في دجنبير (ديسمبر)1908"[(1)]. ويقول هذا القائد الفرنسي في حق الشيخ زين العابدين بن سيدي محمد الكنتي الذي ولد في ضواحي تمبكتو سنة 1848م وترعرع في الزاوية الكنتية بمنطقة تـوات، وعايش الدخول الفرنسي للإقليم تحديدا مع مطلـع القـرن العشـرين.

---

1. بول مارتي. كنته الشرقيون. تعريب محمد محمود ولد ودادي. مطبعة زيد بن ثابت دمشق. سوريا ص161.

وكان من ألد خصوم فرنسا الإستدمارية. يقول بول مارتي عن هذا الشيخ: "وأصبحنا نحن الفرنسيين نعتبره في عداد أشد أعدائنا الألداء"[1] ويضيف في وصفه أيضا "والذي ظل خلال أكثر من عشرين عاما يسبب لنا المتاعب وينهب الأفخاذ الخاضعة بغزواته التي لا تهدأ"[2] ثم يردف شهادتَه تلك بشهادة أحد القادة الفرنسيين آنذاك العقيد "كلوب" الذي يلخص موقف فرنسا من الرجل فيقول: "الموت وحده الذي ينقذنا من عابدين"[3].

ولقد استمرت مقاومة الرجل للاحتلال الفرنسي أزيد من خمسة وعشرين سنة (1890 إلى سنة1916) وتنقل خلال هذه المدة بين مناطق الجزائر ومالي وموريتانيا وأخيرا المغرب الذي سقط فيه شهيدا. إبان الحرب العالمية الأخيرة[4] وغير هذا الرجل كان لكثير من علماء الزاوية الكنتية الدورُ نفسُه في المنطقة. وقد غصت كتب التاريخ وغيرها بمثل هذا وغيره. وقد كان الداعم الأساسي لكل تلك العمليات الدعوية والجهادية هو ما وفرته الزاوية الكنتية

---

1. المرجع نفسه

2. المرجع نفسه

3. المرجع نفسه

4. المرجع نفسه ومحاضرة الأستاذ عقباوي لمين بعنوان: دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا.

من أوقاف وأحباس خيرية خاصة وعامة.

رابعا: مكافحة الأمية:

وذلك بفتح قاعات خاصة لتعليم الكبار مبادئ القراءة والكتابة. ويكون ذلك في أوقات خاصة وخارج أوقات العمل المعهودة، وقد استفاد من العملية عدد هائل من سكان الإقليم على مر التاريخ.

خامسا: المساهمة في نسخ المخطوطات: لقد غدت المنطقة في ذلك وإلى الآن خزانا حقيقيا للمخطوطات في الجزائر قاطبة بما يزيد عن سبعة وعشرين ألف مخطوط -كما ذكرنا -. ذلك أن المخطوط بصفة عامة وجد في هذه المؤسسات الوقفية من زوايا ومدارس خاصة نعم المأوى والمستقر، فيها حُررت معظم مضامينه الفكرية حبرا على الورق، وفيها أيضا أعيد نسخه وتدريسه أحيانا مرات ومرات، وفيها أيضا استقر ووُطّن مئات السنين هربا من الضياع والنسيان. وبهذا كله استطاعت هذه المؤسسة الخيرية ومنذ تأسيسها أن تكون أهم رافد في نهر الحياة الثقافية والاجتماعية للإقليم بالإضافة إلى وقوفها الصامد والمتميز طيلة هذه الفترة كصمام أمان في وجه كل الحملات التخريبية والتغريبية ضد مقومات الأمة وعناصر هويتها.

هذا باختصار عن أهم الأدوار الأساسية التي ساهمت من خلالها هذه المؤسسات الوقفية في احتضان وبعث الحركة العلمية في الإقليم على امتداد أكثر من تسعة قرون (09 ق) بما وفرته من غطاء مادي ومعنوي طيلة هذه المدة، وهو الغراس الذي أثمر ويثمر إلى الآن، مما أعطى للإقليم بعده التاريخي والحضاري بين كبريات العواصم الثقافية قديما وحديثا. وما عشرات الأعلام البارزين الذين تخرجوا من هذه المؤسسات الوقفية، وما خلفوه لنا من تراث مخطوط، وما مئات الطلبة والأئمة من حاملي كتاب الله والمتفقهين في علومه الذين عجّت وتعجّ بهم هذه المؤسسات إلى الآن، والذين تجاوز عددهم في آخر إحصاء رسمي لوزارة الشؤون الدينية بالجزائر عدد الستين ألف دارس (60000 ألف) كما ذكرنا إلاّ خير شاهد على ما فعلته وتفعله هذه المؤسسات الوقفية إلى الآن.

لكن مع كل هذا يظل التحدي قائما مع هذه المؤسسات الوقفية، بل نراه يزداد حدة مع مرور الزمن ومتغيرات العصر وهو ما أصبح يحتم على هذه المؤسسات الوقفية إعادة النظر في كثير من برامجها وأنشطتها وكذا في طرق تفعيل واستثمار أوقافها تماشيا مع ما يتلاءم وظروف العصر، إضافة إلى التفكير في استغلال أمثل لأوقاف هذه المؤسسات العينية من عقارات وأراضي زراعية وأشجار ونخيل وحيوانات ومحلات تجارية وغيرها. بما ينمي من ثروات تلك

المؤسسات ويحافظ على بقائها. كما أن على الجهات الرسمية التعاطي مع هذه المؤسسات من باب حمايتها واستثمارها بما يساعد في الدفع بالحركة العلمية والاقتصادية والاجتماعية داخل الوطن ومن ثم اعتماد هذه المؤسسات كشريك رسمي وفاعل مكمل لمؤسسات الدولة لا منافيا ومنافسا لها. والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

البحـــث الحـادي عشـــر

تـَــوَات... الــذِّاكرَةُ المَنسيةُ[1]

---

1. البحث منشور في مجلة "تاريخ العرب والعالم" الصادرة عن دار النشر العربية للدراسات والتوثيق. السنة السادسة والعشرون المجلد31 العدد227 أيار، حزيران2007م.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

في قلب الصحراء ووسط كثبان الرمل الذهبية وواحات النخيل الباسقة تتموقع إحدى أكبر الواحات الصحراوية الجزائرية قدما وحضورا، تاريخا وحضارة إنها منطقة توات... ذاكرة الأمة المنسية .منطقة التاريخ الغابر ومعبر شتى أصناف الحوافر، منطقة تمازج أنواع السلالات وملاذ العُبّاد والمستضعفين من كل الأوطان والإيالات، منطقة العشرات من الخزائن والمكتبات ومستودع عشرات الآلاف من المخطوطات والمصنفات، منطقةُ أُعجُوبَة الألف فقارة وفقارة وموطن مئات الآلاف من أنواع النخيل والنباتات وحتى الحجارة.

بداية لقد اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات)[1]، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة[2]

---

1. هي ولا ية أدرار حديثا وتقع في الجنوب الغربي الجزائري على بعد **1500**كم من العاصمة الجزئر.

2. هو عقبة بن نافع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة على الأرجح، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة **62**هـ وتوفي بضواحي بسكرة بالجزائر. (معجم مشاهير المغاربة. أبوعمران الشيخ وآخرون. جامعة الجزائر **1995**م، ص**365-366**).

بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة[1]، وصل خيله توات، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزله بها أويجلّيه بها، فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف"[2] وهو رأي انفرد به العالم محمد بن عومر(ت.ق13هـ). في حين نراه يورد إلى هذا رأياً آخر أكثر تداولاً وهو الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري (ت.ق14هـ) حيث يقول: "في سنة 518هـ حيث غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب. بعث قائدَيه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الإتاوات، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الإتاوات، لأن السلطان قبله منه في المغرم"[3] ويرى البكري(ت.ق14 هـ)

---

1. واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعد سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة**140** هـ**757**م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. ص **62** ..

2. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري. ص**04**. مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة أدرار.

3. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري. ص **06** (مخطوط موجود بخزانة المطارفة أدرار).

أن هذه الرواية "أصحّ ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح: "[1] التوت هو الفاكهه والجمع أتوات"، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الإتاوات، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح"[2] وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين[3] واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة على ما يذكر الرواة. في حين راح البعض[4] الآخر ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها هل هـــــو مـــــن الفعـــــل

---

1. المصباح المنير. أحمد بن محمد الفيومي. ج1. ص108. ط4. المطبعة الأميرية القاهرة 1921
2. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم البكري. ص06.
3. مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة ومولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات (المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار) والشيخ محمد باي بلعالم في محاضرته حول المنطقة.
4. ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية (لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله، وتوطن هناك فسمي الموضع باسم تلك العلة.) تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، ص07، مطبعة بردين باريس 1964م. أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة. ينظر ص 12.

واتـى يـواتى، أوهـو اسـم للمغـارم، أي الإتـاوات، أوهـو غيـر هـذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي يحمل دلالات خاصة تبعاً للغته الأم، البربرية أوالتكرورية[1] أوالتارقية[2] أوالعربية. أوغير ذلك[3].

احتـل الإقلـيم التـواتي بموقعـه المتميـز وقصـوره المتنـاثرة مركـزا وسـطا لعواصـم تاريخيـة كبـرى علـى مـر التـاريخ. مشـكلا بـذلك نقطـة العبـور الأساسـية بـين هـذه الأقـاليم، وفـي ذلـك يقـول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري عن الحدود القديمـة للإقلـيم أن "بينــه وبـين سجلماســة مســافة ثلاثــة عشـر يومــا... وغربـا عشـرين يومـا لأول السـودان، ومـن غـدامس عشـرين يوما،ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحيـة أولاد عيسـى قدر أسبوع إسراعا لـبلاد البـيض سيدي الشيخ، وعدد قصورها فـي القـرن الحـادي عشـر مائتـا قصـرا، أوسـطها بـودة وتيمـي وتمنطيط"[4].

---

1. التكرورية لغة أهل تمبكتو بأرض مالي.

2. التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء.

3. ينظر: كتاب أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر. ص.77 وما بعدها. بوسماحة أحمد. دار هومة. الجزائر 2002م.

4. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص3. الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 131 ومابعدها .الحاج محمد العالم.

ولقد أهلّه لهذا الدور البارز أيضا جملة من العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، نذكر من بينها على سبيل الذكر لا الحصر العنصر الأمني وهو الشغل الشاغل لإنسان تلك العهود لما عرف فيها من ظلم وإقطاع وما إلى ذلك، إضافة إلى توفر عنصر الماء بآلية عجيبة وفريدة تعرف بنظام الفقارة، (وهي عبارة عن مجموعة من الآبار المائية متصلة ببعضها البعض، تصب في مجرى واحد بطريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية أعجب) يضاف إلى كل هذا وذاك من الأسباب والعوامل المساعدة وهذا باعتراف كثير من العلماء والمؤرخين الذين زاروا المنطقة أنهم وقفوا على سر رباني يشد الزائر إلى المنطقة والذي أظل وأمثالي عاجزين عن تفسيره.

تعد المنطقة التواتية منطقة ضاربة في أعماق التاريخ ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام[1] وكانت تسمى بالصحراء

---

1. ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ106 هـ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (Bernard) في بحثه عن تاريخ المنطقة أن عمارة المنطقة بدأت قبل50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).

القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير[1] في غضون القرن الرابع الهجري، ولا أدل على ذلك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة[2] (ت.779هـ) وابن خلدون[3] (ت.808هـ)،وأبي سالم العياشي[4] (ت.ق11هـ) وعبد الرحمن السعدي[5]، والقاضي الفع محمود كعت[6] والرحالة الجزائري الحاج بن الدين[7] الأغواطي

---

1. هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة. الرحلة العياشية ماء الموائد.ص18 الجزء الأول. ط2. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط1397هـ.1977 م.
2. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص 699 و 700. دار صادر بيروت.
3. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. الجزء السادس. ص59. المطبعة الخديوية بولاق. مصر1384 هـ
4. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص 20. وزار المنطقة خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ.
5. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها.
6. تناول بعض أعلام المنطقة في كتابه المشهور بـ: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص15، تحقيق: (هوداس) و (دلافوس)، مطبعة بردين، باريس 1964 .
7. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة 1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه، ومنها منطقة توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة. ينظر كتاب تاريخ

(ت.ق13 هـ) إضـافة إلـى الرحالـة الألمـاني جيـر هـارد رولـف (Gerhard Rolf)[1] والـمؤرخيـــن الفرنســـيين مارثـــان (Martin)[2] وبرنـارد (Bernard)[3].

أما من علمـاء المنطقـة ورحالتهـا المعروفين، فقد كتب عنهـا الشيخ مــولاي أحمــد بـن هاشـم[4] (ت.ق12هـ) والشيــخ سيدي عبد القــادر بن عمر[5] (ت.1121هـ) بالإضافة إلـى الشيـخ سيدي عبـــــــــــــــد الــــــــــــــــرحمن

الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. أبو القاسم سعد الله. ج2. ص 401. ط2 الجزائر 1985.

1. زار المنطقة سنة 1864 م وتحدث عنها في كتاباته. المصدر السابق. ص 64.
2. زار المنطقة سنة 1904 م. وكتب عنها في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب 1504 إلى 1902م) المصدر نفسه. ص 45.
3. ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية.
4. تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة 1113 هـ. المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر (19 م) و بداية القرن العشرين (20م)، بتوات وقورارة، وتديكلت. محاضرة للأستاذ مبروك مقدم. ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر 1987م. ..
5. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر.المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

بن باعومر[1] التنلاني(ت.1189 هـ) والشيخ محمد بن عبد الكريم[2] بن عبد الحق (ت.ق14هـ)، والشيخ مولاي أحمد الإدريسي[3] الطاهري (ت.ق14هـ) والشيخ سيدي أحمد النحوي[4].

عُرفت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان، وهو ما جعلها مقصد عدد كبير من العلماء[5] من كافة كافـــــــــــــــة الأقطـــــــــــــار

---

1. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمن بن باعومر، ص01 وما بعدها. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.
2. تحدث عنها في رحلته الشهيرة (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام)، ص06 وما بعدها.
3. تحدث عنها في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص12 وما بعدها.
4. تحدث عنها في كتابه. لذاذ الأقوات في من حضر وعبر بأرض توات. أخبرني بذلك الشيخ الحاج أمحمد الكنتي.
5. مثل الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم. محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ المنطقة. ص65، 66. (م.ج.أ.د.ت. أدرار). وذكر محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام، ص08 وما بعدها، أنه في سنة890 هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان، وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل المنطقة.

العربيـة والإسـلاميــة، علــى الرغــم مـن كثـرة جدبهــا، وقلـــة رزقـــها. إذ كانـت معروفـة بأنهـا "ذات سـباخ، كثيـرة الرمـال والرياح، لاتحيط بها جبال ولا أشجار"[1]. وهي إلى هذا "أضعف بلاد المغرب قاطبة. غالب أهلها ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهلها، وهضم قوة النفوس، كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[2]. وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلماء، والزهاد، واستقرارهم بالمنطقة. ذلك أن الإقليم-كما يـرى معظـم المـؤرخين -كـان قبـل الإسـلام أعجميـا لا عـرب فيـه وعلى امتداد فترات المد الإسلامي تتابعت القبائل العربيـة نزوحها إلـى الإقلـيم أفواجـا أفواجـا. ومعـه أيضـا تتـابع دخـول[3] العلمـاء والشخصيات البارزة حيث دخل في سنة(815هـ) القاضي أبو يحي بـن محمـد قادمـا مـن المغـرب، وفـي سـنة (845هـ)جـاء العلامـة سيدي يحي بن يدير التدلسي وعين قاضيا على توات، وفي سنة (862هـ) جاء العالم سيدي عبد الله بن أبي بكر العصموني وسكن في بني تامر أولا ثم انتقل بعد ذلك إلى تمنطيط. وبعد ثماني سنوات مـــن هـــذا التـــاريخ لحـــق بـــه الإمـــام المغيلـــي

---

1. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص12. مولاي أحمد الإدريسي الطاهري.
2. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم البكري. ص08.
3. ينظر مخطوط درة الأقلام .ص 6 وما بعدها.

في أول قدومه للمنطقة وكان ذلك تحديدا سنة(870هـ) واتصل بالشيخ سيدي يحي بن يدير بتمنطيط وأخذ عنه ثم رحل عن المنطقة بعد ذلك لمدة تزيد عن العشر سنوات وتوغل في أدغال إفريقيا حاملا رايته الإصلاحية والجهادية. ليعود بعد ذلك إلى المنطقة مجددا سنة(882هـ). وبعد هذا التاريخ وقبله لم تنقطع رحلات العلماء والقبائل إلى المنطقة وتوافد عليها العديد من العلماء نذكر منهم تمثيلا لاحصرا القاضي العادل كسيدي سالم العصموني(968هـ)، والفقيه الورع كسيدي عبد الكريم بن امحمد البكراوي (1042هـ)، والعروضي البارع كسيدي محمد بن أب المزمري (1160هـ)، والمربي الحكيم كسيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم (1168هـ)، والمفسر الشهير كسيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني(1189هـ)، والأديبان المفلحان كسيدي محمد بكو الإداوعلي (ق12هـ)، وسيدي محمد بن المبروك الجعفري (1198هـ)،واللغوي الفذ كسيدي محمد بن العالم الزجلاوي (1212هـ)، والمؤلف القدوة كسيدي المختار الكنتي(1226هـ) والفقيه الصوفي مثل سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي (1281هـ)، والمؤرخ المتقن كسيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق (1374هـ) وغيرهم كثير. ومع هؤلاء وغيرهم كان اللسان المحلي يتفصح ويتحلى بحلاوة العلم والمعرفة شيئا فشيئا إلى أن بلغ مابلغ.

كل هذا وغيره كثير "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطّلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب. وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء

توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف"[1] كما ذكر القاضي محمود كعت[2] أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي[3] أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف. ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات المتواجدة حاليا في خزائن ومكتبات مالي وموريتانيا والنيجر وغانا ونيجيريا،والمغرب وتونس، ومصر وغيرها.

ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري بين هذه العناصر جميعها، ومن ثم انكبت النفوس على الطروس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر من المؤلفين، والمؤلفات وفي شتى المعارف والعلوم من فقه وحديث وتفسير ونحو وصرف وعروض وبلاغة وطب وفلك وتاريخ، واستودع كل ذلك في زوايا ودور خاصة منتشرة في كل القطر التواتي انتشار أصحابها ومورديها.

ولما "كانت العربية محور كل هذه الدراسات، ومحركها الأساسي في فهم الكثير من المسائل الدينية، والدنيوية، فقد

---

1. إقليم توات خلال القرنين 18،19 م. ص113. فرج محمود فرج .د م ج .الجزائر 1977م.
2. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964.
3. ينظر: تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م ..

أخذت علوم العربية قسطها الأوفر من العناية والدراسة، وتخصص فيها جملة من العلماء ألفوا في ذلك كتباً نحوية وصرفيةً وبلاغيةً وعروضيةً وما إلى ذلك. ويعتبر القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي العصر الذهبي في تاريخ المنطقة بالنظر إلى العدد الهائل من العلماء الذين نبغوا فيه"[1] من جهة وإلى وفرة مخزونه المخطوط الذي وصل في أقل

1. محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وآثاره .أحمد أبا الصافي جعفري. ص31، 32. دار الكتاب العربي الجزائر .ط01. 1425هـ 2004م .

التقديرات إلى أكثر من خمسة وعشرين ألف مخطوط من جهة أخرى هذا أن "ذلك أن الإقليم لم يخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم البلدان العربية وسَلِمت اللغة العربية من مزاحمة اللغة التركية"[1].

كل هذا ما كان ليوجد أو ينتج لولا وقوف جملة من نخبة الفكر ورجال الإصلاح في المنطقة ومنذ قرون بعيدة، رجال حملوا لواء الفكر والأدب وراحوا يتصفحون لنا ذاكرتهم ومعارفهم ليعصروا لنا تجاربهم، رجال هانت في أعينهم المشقات حين قاسوها بالغايات، رجال ظلوا ولسنوات طويلة تحت وطأة الإهمال والنسيان على الرغم من غزارة إنتاجهم وأهميته لما يحمله من بوادر الاجتهاد والتجديد، وقد ضاع منه ما ضاع وما أكثره،ووصل إلينا القليل القليل والحمد لله على كل حال.

لكن كل هذا الموروث الثقافي في زخمه التاريخي والمعرفي، لم يكن ليشفع للمنطقة حديثا في تبوء بعض من مكانتها التاريخية بين كبريات العواصم الثقافية وطنيا على الأقل، بل ظل الحديث عنها وإلى وقت قريب جدا، عند كثير من الباحثين الجزائريين خصوصا حديثا خافتا وباهتا إن لم يكن حديث إشارة وإيماء.

والحقيقة أن منطقة توات وإن اشتركت عوامل تاريخية عدة في طمس كثير من معالمها التاريخية، وإبعاد ما تبقى عن عيون الكتاب والباحثين عموما، إلاّ أن المسؤولية الأساسية هنا -وللأمانة -تنطلق أولا من عتبات بعض القائمين على هذا الإرث في خزائنه أولا، لتمر عبر بعض قنوات البحث التراثي

---

1. إقليم توات خلال القرنين 18، 19 م. فرج محمود فرج.

المسدودة أصلا في بعض ديارنا العربية، لتصل أخيرا إلى أيادي كثير من القائمين على مجال البحث عندنا محليا ووطنيا، بما خلفوه وراءهم من رواسب ومعوِّقات في طريق البحث في تاريخ الجزائر والمنطقة التواتية خصوصا.

ووسط هذه الأجواء (الكارثية) التي تعقبت أكبر ثروة تاريخية للمخطوط في الوطن الجزائر قاطبة، انطلقت سفارات الإنذار وصرخات الاستغاثة المختلفة لنجدة ما أمكن من ذلك، فكان أن شُكلت مع بداية الثمانينات أُولى خيوط العناية بهذا الإرث في شكل جمعية خاصة للعناية بالبحث والدراسات التاريخية في الولاية، ومعها عرفت المنطقة تدريجيا حركة وعي واهتمام أنبأت في مجملها عن حجم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الجميع. وما حملات التوعية المختلفة لأرباب الخزائن من جهة، ومَدّهم ببعض المساعدات -على قلتها -من جهة أخرى إلاّ خير شاهد في هذا المقام. هذا دون أن ننسى تلك التجمعات والملتقيات المحلية والوطنية

وحتى الدولية، والمبادرات الهادفة إلى تكوين فرق[1] متخصصة ومؤهلة للتعامل مع المخطوط ووضع فهارس عامة لهذه الخزائن. والتي قادها في الغالب أساتذة جامعيون مختصون، ومراكز بحث وطنية ودولية، وتكفل بتبعاتها المادية والمعنوية بعض المحسنين من القطاع الخاص الذين أخذوا على عاتقهم تكاليف العملية عن آخرها على أمل خلق جو طبيعي من الثقة بين أرباب الخزائن والمالكين للمخطوط، وبين الباحثين والمهتمين في هذا المجال. وهذا وحده كان هو الضامن الأساسي لكل استثمار علمي وعملي جاد في هذا الميدان مستقبلا بعيدا عن لغة السين وسوف وبقية الضمائر البلهاء.

وخوفا من تلف وضياع المزيد من المخطوطات داخل هذه الخزائن عمد بعض القيّمين على شؤون المخطوط حديثا إلى إعادة نسخ وترتيب بعض المخطوطات من جديد، كما عمد البعض الآخر إلى شرحها وتحقيقها مثلما الأمر مع خزانات مناطق تمنطيط و المطارفة وكوسام وأولف وبودة وأدرار وغيرهم. وهي في جميعها محاولات صادقة وطرق جادة، وظفها المالكون لخدمة هذا الإرث

1. نذكر من ذلك فرق مخابر البحث في كل من جامعات الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران.

بهدف الحفاظ على ما أمكن من هذا الزخم التاريخي من جهة، وتقريبه إلى أعين وأقلام الباحثين والمفكرين من جهة أخرى. والعملية بما تقتضيه من صبر وإتقان وجدت في أنامل هؤلاء أمانة ودقة علمية باهرة حفاظا على المخطوط الأصل كما وجد، وليضيفوا بذلك إلى عمل من سبقوهم بصمتهم الذهبية الخاصة في نهاية المخطوط وذلك بذكر اسم الناسخ وتاريخ ومكان نسخه. وهي مبادرة جريئة ومميزة اقتطع المشتغلون عليها وقتها ووسائلها من عمر شبابهم وصحة جسدهم، وقوت عيالهم ليوفروها لقمة سائغة وغذاء ناضجا لكل عقل بشري.

هي مبادرة إذن وأية مبادرة !! لكنها قليلة بين عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات، ومع هذا تظل بعيدة عن أي استثمار حقيقي يذكر. ولولا حرص هؤلاء وإدراكهم بحجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقهم من جهة، وتقديرهم لجهد بعض الخيرين من جهة أخرى، لوجد الجميع في تصرفات بعض الخواص وكثير من العوام في تعاملهم مع التراث عامة والمخطوط خاصة أيسر السبل للفرار من هذا الواقع.

فإلى متى نظل نساوم أنفسنا في عبث وسخرية، وتاريخنا يحتضر بين أيدينا يوما بعد يوم؟!!!

المصادر والمراجع

1. أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر .بوسماحة أحمد. دار هومة .الجزائر 2002م
2. إقليم توات خلال القرنين 18، 19 م. فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .
3. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. أبو القاسم سعد الله. .ط 2 الجزائر 1985
4. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. تحقيق هوداس، مطبعة بردين باريس، 1964م
5. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين. باريس .1964
6. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار صادر بيروت.
7. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).
8. الرحلة العياشية ماء الموائد.ص18 الجزء الأول. ط 2. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1397هـ. 1977 م.
9. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. الجزء السادس .المطبعة الخديوية بولاق. مصر. 1384 هـ

10. محاضرة بعنوان المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر(19 م) و بداية القرن العشرين (20م)، بتوات وقورارة، وتديكلت. محاضرة للأستاذ مبروك مقدم. ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر 1987م.
11. محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وآثاره. أحمد أبا الصافي جعفري. ط01. 1425هـ 2004م دار الكتاب العربي الجزائر.
12. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري .الخزانة البكرية تمنطيط أدرار الجزائر
13. مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية.. الحاج محمد العالم. الخزانة البكرية تمنطيط أدرار الجزائر.

14. مخطـوط رحلــة الشـيخ عبـد الـرحمن بـن بــاعومر، ص01 ومابعدها. خزانة باعبد الله أدرار الجزائر.
15. مخطوط رحلة الشيخ عبد القـادر بـن عمـر.خزانـة باعبد الله أدرار الجزائر.
16. مخطـوط نسـيم النفحـات فـي ذكـر جوانـب مـن أخبـار تـوات. خزانة كوسام أدرار الجزائر.
17. مخطوط نقل الـرواة عن من أبـدع قصـور تـوات: محمـد بـن عمـر بـن محمـد بـن المبـروك الجعفـري. خزانـة بـودة أدرار الجزائر.
18. المصبـاح المنيـر. أحمـد بـن محمـد الفيـومي. ط 4. المطبعـة الأميرية القاهرة 1921.
19. معجم مشاهير المغاربة. بوعمران الشيخ وآخـرون. جامعة الجزائر 1995م.
20. الموسـوعة المغربيــة للأعـلام البشـرية والحضــارية .عبـد العزيز بن عبد الله .المغرب 1976م.

البحـث الثانـي عشر

توات في كتب الرحالة والـمؤرخيـن(ج2)

كتاب "تاريـخ السودان"

لعبد الرحمــن السعدي[1]

---

1. البحث منشور في مجلة النخلة الصادرة عن مجموعة القروط. أدرار. الجزائر. العدد السادس مارس **2010**م. وهو المقال الثاني من سلسلة مقالات بهذا العنوان الرئيسي "توات في عيون الكتاب والمؤرخين".

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

لقد كانت أقاليم توات-ولا تزال -محط أنظار العديد من الكتاب والمؤرخين، حيث زارها البعض ودوّن شهادته عنها، وسمع عنها البعض الآخر وسجل ذلك في مذكراته وكتبه. وفي هذه السلسلة نحاول الوقوف تباعا عند أهم الكتاب والمؤرخين الذين وقفوا مع الإقليم في أكثر من وقفة ومحطة، فكانت بذلك كتاباتهم سجلا تاريخيا وشهادة حية لواقع الإقليم عبر العصور. وإذا كنا قد وقفنا في المحطة السابقة مع المؤرخ ابن خلدون في كتابه الشهير "العبر" والمعروف أيضا ب"تاريخ ابن خلدون " فإننا اليوم نقف على مصدر آخر من مصادر التاريخ العالمي عامة والإفريقي خاصة، وأعني به هنا كتاب "تاريخ السودان" للشيخ عبد الرحمن السعدي والذي جاء فيه على الكثير من تاريخ توات والتواتيين في هذه الديار الإفريقية خاصة .ولد الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر بن الحاج المتوكل السعدي في مدينه تمبكتو في مالي في غرة جمادي الثانية عام 1004هـ 1596م من عائلة مالية سودانية، حفظ القرآن الكريم، وأخذ عن الشيخ أحمد بابا وغيره، وبعدها شغل منصب القضاء والإمامة سنة 1626م في مدينه جني التي كانت مركزاً علمياً إسلاميا مزدهراً آنذاك. من أهم ما أثر عن الشيخ كتابه الشهير "تاريخ السودان" الذي أتمه في الخامس من شهر ذي الحجة عام 1063هـ.

تحدث السعدي في كتابه"تاريخ السودان" عن الممالك والمدن الإسلامية في السودان، إضافة إلى ترجمة مايزيد عن المائتي شخصية من أهم الدعاة والقضاة وأئمة المساجد

والأمراء الذين سكنوا هذه المدن. نشر الكتاب في باريس،وحققه وترجمه للفرنسية سنة 1981م الأستاذ هوداس.

وتعتبر توات من أهم المناطق التي جاء ذكرها في هذا الكتاب بفعل اتصالها بكثير من الممالك الإسلامية في إفريقيا من جهة، وبفعل دور أبنائها الفعال في بعث حركية هذه المدن الإفريقية من جهة أخرى حيث جاء ذكر الإقليم التواتي وذكر علمائه في أكثر من مناسبة، وهذه أهمها تباعا في هذا المصدر:

أولا: جاء حديثه عن الإقليم في معرض حديثه عن رحلة سلطان كنكن موسى إلى الحج ومروره بتوات وتخلف الكثير من أصحابه بها لعلة أصابته في رجله، والتي كانت تسمى توات وهو ما جعل السعدي يربط بين اسم العلة وبين اسم المنطقة الحالي "توات" حيث يقول في الباب الثالث الذي تحدث فيه عن الملك كنكن موسى: "...ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات، فتخلف هنالك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم. فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسُمى الموضع باسم تلك العلة."

ويتحدث السعدي عن المنطقة التواتية ثانيا في معرض حديثه في الباب السابع عن مدينة تمبكتو ونشأتها وساكنيها، حيث يقول: "... وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة، ومن كل بلاد، من أهل مصر،ووجل، وفزان وغدامس، وتوات ودرعة، وتفلالة،وفاس، وسوس،وبيط إلى غير ذلك".

ثم نراه يتحدث عنها أثناء حديثه في الباب الحادي عشر عن المسجد الجامع ومسجد سنكري، ومن تولى الإمامة فيه من العلماء حيث يقول: "أما جامع الكبير فالسلطان الحاج موسى صاحب ملي هو الذي بناها، وصومعتها على خمسة صفوف،

والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب. وتلك عادة السودان أهل المغرب لا يدفنون أمواتها إلاّ في رحاب مساجدهم، فأول من تولى إمامتها الفقهاء السودانيون كانوا أئمة فيها في دولة أهل ملي وفي طائفة من دولة التوارق. وآخر الأئمة منهم فيها الفقيه القاضي كاتب موسى مكث في الإمامة أربعين سنة، لم يستتب ولو في صلاة واحدة لأجل صحة البدن التي رزقه الله تعالى بها.... فخلفه في الإمامة والله أعلم جد جدتي أم والدي الفقيه الفاضل الخير العابد سيدي عبد الله البلبالي وهو والله أعلم أول البيضان صلى بالناس في تلك المسجد

في أواخر دولـة التوارق ... "إلـى أن يقول فـي العالم الـذي خلفـه من بعده: "وما خلفه في الإمامـة فيمـا أظن والله أعلـم إلاّ الشيخ الفاضل الصالح الخير الزاهد العابد العارف بـالله تعالى الولـي سيدي أبو القاسم التواتي قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة، ليس بينها وبين داره إلاّ الطريق الضيق النافذ، بعد مـا ابتنـى محضـراً فـي قبالـة المسجد لاصـقاً بهـا، وفيهـا يقـرأ الأطفال".

وبعد استطراد في الحديث يعود الشيخ السعدي للحديث عن العلامة التواتي الشيخ أبي القاسم وفضائله على هذه البلاد حيث يقول: "والسيد أبو القاسم هو الذي أحدث هذه المقبرة التـي هي المقابر اليوم بعد ما امتلأت المقبرة القديمة التي حول المسجد وجعل عليهـا السـور...... وهـو الـذي ابتـدأ قـراءة الختمـة فـي المصـحف بعـد صـلاة الجمعـة مـع قـراءة حـرف واحـد مـن العشرينيات، وحبس أمير المؤمنين أسكيا الحـاج محمد تابوتـاً فيهـا ستون جزءاً مـن المصـحف فـي ذلـك الجـامع لأجـل تلـك الختمـة، وبقيت تقرأ فيهـا إلـى العـام العشرين بعد ألـف، بـدلت بأخرى، حبسها الحاج علي ابن سالم بن عبيدة المسراتي، وهي في الجامع الآن".

وعن مكانة الشيخ العالم التواتي الشيخ أبـي القاسم واعتراف أهل الفضل له بذلك من العلماء والملوك يقول السعدي: "وصلى الأمير الجمعة فيها يومـاً من الأيـام، فتـربص بعد السلام إلـى أن يسـلم

على الشيخ الفاضل الإمام سيد أبى القاسم التواتى. فبعث أخاه فرن عمر ليخبره بإتيانه للسلام عليه، فأدركهم في قراءة المدح، فوقف على رأسه ينتظر فراغهم..."

وعن مدة بقاء الشيخ أبي القاسم على عرش الإمامة والإفتاء في هذا المسجد الكبير إضافة إلى كراماته، وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم يقول السعدي: "وتأخر في تلك الإمامة جداً. كان ذا كرامات وبركات، يطعم الطعام، وأكثر إطعامه للمداحين لشدة محبته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم. وموضع المدح قريب لداره، ومتى سمعهم يمدحون خرج إليهم بالرغائف السخونة كأنما خرجن من الفرن تلك الساعة، ولو كان في جوف الليل حتى تبين للناس أنها من الكرامة".

ثم نراه يتحدث في موقع آخر من الكتاب عن تاريخ وفاة الشيخ أبي القاسم، ومكان دفنه، ومن دفن معه في هذه الديار من العلماء والصالحين من أبناء توات حيث يقول: "وسمعت من بعض الفقهاء الذي له حفظ واعتناء بمعرفة التواريخ أن سيدي أبا القاسم توفي في العام الخامس والثلاثين بعد تسعمائة..... وأن أبا البركات الفقيه محمود بن عمر لم يتأخر بعده إلاّ عشرين سنة، وأنه ما وقف قدام الناس للصلاة بعد ما سلم في الإمامة لابن خاله الإمام أندغ محمد لأجل ضعف أعضائه المباركة من الكبر، إلاّ في جنازة سيدي

أبي القاسم التواتي، وفي جنازة شاهده قياض الغدامسي، فهو الذي صلى عليهما. ودفن في المقبرة الجديدة، ودفن فيها كثير من الصالحني،وقيل أن معه هنالك خمسين رجلاً تواتيين أمثاله في الصلاح والعبادة. وكذلك المقبرة القديمة حول المسجد فيها كثير من عباد الله الصالحين".

ويضيف السعدي في كتابه أن مكانة الشيخ أبي القاسم وتأثيره في أهل السودان ظل حتى بعد وفاته، حيث طلبوا من أميرهم أن يولي ابنه عليهم بعد وفاة والده، وقدومه عليهم لكن الأمير آثر أن لا يعزل إماما بعد توليه لينصب آخر مكانه حيث يقول السعدي في كل ذلك: "وبعد موت الإمام سيدي أبي القاسم اتفق أهل الجامع الكبير على الفقيه أحمد والد نانا شرك، فرفعوا أمره إلى أبي البركات القاضي الفقيه محمود، فكمل عليه وصار إماماً في الجامع. وبعد شهرين من ولايته جاء ابن سيد أبي القاسم من توات، فمشى أولئك الجماعة إلى الفقيه فقالوا: تريد أن تجعل لنا ابن الشيخ إماماً؟ فقال لهم: بعد تولية الإمام أحمد؟ إن لم تخرجوا عني أسجنكن جميعاً. ثم رجع إلى توات وبعد سبعة أشهر توفي الإمام أحمد المذكور رحمه الله."

ومن مظاهر اهتمام أهل السودان وتعظيمهم للشيخ أبي القاسم التواتي أنهم نسبوا علماءهم في عملية الدفن بالمقبرة بقبر الشيخ

أبي القاسم الذي صار معلما بارزا للجميع وفي كل ذلك يقول السعدي: "وفي العام الخامس والسبعين بعد تسعمائة توفي جاره جدنا عمران، فصلى عليه، ودفن في المقبرة الجديدة في جوار سيدي أبي القاسم التواتي." ثم يقول في موضع آخر من الكتاب: "وفي السنة الخامسة والسبعين توفي جدي عمران بن عامر السعيدي في عشرين من رمضان عن ثلاثة وستين سنة، ودفن جوار سيدي أبي القاسم التواتي رحمهم الله تعالى". وهو الأمر نفسه مع الشريفين محمد الشيخ محمد بن عثمان وبابا بن عمر سبطي الشريف أحمد الصقلي اللذان دفنا إلى جوار الشيخ حيث يقول السعدي: "ودفنا في قبر واحد في جوار سيدي أبي القاسم التواتي." وكذلك الأمر مع سلطان آخر من سلاطين هذه البلاد حيث يقول عنه: "...ودفنوه في مقابر الجامع الكبير في جوار ولي الله تعالى سيدي أبي القاسم التواتي، رحمه الله تعالى، وذلك الخميس سادس يوم المحرم المذكور".

ويذكر السعدي من مظاهر اندماج التواتيين في الحياة الاجتماعية والسياسية لأهل السودان دخولهم كطرف أساسي في مبايعة الحكام، بل نراهم في الطليعة أمام سائر القبائل الأخرى كما هو الحال في مبايعة السلطان مولاي أحمد. حيث يقول: " ثم برح بأن يجمع الناس كلهم غداً في جامع سنكري للحلوف

على بيعة السلطان مولاي أحمد. فاجتمع جميع الناس، فحلف التواتيون والفزانيون والوجليون ومن جانسهم في اليوم الأول، وهو يوم الاثنين الثاني والعشرون يوماً من المحرم الحرام فاتح العام الثاني بعد الألف. ثم حلف الولاتيون والودانيون ومن جانسهم في اليوم الثلاثاء الثالث والعشرين منه".

وغير الشيخ أبي القاسم يورد السعدي في كتابه اسم شخصية أخرى كانت لها المكانة الخاصة في إسداء النصح للحكام والمحكومين على حد السواء ألاّ وهو الشيخ سيدي علي التواتي الذي قال عنه:

"الحاصل لم يجد مسلكاً منه، فرجع إلى تنبكت، وأحلف هو والباشا محمود الجيش كله على أنه لا يهرب منهم أحد إليه بعد هذا. فحلفوا عليه. ثم ذهب إليه سيد على التواتي، فصبره ووعظه حتى قال له: لا تخسر أمر هذا الجيش، لأنه صائر إليك غداً إن شاء الله. فحينئذ ترخي ورد علي بن عبيد المذكور."

وفي الباب الثامن والعشرون الذي جاء فيه على ذكر الآفات والمحن التي سجلها في مدينة مراكش كما يذكر السعدي أن التواتيين كان لهم في هذه الديار جامعا خاصا بهم يحمل اسمهم، وقد تربع على عرش الإمامة فيه جملة من العلماء من مختلف الأقطار كما هو الأمر مع الشيخ محمود ابن محمد الذي يقول

السعدي في ترجمته:

"وفي ليلة الخميس ثاني عشر رجب الفرد عام أحد عشر وألف بعد الغروب توفي الفقيه العالم الفاضل الخير محمود ابن محمد الزغراني التنبكتي مولداً ومنشأً.... ومهر في النحو، ودرس في أوائل أمره..... وكان إماماً في جامع التواتيين".

وفي الباب الثالث والثلاثون الذي جاء فيه السعدي على ذكر الباشاوات من عام 1039 إلى عام 1042 يذكر السعدي أن بعض السلاطين استجار في قدومه إلى توات سنة 1041هـ ببعض السادة الفضلاء التواتيين فأجاروه ومنعوه من فتك أعدائه حيث يقول:

"...ومشى على طريق توات. فرافق مع السيد المبارك التقي الزاهد سيد أحمد ابن عبد العزيز الجراري والفقيه سيد محمد بن العلامة الفقيه أحمد بابا..... فلما وصلوا توات لحقهم هنالك الفلالي بن عيسى الرحمن ي البربوشي وأصحابه، فطاحوا عليهم ليلاً، أرادوا قتله. فهرب إلى السيدين، فدخل عليهما في فسطاطهما واستجارهما، فتركوا نفسه في حرمتهما."

والخلاصة أن تاريخ السعدي من بدايته إلى نهايته جاء حافلا وفي أزيد من خمسة وعشرين مناسبة (25 مرة) بالحديث عن إقليم توات وأهم التواتيين الذين تربعوا على عرش التدريس والإفتاء في هذه الديار السودانية، كما جاء الكتاب ليسجل لنا شهادة

تاريخية أخرى تضاف إلى سابقاتها من الشهادات التي تتحدث عن دور علماء ورجال توات في إثراء الحياة العلمية والاقتصادية وحتى السياسية في كثير من الأقطار، وبخاصة منها جنوب الصحراء..... وللحديث بقية.

البحـــث الثالث عشر

مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء
من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين[1]

---

1 . البحث شارك به الباحث في فعاليات الملتقى الوطني حول "المدن التجارية في الجزائر عبر العصور" المنعقد بقسم العلوم الإنسانية بجامعة معسكر يومي: 17، 18 مارس 2010م.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

تعتبر مدينة تمنطيط[1] من أهم وأقدم المدن التجارية بالصحراء الجزائرية الكبرى، وقد أهلها لذلك جملة من العوامل نذكر منها موقعها الجغرافي الهام الذي جعلها تتوسط كبريات المدن التجارية في شمال القارة، إضافة إلى هجرة العديد من السلالات البشرية واستقرارهم بها من يهود وبربر،وعرب، وزنوج وغير ذلك. وهو ماجعل المدينة أيضا قبلة العديد من التجار والصناع والحرفين من شتى الأقطار، وانتشرت بها على الخصوص محلات صياغة الذهب والفضة، حيث يذكر الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه الذي خصه لتاريخ المدينة وسماه: القول البسيط في أخبار تمنطيط[2]" أنه كان يوجد بها حوالي ثلاثمائة وستون صائغا يهوديا في صناعة الذهب والفضة وحدها. وبالجملة فقد اجتمع في هذه المدينة -كما قال - "العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارة والبضائع، وكان لايستغني عنها غني ولا زاهد[3]"

وقبل المؤرخ محمد الطيب بن عبد الرحيم احتلت المدينة تمنطيط حيزا واسعا في كتابات المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم، وتحدثوا عنها وعن نشاطها التجاري والثقافي مطولا

---

1. تمنطيط مدينة تاريخية قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام بقرون بعيدة . وهي حاليا تابعة لولاية أدرار التي تبعد عنها بعشر كلومترات تقريبا.
2. مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط. ص 18.
3. المصدر السابق.

فهذا ابن خلدون(ت.808هـ)[1] يصف الإقليم التواتي عامة وتمنطيط خاصة بقوله: "......وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[2]. ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر من الكتاب واصفا قصورها وعمرانها ونشاطها التجاري بقوله: "....وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذة من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي إليه بينه"[3]. بل إن الرحالة العياشي(1090هـ) ذهب إلى أبعد من كل هذا حين جعل المدينة تمنطيط مجمع القوافل التجارية

---

3. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج 1، ج1 ص 93، مج 6، ج11 ص 120، 123، 133، 206 .مج7، ج13 ص 118، 119 .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .

2. المصدر نفسه مج1، ج1 ص 93.

3. المصدر نفسه مج6، ج11 ص 120.

العابرة للصحراء جميعا، لمّا توفره من فرص العرض والطلب للتجار والزبائن معا على حد سواء وبخاصة في صرافة الذهب والفضة وهو ما جعله يطيل البقاء في الإقليم حيث يقول: "وسبب إقامتنا في هذه البلاد هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلالت أخروا الصرف إلى توات، فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكتو ومن بلاد أقدز من أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير"[1].

كانت المدينة تمنطيط وإلى وقت قريب جدا تتوسط مجموع طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء، وهو ما مكنها من الارتباط التجاري والثقافي بمعظم تلك المدن المحيطة بها شمالا وجنوبا وهذا بواسطة طرق القوافل التجارية المعلومة من مثل[2]:

1. طريق السودان الغربي الذي كان يربط المدينة بمنطقة

---

1. الرحلة العياشية. أبو سالم العياشي. الجزء الأول. ص21.

2. إقليم توات خلال القرنين 18 و19 م، فرج محمود فرج، ص70. وينظر أيضا:مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمن عمر. مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ 2001. وينظر خريطة طرق القوافل من وإلى الإقليم في الملحق.

مالي وموريتانيا.

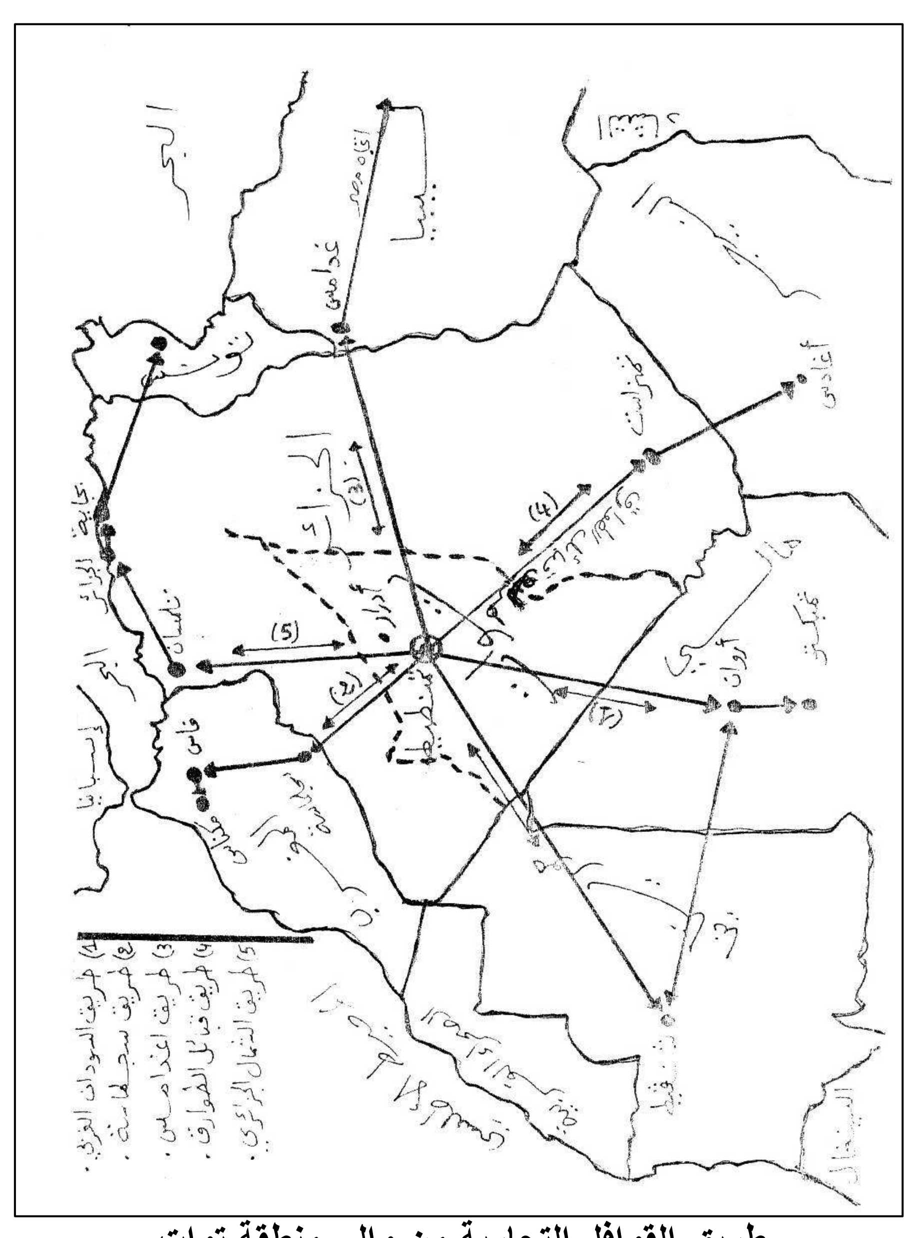
2. طريق سجلماسة وهو الذي يربط المدينة بمنطقة المغرب الأقصى.

3. طريق أغدامس وهو الذي يربط المدينة من جهة الشرق بليبيا ومصر.

4. طريق قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.

5. طريق الشمال الجزائري وهو الذي يربط المدينة بمدن الشمال كتلمسان ووهران والجزائر وبجاية.

ولقد شملت السلع المعروضة والمتبادلة في أسواق المدينة تمنطيط شتى أنواع الملابس، والأسلحة، والتمور والحناء، والنحاس، وريش النعام، والشاي والتبغ، والسكر، والفلفل، والصمغ العربي، وغيرها.



طريق القوافل التجارية من وإلى منطقة توات

تقع مدينة تمنطيط وسط الإقليم التواتي الذي يمتد في حدوده القديمة من حدود واد الساورة إلى حدود صحراء تنزروفت حيث يعتبره الشيخ البكري أن " بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما... وغربا عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما،ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعا لبلاد البيض سيدي الشيخ، وعدد قصوره في القرن الحادي عشر مائتا قصرا أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط"[1] وهو تابع في عهدنا الحالي إلى ولاية أدرار جنوب العاصمة الجزائر بنحو 1500كلم.

وتمنطيط من حيث اللفظ لفظ " أعجمي ويقال إنه مركب من اسمين عجميين وهما (أتما) و(تيط) ومعنى(أتما) النهاية و(تيط) معناها العين[2]"، وبعد التركيب وحذف ألف (أتما) الأخيرة وإبدال ألف (اتط) الأولى نونا، صار الإسم على تركيب (أتْمَنتِيط)، ثم أسقطت الألف الأولى للتخفيف، وأبدلت التاء الثانية طاء، فأصبح

---

1. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص3. الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار .وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص131 وما بعدها. الحاج محمد العالم.

2. البسيط في أخبار تمنطيط، الطيب، بن عبد الرحيم، تحقيق فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص15.

الاسم على صورة نطقه الحالية (تمنطيط). ومع هذا فقد تناقلت الذاكرة الجماعية معنا آخر للفظ، ويعني أن اللفظ مركب من كلمتي(أمان) وتعني(الماء) و(تيت) وتعني(العين) أي بمعنى عين الماء.

وبالرجوع إلى الجانب العمراني في تاريخ الإقليم التواتي عامة وتمنطيط خاصة نجد أن نص ابن خلدون السابق من أقدم النصوص التي تناولت بالحديث عمارة الإقليم فحديثه عن تمنطيط وعمارتها كان محل إعجاب كبير لديه، بل إن حديثه عن تخطيط وهندسة التواتيين للفقارة كان عجيبا لم يسبق أن اطلع عليها.

وبعد ابن خلدون جاء المؤرخ سيدي محمد بن بابا حيدة وخصص كتابا مستقلا لمدينته تمنطيط و هندستها، وطبيعة أبنيتها قائلا: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل هي متلاصقة العمران.... وحولها أصول وبساتين ماؤها بفقاقير جارية.... وقد جاءها الماء من الجهات الثلاث شرقا وغربا وقبلة بخلاف غيرها من البلدان، ويقال إن فيها ثلاثمائة وستة وستون فقارة منها ما هو جار الآن ومنها ما هو معطل، قيل وقصورها أصل عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها الضيف كل يوم بقصر على عدد السنة"(1)

ومعلوم أن النمط العمراني لهذا القصر بالذات في تلك الفترة وماقبلها هو خليط في هندسته بين النمط الإسلامي والنمط الإفريقي إلاّ أن هذا النص التاريخي، وما سبقه به ابن خلدون يمكن أن يقودنا إلى جملة من الاستنتاجات الأولية أهمها:

---

1. محمد بن بابا حيدة. مخطوطه "القول البسيط في أخبار تمنطيط" تحقيق فرج محمود فرج. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1977م. ص4.

1. انضواء مجموعة مما يعرف محليا بالقصور أو القصبات وبأسمائها الخاصة تحت مسمى جامع، فنجد تمنطيط وفيها كما قال المؤرخ ثلاثمائة وستة وستين قصرا متصلة.
2. تقارب القصور، وتلاصق العمران.
3. بناء المدينة وسط مجار ثلاثة للمياه وهي ما تعرف محليا بالفقارة.
4. إحاطة المدينة بواحات النخيل أوما يعرف محليا بالجنة.

لقد كانت المجتمعات الإسلامية في إقليم توات -وإلى وقت قريب جدا -تسكن في تجمعات سكنية جماعية محاطة بصور خارجي ضخم، فردي حينا ومزدوج حينا آخر. ويسمى التجمع عامة القصر أوالقصبة. ويجمع على قصور.

يتشكل القصر من بناية خارجية عامة بداخلها مساكن فردية، ويحكم القصر عامة باب خارجي كبير. كما تأتي معظم هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية وبأبراج أربعة أو خمسة بحسب شكل القصر. وهذه التحصينات الدفاعية في إنشاء العمارة

التواتية تمتد جذورها كبقية المدن الإسلامية من فعل الرسول (ص) في المدينة المنورة وما قام به من حفر للخندق بها من الجهة الشمالية جهة الخطر حينها وقد كان بطول1300 ذراع وبعمق أربعين ذراعا[1]، وأول ما يتبادر إلى الأذهان بعد الإطلاع على هذه التصاميم هو طبيعة البيئة الصحراوية التي وجدت فيها هذه القصور والتي كانت في مجملها بيئة حربية[2] يغزو فيها. وإذا توغلنا إلى داخل القصر وجدنا هناك البيوت والأزقة الضيقة بسبب مساحة القصر الإجمالية التي تتحكم فيها الظروف الاقتصادية، وتحت البيوت تكون هناك دهاليز صغرى للتبريد وحفظ المنتجات، وتحت القصر إجمالا هناك الدهليز أو النفق الجامع الذي تتخذه الجماعة للتبريد في فصل الصيف الحار، و وسط كل هذا يأتي المسجد كأهم بناية في وسط القصر. وبالقرب منه أحيانا هناك بئر الشرب الاحتياطي. وبين كل هذا وذاك تأتي مساحة القصر المركزية الكبرى كأكبر ساحة وسوق داخل القصر للعرض وتبادل السلع التجارية. وهذه أهم القصبات التاريخية

---

1. ينظر: الدكتور ابن يوسف ابراهيم .مدخل لدراسة المدينة الإسلامية .مجلة المدينة العربية العدد 49، ص16. وما بعدها.
2. لقد سجل الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام معظم هذه الحروب والفتن التي دارت رحاها في الإقليم تباعا.

المشكلة لقصر تمنطيط[1]

اسم القصبة	تاريخ تأسيسها	القبائل التي سكنتها
أولاد ميمون	القرن الثاني هجري، الثامن ميلادي	قبيلة أولاد سلام
أولاد أمحمد	القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي	قبائل أولاد أمحمد
تايلوت	بداية القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل اللمتون (لمتونة)
أولاد يعقوب	منتصف القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل أولاد يعقوب
أولاد اهمالي	القرن السادس ميلادي	قبائل أولاد همال
أولاد داود	القرن الخامس عشر ميلادي	قبائل أولاد داود بن عمر
أولاد اعلي بن موسي	خلال القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل أولاد اعلي بن موسي
قصور أولاد يحي	هي مجموعة من القصبات المندثرة لا يعرف تاريخها	قبائل أولاد يحي- أولاد مولاي عبد الواحد بن الزويني

وقد تحدث صاحب البسيط بشيء من الإسهاب عن توافد قبائل عديدة في مراحل مختلفة إلى القصر وتعميرهم له، وأول قبيلة نزلت به يقال لها اللمثون ويقصد بهم الملثمون أولاد يوسف بن تاشفين وفدوا إلى القصر حين انكسرت دولتهم بالمغرب و الأندلس[1]، وبعدهم توافدت القبائل تباعا على

---

1. العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات مدينة تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ إلى القرن 13هـ. دراسة تاريخية أثرية عمرانية ومعمارية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية إعداد بن السويسي محمد .إشراف عبد لعزيز محمود لعرج لعرج .جامعة الجزائر معهد الآثار .2008.

القصـر، وكانـت لكـل قبيلـة قصـرها أوقصـبتها الخاصـة التـي تؤسسها بمجرد نزولها في القصر.

◈ النشاط الاقتصادي والتجاري بتمنطيط:

لقـد شـكل عنصـر المـاء بـالإقليم أحـد أهـم روافـد الحيـاة الاقتصـادية والتجاريـة بـالإقليم، إن لـم يكـن محركهـا وشـريان حياتهـا الأساسـي، وهـو مـا تفطـن لـه سكان الإقليم عامـة منـذ نزولهم بهذه الصحاري حيث أبدعوا في اكتشاف الفقارة ونظام توزيـع مياههـا، وهـو مـا مكـنهم مـن خلـق نشـاط فلاحـي مميـز أنعكس على باقي مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعيـة،و امتد صداه التصديري شمالا وجنوبا.

ونظـام الفقـارة هـو واحـد مـن أهـم وأغـرب أنظمـة السـقي التقليدية في العالم وقد وقف عنده المؤرخون والرحالة العرب والأعـــــــــــــــــــــــــــاجم

---

1. البسيط في أخبار تمنطيط. الطيب بن عبد الرحيم ص 08

بكثير من الدهشة والإعجاب، كما الأمر مع ابن خلدون في القرن التاسع الهجري الذي له في وصفها أمر عجيب نراه معه يتعرض إلى أدق تفاصيل إنشاء الفقارة وجريان مائها حيث يقول: "وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعداً فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً.ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووراكلا وريغ. والعالم أبوالعجائب. والله الخلاق العليم"(1). وبنظام الفقارة استطاع الإنسان التواتي أن يلبي كافة احتياجاته الفلاحية بل وتمتد يده تصديرا إلى بلاد السودان كما يذكر ابن خلدون دائما "... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"(2).

---

1. تاريخ ابن خلدون مج7، ج13 ص 118 وما بعدها.

2. المصدر نفسه مج1، ج1 ص 93.

والفقارة، هي عبارة عن سلسلة من الآبار المائية المتصلة في طريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية للمياه أعجب، وهو نظام قديم جدا تعددت الروايات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم. غير أن ما يميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشاره داخل الإقليم ومن ثم الاستقرار واستمرار العيش إلى الآن وسط ظروف طبيعية جد قاسية، كما كان لهذا النظام أيضا الأثر البارز في غرس روح العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع تبعا لقدرة كل فرد، ومدى حضوره و نجاعته في أعمال الحفر والصيانة السنوية التي يعرفها النظام، إضافة إلى ما يصحب كل ذلك من قيم ومثل تضامنية عليا هذا دون أن ننسى أثر كل ذلك على كافة التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفها ويعرفها الإقليم.

وإذا تحدثنا عن قصر تمنطيط وأنظمة الفقاقير به وجدنا به أولا أحد أهم وأقدم فقارة بالإقليم والمسماة بـ"هنو" وهي فقارة تظل إلى الآن بلا نظام توزيع للمياه بل يتم التوزيع بها وفق قاعدة التداول بين المالكين على مدار ساعات اليوم.

وإضافة لهذه الفقارة توجد بالقصر فقارات عديدة نذكر منها: فقارة المخلوف، تيمدنين، قرنج، أولاد سيدي واعلي، ميمون، سيدي توامي، أولاد حمو،حبا النبو، بالحاج. مازر، أولاد سيد الشيخ، تقورت.

ومن أهم المحاصيل الفلاحية بالقصر كغيره من قصور الإقليم نذكر: النخيل حيث تشكل التمور الغذاء الرئيسي والمنتج

التجاري الأول لسكان الإقليم عامة، ويأتي بعده نبات القمح بنوعيه ثم الحنا والتبغ وباقي الخضروات.

وغير المحاصيل الفلاحية فقد شملت الصادرات التواتية إلى السودان الغربي بعض الملابس والأسلحة. وفي المقابل تتم مقايضة هذه السلع بالشاي والسكر والنحاس وريش النعام والقطن والعبيد جنوبا باتجاه السودان الغربي. وبالسكر والفلفل والصمغ والصوف ومشتقات الحليب والملح و أدوات الزينة و الخيل والعطور والقمح والزيت والمنسوجات شمالا. باتجاه عين الصفراء والمشرية ومعسكر وتلمسان إلى حدود سجلماسة وغدامس شرقا وغربا وغيرهما.

وعن أسعار هذه السلع فإن مجملها كان يتم وفق تجارة المقايضة المعلومة سلعة بسلعة، والبعض الآخر كان يشترى بالذهب وغيره من بقية العملات حيث نجد أن ثمن الحمل الواحد من الملح

في مدينة مالي (المجاورة للإقليم) كان يعادل عشرة مثاقيل من الذهب، ويصل في بعض الأحيان إلى أربعين مثقال[1]

وفي كل هذا كانت تمنطيط القلب التجاري النابض للإقليم انطلاقا من موقعها الإستراتيجي الهام والمميز أولا، ومن تمركز معظم التجار العرب والأعاجم بداخلها.

◈ تمنطيط والحركة الصناعية:

عرفت مدينة تمنطيط خلال هذه الفترة أزهى فترات حركتها الصناعية، وهذا بشهادة مؤرخ المدينة الشيخ سيدي محمد الطيب الذي يقول عنها "وهي بها قاعدة فيها العلم والإمارة والولاية والديانة والرياسة،انتصبت بها الأسواق والصنائع والبضائع والتجارة وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركة والحاجة والحمد لله فهي موردة الركبان و معشر العربان ورياسات البلدان.... وترتسي بها التجار في الآوان..."[2].

ومن خصائص النشاط الصناعي والتجاري بهذه المدينة أن تتخصص فيه عائلات بأكملها وتصير في ذلك مضرب المثل لغيرها، كما هو الأمر مع قبيلة أولاد داوود بن اعمر التي نزلت بالقصر في حدود القرن التاسع الهجري، ووصفها الشيخ سيدي محمد الطيب بقوله: "وكانوا أهل شماخة... وعزة ورياسة بنوا الحمام، وضربوا السكة ولم يبق منهم إلاّ بقية ضعافا.

---

1. ينظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر بيروت لبنان. ص764.
2. مخطوط البسيط في خبر تمنطيط وخبر ماوقع في الزمان وما اشتملت عليه من المكان. الشيخ سيدي محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم. ص02.

وقصــورهم الآن قاعــدة الســوق بتمنطــيط وبهــا الحــدادون والنجــارون والخــرازون والــدلالون والعطــارون والصــباغون والجزارون وغير ذلك"[1]

كمـا أن المدينــة اشـتهرت مـن بـين نظيراتهـا مـن مـدن الإقلـيم التواتي بالحضور اليهودي المكثف حيث يذكر الشيخ مولاي أحمد الإدريسـي: "أنهـا كانـت معقـلا لليهـود"[2] كمـا يـذكر أيضـا مـؤرخ المدينة الشيخ الطيب أنـه كـان بهـا "ثلاثمائـة وسـتة وسـتين صـانعا يهوديـا" واسـتطاعوا بهـذا العـدد أن يسـيطروا علـى مقاليـد الحركـة التجاريـة بالمدينـة لعصـور، ممـا انعكـس سـلبا علـى حركـة التـوازن بيـنهم وبـين المسـلمين. وهـو الخطـر الـذي تفطـن لـه الشـيخ الإمـام المغيلي(909هـ) وجعله يدخل معهم في حروب انتهت بإجلائهم عن المدينة نهائيا.

لقـد حـل الإمـام المغيلـي بـأرض تـوات علـى الأرجـح سـنة 882هـ[3] ووجد اليهود يومها قد ضربوا بأذنـابهم فـي كـل شـاردة وواردة من أمور حياة التواتيين بالإضافة إلى تمردهم علـى كثيـر مـن الأحكـام الشـرعية علـيهم، وهـو مـا رأى فيـه الإمـام المغيلـي إسـقاطا لصـفة الـذمي عـنهم، ووجوبـا لهـدم مـا اسـتحدثوه مـن كنــائس فــي أرض المســلمين. ومــن هنــا بــدأ الخــلاف مــع بعــض علماء عصره وعلى رأسهم قاضـي تـوات آنـذاك الشـيخ أبـو عبـد

---

1. المصدر نفسه ص 11.

2. مخطوط نسيم النفحات. خزانة تاسفاوت .أدرار

3. ينظر مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص19.سيدي محمد بن عبد الكريم .خزانة كوسام .و تقييد مخطوط في خزانة بن الوليد أدرار .

الله العصموني[1] وفي هذه القضية ومن حولها أثيرت قضايا فقهية عدة استمع فيها المغيلي إلى أراء معارضيه وأنصاره[2]، واستقر به الرأي أخيرا عند إسقاط صفة الذمي عن اليهود، أولا ثم محاربتهم وإخراجهم من منطقة توات أرض المسلمين ثانيا.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن أهم الصناعات التي اشتهرت بها المدينة وعم صداها كافة الأقطار المجاورة وجدنا منها:

1. صناعة الفضة: وقد اختصت بها قبائل بعينها وصنعت منها أدوات الزينة بأشكالها المختلفة.

2. صناعة الجلود: وقد اختصت بها قبائل بعينها أيضا، وصنعت منها الأحذية والحقائب وغيرها.

3. الصناعات الطينية: وصنعت منها أدوات الشرب والأكل والزينة، إضافة إلى أدوات الفلكلور المختلفة.

4. الحدادة: وقد تخصصت فيها بعض القبائل أيضا واستخرجت منها الأدوات الفلاحية تحديدا من المنجل والمسحاة والقادوم وقد تعدته إلى بنادق الصيد وكذا بنادق الفلكلور.

-أدوات الوزن والقياس:

---

1. نزل الشيخ العصموني بأرض توات قادما من تلمسان سنة862هـ. وتولى بها القضاء سنة 877هـ. المصدر السابق .

2. ينظر: المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ج، 2 ص219 وما بعدها ، دار الغرب الإسلامي .المملكة المغربية. و كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. الجزء الثاني ، حرف الميم. ص 151 وما بعدها. دار الكتب العلمية بيروت لبنان .وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى. مطلع القرن العشرين .أ. د يحي بوعزيز. دار هومة .الجزائر .2001.

استعان التواتيون في تجارتهم بمجموعة من أدوات القياس، والكيل، والوزن وهي نفس الأدوات والوسائل التي كانت سائدة في الصحراء الإفريقية عامة في تلك الفترة غير أن بعضها يبقى محليا تبعا للنشاط المحلي الذي وسمت به، كما هو الأمر مع أدوات الكيل والوزن الفلاحية التي نذكر منها:

"الشقفة" وتسمى أيضا: "الحلافة" صيغة مبالغة من الحلف على العدل والمساواة،أو الصبارة. وهي في شكلها صفيحة نحاسية مستطيلة أو دائرية ذات ثقوب عديدة و متدرجة من الأصغر إلى الأكبر. أما وحدات القياس فأصلها جميعا يسمى الحبة و بها يكون قياس ماء الفقارة إجمالا حيث يقولون في هذه الفقارة 100 حبة ماء أو 200 حبة ماء وما إلى ذلك. وغير الحبة هناك من الوحدات أيضا:

الماجل: ولها مسميات مختلفة منها: الحبة، العود، الصبع، قيراط نحاس أحيانا. وهو أربعة وعشرين قيراط. والقيراط: هو جزء من أربعة وعشرين جزء من الماجل.

وهناك أيضا قيراط القيراط وهو جزء من أربعة وعشرين من القيراط.

الربع: وحدة قياس يساوي ستة قراريط.

الفلس: هو الحد الأدنى لوحدات القياس الخاصة بتكييل الماء، و576 فلس تمثل عود أي قيراط.

قيراط نحاس: هو الوحدة الأولى التي يتم بها قياس إجمالي ماء الفقارة.

ومن أدوات الكيل والميزان[1] المستعملة في المبادلات التجارية بالمدينة تمنطيط في تلك الفترة وإلى الآن تقريبا نذكر:

الميزان: وهو مصنوع من سعف النخيل والألياف ويتوسطه عود خشبي كبير.

---

1. ينظر: سكان تدكلت القدماء والإتكال على النفس .الحاج التومي سعيدان .ص167.
دار هومة الجزائر2005.

القصعة: وتستعمل لكيل التمر والقمح.

أزقن: وهو وحدة للكيل مقدارها قصعة.

القامة: وهي لقياس الطول وتساوي 02 متر.

القروي: وهو صاع كبير لكيل التمر والحبوب وما شابه، وهو خمسة أقصاع .

لحمل أولغرارة: ويساوي 150 كيلو تقريبا.

لغرارة: هي شوال

الذراع والقامة والشبر والقدم وكلها تستخدم في قياس الطول.

وبجميع هذه الأنشطة الاقتصادية والتجارية التي طبعت المدينة تمنطيط وحركة سكانها لمدة طويلة، إضافة إلى النشاط العلمي المميز الذي وصفت به المدينة استطاعت تمنطيط أن تحتل محل

الريادة وموقع العاصمة الثقافية والاقتصادية للإقليم التواتي قاطبة ولفترة طويلة من الزمن،وهو ما أهلها لتبوء مكانة مرموقة من بين كبريات العواصم التجارية والثقافية في صحرائنا الكبرى، وتحدث عنها العام والخاص من المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم على حد السواء.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. البسيط في أخبار تمنطيط، الطيب بن عبد الرحيم. خزانة تمنطيط.
2. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار.
3. الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم. خزانة تمنطيط أدرار.
4. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات. الشيخ مولاي أحمد الإدريسي. خزانة تاسفاوت .أدرار.

- **المطبوعة:**

1. إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1977م.
2. تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين .أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر. .2001
3. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر بيروت لبنان. ص .764
4. سكان تدكلت القدماء والاتكال على النفس .الحاج التومي سعيدان .دار هومة، الجزائر2005.

5. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون.دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.
6. العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات مدينة تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ إلى القرن 13هـ. دراسة تاريخية أثرية عمرانية ومعمارية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية إعداد بن السويسي محمد .إشراف عبد لعزيز محمود لعرج لعرج .جامعة الجزائر معهد الآثار. 2008.
7. ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي، ط2، 1397هـ،1977م، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.
8. المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي، دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية.
9. نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- **المجـلات:**

1. مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ 2001م. موضوع: مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمن عمر.
2. مجلة المدينة العربية العدد 49، موضوع: مدخل لدراسة المدينة الإسلامية .الدكتور ابن يوسف إبراهيم .

البحـــث الرابع عشر

أدب المقــاومة في توات

ـ دراسة في الأعـلام والمظـاهر ـ[1]

---

1. البحث شارك به الباحث في فعاليات الملتقى الوطني الرابع حول موضوع: إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية خلال الفترة الممتدة من القرن 18، إلى القرن19 المنعقد بكلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية بالجامعة الإفريقية أدرار أيام 27، 28، أفريل 2010.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد:

لقد ألهبت المقاومات العربية عامة والجزائرية خاصة في بطولاتها الميدانية وحسن تدبير قادتها الأفذاذ عديد المشاعر التواتية، وتفاعلوا معها إيجابا. بعديد القصائد الشعرية والنصوص الإبداعية واصفين مفتخرين وداعين محرضين حينا، وساخطين منتقمين من ويلات الظلم وجرائم الاحتلال حينا آخر.

وأدب المقاومة أو الشعر السياسي في معناه الأوسع والأشمل هو الشعر الذي ينظم في شأن من شؤون السياسة أو الحكم وهو ضروب عدة منها الشعر الوطني الذي يتغنى بأمجاد الوطن، ومنها الشعر التحرري الذي ارتبط بظهور حركات المقاومة والمنظمات التحررية في الوطن العربي ضد أشكال الاستعمار الحديثة، فجاء بذلك هذا النوع محرضا وداعيا إلى التحرر، من قيد الاستعمار ومصاحبا لهذه الحركات في مسيرتها.

ولعل صرخة التواتيين في وجه المحتل بشكل عام كانت كجميع الصرخات في هذا المجال قديمة وممتدة امتداد ظهور الإنسان على وجه هذا الإقليم، ولعل أقدم ما حفظته لنا ذاكرة

الزمن في هذا المجال وتناقلته الأجيال جيلا بعد جيل صرخة الشيخ سيدي محمد التواتي. التي انطلقت من رحم القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وما سجله وبلغ صداه آذان المحتل الإسباني لمدينة وهران حينها.

والشيخ سيدي امحمد التواتي هو واحد من أبرز علماء بجاية خلال القرن التاسع الهجري حيث أسس بها زاوية مشهورة،وعُرف بوقفته البطولية في وجه المستدمر الإسباني، وله في ذلك نص شعري حرض به أهل وهران على التصدي للغزو الإسباني، والدفاع عن مدينتهم كما يقول في مطلع هذه القصيدة[1]:

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة
لبلدتكم من قَبل أن تردت
وقبل مجيء المنشئات ببحرها
وأي قلوب عندها مستقرة

1. ينظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .أبو القاسم سعد الله.ج1.ص173. ط3، 1990. دار الغرب بيروت لبنان ، وموسوعة الشعر الجزائري ص 183، 184.ج1. إنجاز أد الربعي بن سلامة وآخرون .ط1، 2002. دار الهدى عين مليلة الجزائر.

ولا تَكلُوها غيرَكم ولـــئن يكـــن
فـما غــائــب مــثل القَـيم ببـلــدة

إلى أن يقول:

فجودوا بفضل المال في حفـــظ كـــلـــــه
وأهل وجـيـران وشـيــخ وصبــيـة
ومايغنــي عنكم مالكم إن أتــــاكـــــم
عدو بـلـيـل بـسدفــة ســــحـــرة
وقـد عظـــم الله الــديـــار خـروجــــهـــــا
فحـذرتكم والله يـعـلـم نـيـتـــي
فـإن لم يكن في الغرب أكبـر غـــيـــرة
وفي الأنـدلـس فجعــة أي فجـعـة

إلى أن قال:

فــلا تهملـــوا أمــــر الأعــادي فإنــهـــم
بـحـــال اجتماع واتـفـــاق وشــــدة
وقد قطعوا قطعا فإن ظفــروا بكـــم
فقد ظفروا وطرا بأهل الجزيـرة
وقد كانت بلادالغرب تحمي ديارهـم
وتنجـدهم بالعون في كل وجهـة

وأخيـر عـاد إلـى ضـرورة التأكيـد علـى رجـال أهـل الجزيـرة بالنظر إلى خبرتهم الحربية في حماية المرسى وعدم التفريط فيه لأن ضياعه -كما قال -هو ضياع للبلاد الإسلامية شرقا ومغربا.

وإن ضــاع مرساكُـم فــإن ضيــاعَــه
ضــيـــاعُ بـــلاد الله شــرقـــا وقــبـلـــــة
ولايَحم مرساكُم ضعافُ رجالكم
ولا الــبـدوُ بـــل تحميه أهلُ الجزيــــرة
فإن لهـم بالطـعـن والضــرب خــبـــرةٌ

وكم فتـكوا بـالكـفر أكبرَ فتـكة

أإخــوانـَنــا في الله ألــقــوا مسامـعــاً

ولا تُهمـلـوا مـا أبرَزَتـــهُ قـــريحــتـــي

والشاعر سيدي محمد التـواتي فـي صرختـه وغيرتـه يـذكرنـا بالشـاعر العربـي لقـيط بـن يعمـر الأيـادي فـي ندائـه المسـتعجل لقبيلته أياد ينبههم فيها من غدر الملك كسرى، حين قال:

أبـلـغ إيــادا وخـلـل فـي سـراتـهــم

إنـي أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

فالشاعر لقيط بن يعمر وإن قبض عليه وزج به في السجن أخيرا، إلاّ أن صرخته بقية شاهدة على وفاء الرجل وغيرته على أبناء قبيلته.

وفي القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي سجل التواتيون حضورهم الأدبي في الحملة الصليبية الفرنسية على مصر بقيادة نابليون(1798،1801)[1]. وضربهم للأزهر الشريف بالقنابل من القلعة، واتخاذه اصطبلا للخيل، ومحاولة اقتلاع المصريين عنوة من الإسلام. حيث تحدث عن ذلك مطولا كل من الشاعر سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني (1221هـ) والشاعر الشيخ سيدي المختار الكنتي (1226هـ) والشاعر سيدي أحمد زروق البداوي (1244هـ) وغيرهم .

---

1. المقصود هي الحملة الصليبية الفرنسية على مصر بقيادة نابليون (1798، 1801). وضربه الأزهر الشريف بالقنابل من القلعة ، واتخاذه اصطبلا للخيل، ومحاولة اقتلاع المصريين عنوة من الإسلام. ينظر: واقعنا المعاصر. محمد قطب. ص204 وما بعدها. ط02. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الرغاية الجزائر1989م. وكتاب العالم الإسلامي في الإستراتجيات العالمية المعاصرة .د علاء طاهر .ص 345 وما بعدها ط 01. 1998م. دار بلال. بيروت لبنان.

يعتبر الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاتي(1221هـ) من الأوائل الذين تفاعلوا مع هذا العدوان الغاشم، وذلك حضوره باكرا في الموضوع بنظمه لقصيدته[1] المعروفة بـ(الحلة الفاخرة في طلب فتح مصر والقاهرة) والتي وردت في أزيد من أربعين بيتا وقال فيها على إيقاع البسيط جاء فيها:

الله أكبر جل الخطب عيانا
وقد أتينا ومنا أصل بلوانا
يارب قاعدة الإسلام حل بها
أمر عظيم لهالنا وأشجانا
الروم أخزاهم الإله قد ملكوا
مصر العتيق وجزءوه سهمانا
الكفر قد خففت أعلام رقبته
ودينا قد بداه اليوم نقصانا
يا غمة لبني الإسلام نالهم
بهذه النكبة الصماء خسرانا
يا بهجة النور يا مصراه حل بنا
بما دهاك تحسر.........

وبعد هذه الاستغاثة المدوية لما حل بمصر العتيق من كفار الروم شرع الشاعر في تعداد مظاهر الخسارة والخراب الذي سيحل من جراء هذه النكبة، فلا أحد يستطيع بعد الآن أن يرتاد المساجد أوالمدارس، ولا أحد يستطيع أن يتصفح المصحف الشريف ولا أن يفتح كتابا من تلك الكتب الكثيرة التي تعمر بها خزائن مكتبات الأزهر الشريف، وليت الأمر وقف عند هذا الحد

---

1. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

بل إن الفساد انتقل إلى المساجد التي حولت إلى كنائس لعبادة الأوثان.

مـن للمساجـــد يـــا غوث يعـمـــرها
مــن للــمدارس يستجيـب لهـفـانــا
من للمصاحف والكتب التيجمعت
بـالأزهـر الـرحب يكفلنها يقظانا
مَن للمشاهد في سفح المقـطـم مَــن
لـمشـهـد السبـط يحفظنه إعلانا
أتنشرن الـمــسـوخ وسـط مسجدنــا
ويعتـريـه مـن أهـل الكفر نشوانا
ويعبَــدنّ الصليــب فـي مســاجــدنـــا
مـا مثلها نكبـة في الدهر تغشانا

بعد هذا لجأ الشاعر إلى الله عز وجل متضرعا وداعيا نصره وتأييده للمؤمنين. بأن يرد عليهم ديار الإسلام، وأن يفتح عليهم قاعدة إسلامية أكبر لتنسيهم أحزانهم فيما حل بهم، وتكبت عنهم أفراح جيش الروم.

والشاعر في دعائه وتضرعه لله سبحانه وتعالى بدا ملحا حين تشفع في ذلك بالعرش المجيد، وبالكرسي الجليل، وباللوح المكرم والملائكة المقربين، بالإضافة إلى المشفع أحمد(ص) وبقية الرسل الكرام، وبآل بيت النبي (ص) وجملة الصحب والأئمة الكرام .

إن لم تعاف وتعف يا رحيم فمن
للمؤمنين مؤيدا ورحمانا
إنا استجرنا بك اللهم يا صمد
فأنف جمع العدا عن قطر مصرانا
وقد تشفعنا بالعرش المجيد وبالـ
ـكرسي الجليل فلا تبق من شانا
وبالملائكة المقربين وباللو
ح المكرم يا سميع بنجوانا
وبالممجد أحمد الشفيع وبالر
سل الكرام ومن بالدين إدّانا

وآل بيت الرســول والمحـــب لهـــم
وجملـــة الصحب انصرنا وأعوانـــا
وبالأئـمـــة أهـل العـلـم كلــهــم
والأولـــيــا وبــالأبـــرار أعـــيـانـــــا
بالغوث بالنقباء السالكيـن وبالـ
ـأفــراد يـــارب لا تخـــيـــب دعـانــا
ارددعلى ملة الإسلام مصر وخذ
أخـــذ عـزيــز طـغاة الكفـر هـوانا
وافتح على المسلمين بعدُ قاعـــدة
تــفــوق مـصـر عـمـارة وبـنــيـــانـــا
لتكبت الروم والإسلام في فـرح
ينـسيــهـــم ما مضـى والأمر برهانا
ورد ألفتـــنـــا وارحـــم ضـراعتـــنــا
وفك مـن أيـد أهـل الكفر أسرانا
وقر أعيـــنـنـــا بـــذاك عـــن عجــل
إذ لـــم تـــزل يا عظيــم النول منانـا
الله ألله جـــل الله خــــالـــقـــنـــا
رب رحيــــم تعـــالـــى الله مـولانــــا

من أنت ناصره لايختشي أحـــدا
ومـن خـذلــت فلا يــزال تلفانـــا
فاقبل ضراعـتنـا إلـيك يـا أحد
وأغنـنـا بــك يا ذا الـمـن سبحانـا

وفي الأخير ختم الشاعر نصه بجملة من الأدعية على عادة كثير من الشعراء في مثل هذه المناسبات طالبا العفو والمغفرة لما اقترف من مظالم بسبب كثرة الذنوب، فالسعيد -كما قال -هو سوى من وهبه الله صدق التعبد في السر والعلانية:

ظلمنا أنفسنا والعــفــو مـنـك لــنـا
فضلا فــليس إلى ســواك شكوانـــا
منا الجفاء ومنك الحلم يــا أمـلـي
أســبــل عـلــى عبــدك المغتر إحسانـا
نـــور بصـــائـرنـــا تـــفضـلا وأزل
غشـــاوة الـــذنــب يا مـن لـيـس ينسانـا
لا تـهـلكنا بما اقترفنا من ســفـــه
وارفـــع يـــد الأخــذ عــنـا منك نجانـا
عودتنا كرما فاختـم عـلـيـنـا بـــه
إذ أنت أهل الجـود قد كان ما كان

رحماك نرجوه يا رحمان هبه لنـــا
ولــم يـــزل حفظك الجميل يرعانـــا
ليس السعيد سوى من قد وهبت له
صـــدق التعبـد أســـرارا وإعـــلانـــا
اغفر لنـا يارب كـــل الـذنـوب ولا
تعـجـل عواقبنـــا ظلمـــا وطغــــيانـــا
واجعل الهـي ختـم العمر منا علــــى
الديـــن القـــويم وأحسـن فيه محيانـــا
وارحـــــم أيمّنـــا والوالديـــن ومـــن
يُنمـى إلينـــا ومن بالقـــرب يغـشـانـــا
وصل ياربنا على الــرسـول الـــذي
فـــاق الـنـبـبـئـيـن مـنـصـبـا وتـبـيـانـــا
وآله الغر والأصحاب مـا طـلعـــت
شـمـــس ومـا هـــزت الجَنُوبُ أغصانـا
ومــا تمـلـــق عـبـد الله مـلـتـجـئـا
بـبـابـك الــرحب يـرجوا منك غفرانـــا

والشاعر الشيخ سيدي عبد الله(1221هـ)[1] بن سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني هو واحد من أكبر وأهم علماء وفقهاء توات، أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي محمد بن احميد، وكان ملازما للشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد الرحمن المهداوي توفي سنة (1221هـ) ودفن بقصر باعبد الله ضواحي المدينة أدرار.

---

1. ينظر ترجمته في: الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية. ص05 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني ص08.

ومن الشعراء التواتيين الذين تفاعلوا مع هذه الحملة الصليبية نذكر الشاعر سيدي أحمد زروق[1] الجعفري البداوي الذي اتخذ من المناسبة نقطة ارتكاز أساسية في تشجيعه وتحريضه على الجهاد ضد جيوش الكفر.

ولد أبو العباس أحمد(1245هـ) زروق بن صابر البداوي الجعفري بقصر بودة، و بها ترعرع وأخذ عن الشيخ سيدي امحمد الونقالي وعن الشيخ سيدي محمد بن احميد الزجلاوي، ثم سافر بعد ذلك لفاس وأخذ عن علماء أجلاء منهم الشيخ التاودي. ولما بلغ ما بلغ من مقام العلم تولى شؤون القضاء بالديار الفاسية نفسها، وليعود بعد ذلك إلى مسقط رأسه توات، وبها تصدر للقضاء والفتوى كذلك لفترة معتبرة من الزمن. توفي على الأرجح يوم الأربعاء السابعة عشر من شهر رمضان عام(1245 هـ) وقيل سنة (1244هـ).

وعلى خلاف الشاعر سيدي عبد الله فقد وجد الشاعر الشيخ سيدي أبي العباس سيدي أحمد زروق بن محمد بن موسى بن صابر الجعفري(1244هـ) في حملة نابليون على مصر سنوات (1798، 1801) وما أبداه المسلمون من بسالة وشجاعة في مقاومتهم للجيوش الفرنسية في دخولها إلى باحة حرم الأزهر الشريف والتي، أنست جيوش الروم جميع ما حققوه من نصر في جزيرة مالطة -قلت - وجد الشاعر في كل هذا وغيره مناسبة

---

1. ينظر: مخطوط قصيدة في نسب آل جعفر بزاوية بودة أدرار .لسيدي أحمد الزروق، ومخطوط الدرة الفاخرة. ص05.ومخطوط الغنية.ص08. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 116 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص114).

متميزة للوقوف عندها بهذه القصيدة[1] المعبرة التي جاءت على إيقاع السريع و شارك بها عموم المسلمين فرحتهم بهذا النصر وراح يذكر فيها الفرنسيين بسوء طالعهم:

قل للفرنسيس كبا جدكم
وردتم وردا بلا مصدر
البر والبحر بساط لكم
لا فوت إن الله منهم بري

1. القصيدة جاءت مخطوطة في نسختين (ا) و(ب) وهي من بحر السريع وفي ثلاثين(30) بيتا. ينظر خزانة قصر بودة أدرار ، وخزانة قصر باعبد الله .أدرار.

حسبتـــم مصر كـــمــالـــطـــة
وصـادق اللهجة كالـمفـــتـــري
هيهـات هيهـــات لا مفر لكـم
إلا عـلـــى الـصـارم والـســمـــر
مـــن ءال عثمـان أتاكم فـتـــى
لأخـذ ثأر الديـــن في مـعــشـــر
أسيـد غـضـاب فـــوق صافـــنـة
في طالع يسمو على المشـــتـــري
تحـن للهيــجـاء أنـــفــســهـــم
مـــن غيـــر مـا درع ولا مغـــفـــر
يعتـــقـدون القمـل حــــلـو الجــنـا
وطعمـه أحلـــى مـــن السكـــر
نفوسهـم باعـــوا وأمـــوالـــهـــم
بجــنـــة وربـــنـــا الــمــشـــتـــري
كـل فتى يـا ويلكـم بـــاســـل
نـدب همـام طـــيـــب العنــصـــر
جموعكـم مـا بين قتلى ومــــن
فـي القيـد يخـــتـال بـلا مــئـزر

جـــنـــى على كلكـــــم رايــــة
وقـول جمهوركــــم الــــمــمتــر
مـا هي بالأولى علـــيكـــم لـنـا
ومـا عددتــــم قـط بالخنـــصـــر
وقــــائـــــع بالـــشـــام غـــــر لـــنـــا
هلكتــــم فيــــهـا بـلا منكـــــر
وحــــبـــذا يـــوم العرائـــش فـــي

....
حشدتـم الأبطال في زعمكـــــم
فشُربوا كأس الردى الأحـمـــر
مـا فات أنجاد الـــسواحل مـــــن
قـد فر منكم يا بنـي الأصفـــر
ولا نجـــا مـــن مـــر فــــي زورق
من طالـــب في الشيح الأخضـــر
طــالعـة مــن بعـــض أجـــنـــادنـا
قـد جلدتكم دونما عسكـــر
لولا البحور الخضرمن دونكم
مــا عمركم يمتــد في معــــمـر

ولا نجـوتـــم مــــن فـــوارســـنـا
في حضر كنتم أو في ســـفـــر
ويـل بنـــي الصفــر أيـــديـــهـم
صفـر من المامـول والـــمتـــجــر
دماؤكـم طلـــت وأمـــوالكــم
ولكـم الويـلات فـي المحـــشـــر
أدام ربـــي نصــــر ديـــن الهــدى
وذل عـــبـاد الهـــوى الأخـــســر
وأيــــد الـــلـــه أئــــمــتــــنـــــا
بـــمــــرد من مـلكـه الأكـبــر
واخـتـص مولانـــا سلـــيـــمـــان
بالتمكـــين والتـأيـيد والظفـــر
ونصـــــر الله عــــســاكـــرنـــــا
بحـــرمــــة المختـــار في مصـــر
صلـى عليـه الله ما ابتـــهـــجــت
نـفـوس أهــل الحـــق بالـــوطــر
خــــيـــر صـــلاة وســلام بـــلا
حـــــد يـــفــــوق أرج الــــزهـــر

ورضـــي الله عـــن الآل والــــــــ
أصحاب أعـلام الــهـدى الـــغـرر

والشـاعر فـي معـرض حديثـه عـن نشـوة الفـرح فـي نصـر المسلمين على الروم راح يذكر الأعداء بداية بجوهر الفرق بين مصر التـي تحـامى أهلهـا لنصـرتها[1]، وبـين جزيـرة مالطـة التـي استسلمت في وجه جيوش الإنجليز الذين لم يجدوا مقاومـة تذكر، وأصبحت الجزيـرة مـن يومهـا مركـزا لحمايـة السفن التجاريـة بـين إنجلتـرا والهنـد والصـين. والشـاعر حـين يتحـدث عـن الاسـتعمارين الفرنسي والإنجليزي فهـو يراهمـا وجهـان لعملـة واحـدة فـي عملـة الكفر والحروب الصليبية. فـإذا كـان النصر حليف الكفر في مالطـة فهيهات أن يتكرر في مصر التي اتحد فيها الأهالي تحت رايـة الجهاد، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله عز وجل، فكـان النصر حليفهم، وكـان جموع العدو ما بين قتلى وما بين مقيد في الأسر.

والشـاعر سـيدي أحمـد زروق وهـو يتحـدث عـن هـذه الوقـائع الحيـة مـن قلـب المعركـة راح يـذكر جيـوش الكفـر ومـن سـار علـى نـهجهم بوقـائع معركـة الشـام التاريخيـة التـي تحطمـت فيهـا جيـوش نـابليون علـى أسـوار عكـة بفلسـطين، لـيخلص أخيـرا إلـى التضـرع والـدعاء راجيـا دوام العـزة للإسـلام والمسـلمين والتأييـد لأئمـتهم، والنصر لعساكرهم.

وفي المناسبة ذاتهـا عثرنـا علـى مقطـع مـن قصـيدة[2] نظمهـا الشـيخ سـيدي المختـار الكنتـي (1226) واسـتنفر بهـا فـوارس

---

1. ينظر: واقعنا المعاصر. محمد قطب. ص 204 وما بعدها.

2. ينظر: قبيلة كنته بين إقليمي توات والأزواد دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12،31، هـ. ص183. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. إعداد

المغرب العربي من عرب وعجم لنجدة هذا القطر العزيز مصر من براثين جيش الفرنسيس حيث يقول:

فلا غيور يذود عن مضاجعهـــا
ولا جـــســـم لـــه عزم وإيـقـــان
ظل هذا يذود القلب من أســف
إن كان في القلب إيمان وإحسان
يا أهل مغربنا هبّـــوا لقارعـــة
كانت بساحتكم والقلب ولهان
أين الفوارس من عرب ومن عجم
أيـــن الملوك وعدنـــان وقحطـــان
وراكبين جياد الخيل صـارمـــة
كأنها في مجـال السيف أقيـان

محمد حوتية. إشراف ناصر الدين سعيدوني. معهد التاريخ جامعة الجزائر1412هـ، 1993م.

أحملوا على الروم.......................
ولاتبغوا عليهم فإن النصر معوان
لا يُدفع الكفر إلاّ باليقين فلا
تغررك منه عساكر وأعوان
لا تدفع الظلمة الدهماء غاشية
إلا بنور من الرحمن تبيان
لم تكفهم أندلس إذأحاطوا بها
وسبتة ومليلة و.............................
حتى أتوكم بدارعزكم فغدوا
يمحون دينكم في الحين نقصان

ونرى الشيخ سيد المختار وهو يحرض أبناء جلدته لنصرة إخوتهم في مصر العزيزة. يذكرهم أولا بضرورة الغيرة على مقدسات الأمة وثوابتها التي تهان هناك، في الوقت الذي غابت فيه فوارس الأمة من عرب وعجم وحاكمين ومحكومين. في مغربنا العربي. ثم بين لهم بعد ذلك أن المعركة مع هؤلاء لا يحكمها العدد والعدة، ولاالعساكر والأعوان، وإنما يحكمها ويفصل فيها ميزان اليقين، ونور العزيز الرحيم، لأنها معركة الإيمان والكفر. وفي الأخير ذكرهم بتاريخهم الطويل مع هؤلاء الأعداء حين استولوا

على الأندلس وما جاورها من مدن سبتة ومليلة وغيرهما.

والشيخ سيدي المختار(1226هـ)[1] بن سيدي أحمد بن أبي بكر الكنتي ولد سنة (1142 هـ) بإقليم أزَوَاد درس أولا على يدي أخيه الأكبر وعلى جده لأمه ثم انتقل إلى مدينة تمبكتو وبعدها اتصل بشيخه سيدي علي بن النجيب وعنه أخذ معظم علومه، وعنه أيضا أخذ أوراد الطريقة القادرية. عاش حياته متنقلا في إقليم أزواد الواقعة بين شرق موريتانيا وغرب النيجر وجنوب الجزائر. توفي يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادي الأولى عام (1226هـ) عن عمر ناهز الرابعة والثمانين سنة .من آثاره عشرات المخطوطات في مختلف الفنون منها: ألفية في العربية، بلوغ الوسع في شرح الآيات التسع، تفسير البسملة، زوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس،فتح الودود شرح المقصور والممدود، نضار الذهب في كل فن منتخب، وغيرها من المؤلفات وقد عدها بعضهم (314) مؤلفا. ويوجد حاليا بنيامي النيجرية مركز مخطوطات باسمه لمؤسسه

---

1. ينظر ترجمته في: مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. الشيخ سيدي محمد بن المختار، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص120 وما بعدها. وكتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. ص152 وما بعدها. وكتاب كنته الشرقيون .تأليف بول مارتي .تعريب محمد محمود ولد ودادي ص39 وما بعدها .مطبعة زيد بن ثابت دمشق .سوريا. وكتاب المقصور والممدود .ص09 وما بعدها .

أحمد دمة الكنتي وبه عشرات المخطوطات كما أخبرني مؤسسه.

وفي عصرنا الحديث كان للمقاومة الجزائرية الباسلة ضد المحتل الفرنسي دور بارز في تحريك مشاعر التواتيين الذين تفاعلوا معها إيجابا وخلفوا في ذلك عشرات القصائد والنصوص الإبداعية من أمثال الشاعر سيدي حمزة بن مالك القبلاوي، والشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن(1339هـ)، والشاعر سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن السكوتي، وغيرهم.

ومما وقفنا عليه في هذا المجال هو قصيدة الشاعر للشيخ حمزة بن مالك القبلاوي في مدح أهل إينغر حين هزموا الفرنسيين عام 1317هـ الموافق لـ1900م.حيث يقول[1]:

يا أهل إينغر يا أنصار دين الهدى
حزتم جميعاً اعز الفخر والسؤددا
مرابطكم وعربكم بأسرهم
كذا مواليكم يا ناصرين الهدى
إخواننا يا حماة الدين فَلْيُهِنْكُمْ
نصر من الله دائماً لكم أبدا

1. ينظر: مخطوط القصيدة في خزانة باعبد الله بأدرار .

نصرتـم مـلـة الإسلام بشرى لكـــــم
أنـصار دين الرسول المصطفى أحمد
دفــــعـــــتـــــم بـمــــدافــــع مــــؤيــــــدة
رجـيــعـهــا يحــتــف العــدا إذا غــرد
بيضـتم وجه أهل الدين بعــد نُضُـــو
بــه كما بكـم أسودت وجـوه الـعدا
لا زال حـيـكـم بـالله مـــنـــتـــصـــراً
دومــاً وميتــكـــم في الله مستشــهداً
لا زلتم الدهر في حصن حصين وفي
وقـــايـــــة الله آمــــنـيــن كـل الـردى
أسـررتمونـا فلن نـزال ندعوا لكــم
بالنصــر والظفــر والثـبـات طول المدى
بالمصطفى خيـر تسليم عـليه كـذا
أزكى صلاة تعم الصحب أهل الندى

وهـي قصيدة مـن بـدايتها إلـى نـهايتـهـا تمجيـد وافتخـار بمـا حققته جيوب المقاومة في هذه المناطق الصحراوية الصعبة. من نصر وإباء وأدخلوا بذلك الفرح والسرور على نفس الشاعر أولا وعلى نفس كل غيور على الوطن والأمة الإسلامية قاطبة.

ولقد ضم الشيخ سيدي الحـاج محمد عبد الـرحمن بـن محمد السكوتي صوته إلى صوت صديقه الشيخ سيدي حمزة بن مالـك القبلاوي في الافتخار ببطولـة أهل ينغر وشجاعتهم ومقاومتهم للعدو الفرنسي الغاشم حيث يقول هو الآخر[1]:

يـــا أهل إينـغر للسمـاء مــــجـــــدكـــم

1. ينظر: مخطوط القصيدة في خزانة باعبد الله بأدرار.

سـما وصيتكـم يـعلو ويـنتشـر
لله دركـم بـعـتـم نـفـوسكـم
مـن الإلـه بجنـة لـهـا خطـر
فحبـذا ذاك مـن بيـع وعـاقـده
وحـبـذا ثـمـن قـد ساقـه القـدر
جـاهـدتـم بنفوسكم وأمـوالكـم
في الله لا مـسكـم أذى ولا ضـرر
طوبى لكم حزتم الرضوان الأكبر من
إلـهـكـم مـعـه مفـاخر أخـر
بـشـرى وروح ورحـمـة ومـغـفـرة
فـاستبشروا برضى الإله وافتخـروا

نصر مـن الله مـع فـــتـح قريـــب وعـــو
نـــه يعينكم والحـفـظ والـظفـــر
والنـصــــر يصحبكــم متى توجهتــم
والعــون والفلـح والتأييد والبشـــر
وعــداً علـــى الله حقاً ســوف يـنجـــزه
والـــوعد لا يعره التغيير والغيـــر
حـــازوا جميع المعالي والفخـــار فلـــم
يبقـــوا لغيرهم فخراً ولم يـــذروا
لـــم يرهبوا كثرة العدو إذ جمـــعـــوا
لهم وقد حسبلوا من بعد ما صبروا
إذ أيقـــنـــوا بعد ذا بنصـــر وبـــهـــم
أكــرم بها عصبة بالله ينتصـــر
مـن يـنصـــر الله يـنصـــره ويظـــفـــره
وليـــس يقدر أن يكيـــده بـشـــر
فالنـصر آت لجند الله حـــقـاً كـــمـا
أتـــى بذلك نـص الذكر والـخبـــر
يمشون أن حمى الوطيس يوم الـــوغـى
للمـــوت قدماً ونار الحرب تستعر

يرجـون في ذاكم رضـــوان خـــالـقــهـــم
لـذاك لـم يعرهم ضعف ولا خـــــور
فالدين عز بهم جـــــنابـــــه واحـــتـمـــى
والكـفـر يرهقه الإذلال والصغـــــر
رمت حماهم كلاب الروم من ســــفــه
فحاق بالروم ما راموا وما مكـروا
راموا خزايا حيارى يحـمـلـــون عــلـــى
أكتـافهـــم جيـفـاً مأواهـم سقـــر
فالأرض مـن دم كلــما هــــم ملـــونـــــة
كـمـا بـقتـلاهم ملئـــت الحـفـــــر
قـــــل للكوافــــر أن نـظمتـم حيـــلـــــة
فـــأهل إينـغـر قـبـل نظمكم شعـــروا
وأن جـمعتـــم عليـهـــم جنـــود الــــردى
فجـمـــع ذا اللـــــف بالتفريق ينـتـــشـــــر
هـام العـدا نثـــروا لنظم شمل الـــهـــدى
لله مــــا نظمـــوا في الله مـــا نثــــــروا
فـــــأصبـح الديـــــن في عز وفي صـعـــــد
والكـــــفـــــر في درك الإذلال يـنحـــــدر

إلى الحضيض ولا زالت وجـوه العـــدا
يغشاهـــم الخســـف والقتـار والعفـــر
بشـــرى لدين الهدى نصر يــعـز بـــه
وذمـــة لـــم يكن بعـهـدهـــا خـفـــر
أبقــاكـم الله تنصـرون دين الــــهـــدى
كمابكم جيش أهل الكفر ينكسر
كسوتـم الناس لبس العز مـن بعدمـــا
أضحـــوا عـــراة ولولاكم لما ستـــروا
كـساكم من جميل الذكـرفعـلكم
حلــــيً مدى الدهر لا يعفـــو لها أثـــر
أزكـى الصلاة على أولى الأنام بـــهـــا
مـــع الـــسلام وصحبـه ومن نصـــروا

وبعد سقوط توات كتب سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن قصيدة رثاء وتوسل إلى الله تعالى حيث يقول[1]:

رب إن فرانـس الكفــر جــاروا
في تـــوات وجــازفـــوا بفـســـاد

1. ينظر: مخطوط القصيدة في خزانة البكريين بتمنطيط.

ختلوا قتلوا وصالوا ونـــالــوا
وأضلـــوا وخــــاطــــروا بعنــــاد
خـــوفـــوا أمـة تـــوحـد ربـــاً
واحـــــداً أحـــــداً بـلا أضـــــداد
لم يقولوا اتخذت يارب نجـــلاً
لا ولــم يشركوا برب العبـــاد
لا ولـم يجعلــوا صليــباً ولا نـــ
داً مـع الله جـــل عـــن أنـــداد
ووعـــدتهـــم إلـــهـي بغفـــرا
ن الـذنـوب بـدون شـرك معـــاد
إن تسلط عليهـم أمــة الكـفـ
ر بــــجــــور وحــــوب و بـعـــاد
فعلى المشـركين فارددلهم كر
تـــهـــم أبــــداً وطـــول الأمـــاد
وعلى كل مـن يــوااددهـم مــن
قــطـــرنا مـن منافقيـن شِـــراد
رب إن تـهلك أمـة المصطفى لـم
يبق في الأرض مومن ذو رشـــاد
رب إنـك قلت هـم خـيـر أمــة
أخرجت فانصرن بنصر يـفـــاد

قد رددت لنسل يعــقــوب فيــمــا

قـــد مضى كرة على أوغــــاد

فلا أمـــة أحـمـد أكــرم الخـلــ

ـق عليــــك وأصفى في كل ناد

صل يـــاربنـــا وســلــم علـــيـــه

وعلـــى آلـه الطـــوال النجـــاد

من بــدايـــة نــوره فـــي ظـــلام

الشـــرك يلمع نوره في البـــلاد

ولعل من أهم وأندر الكتابات النثرية التي سجلت حضورها مع المقاومة نجد نص الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن الذي كتب نصا مطولا يصف فيه ما حل بتوات بعد دخول الفرنسيين أراضيها.

والنص في مضمونه واحد من أهم الوثائق التاريخية التي شارك بها الكتاب مجموع المؤرخين في تسجيلهم لشهاداتهم ومعايشتهم لأحداث عصرهم حيث أن الرجل لم يكتف بعرض ما وقعت عليه عينه من أحداث بل تعداها إلى وصف بعض المقاطع المكملة للمشهد من ضبط لزمان ومكان الهجوم شمالا وجنوبا بداية،مرورا بأهم المظاهر الاجتماعية المتفشية في المجتمع قبيـــــــــــــل الاحـــــــــــــــــــــتلال

والتي رآها سببا مباشرا في تسهيل دخول العدو، ووصولا إلى الحديث عن أهم الوسائل المستعملة ماديا ومعنويا في النيل من أبناء الإقليم، وهو ماتطلب في النهاية حسب قوله التسليم بالقضاء دون المُقضَى به، لأن الرضى فيها بالقضاء -كما قال - استسلام، والرضى بالمقضى فيها اجترام. وفي كل ذلك يقول[1]:

"الحمد لله الذي جعل الحكم يدور مع العلة وجوداً وعلماً، وطبق الأحكام على النوازل قوانين وحكماً، وجعل من الكتاب والسنة كليات تشتمل على أفراد وجزئيات، والصلاة والسلام على بحر العلم وينبوعه الزخار، الذي لا يطمع أن يلجه ملك ولا نبي مرسل ولا صديق فضلاً عن أن يبلغ عمقه التيار، وعلى آله وصحبه السادات النبلاء الأطواد، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الأشهاد.

أما بعد:

فقد تجدد على هذا الإقليم التواتي، ما كان يخاف عليه منه قبل الآن، وهو تهافت طاغية الفرنسيس عليه لعنة الله، بالعَدَدِ والعُدَد، والأزل والذل، والقتل والأسر، بعام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، في طرفه الجنوبي، الذي هو عين صالح، ثم في طرفه

1. ينظر مخطوط المقال في خزانة البكريين تمنطيط.

الشمالي في هذا العام الثامن عشر. وما نزلت العقوبة بهذا الإقليم، إلاّ بعد شهادة خياره عليه بنهاية المنكر والظلم والفسق والمجون والرشوة والرين والحرام، وغير ذلك من مترفيه، وغير مترفيه، ولم يتناهوا عن منكر، ومن تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سموه مسخرة ورموه بالحمق والبله والجنون، وربما اغتاله في شبكة كيدهم ومكرهم وحيلهم دأب الشاة مع الذياب، وصار المنكر معروفاً عندهم، والمعروف منكراً، وصارت قوادهم... جباة الأموال، لا دعاة، وكانوا بذلك أطمع من أشعب وأروغ من ثعلب، وأمكر من هرمز، وأحيل من ذيب، وأبطش من أسد، حتى عجت هذه الأرض إلى الله من ظلمهم، مع توحيدهم ومعرفتهم، قال العاصي: وأن الجنة حق وأن النار حق، فسلط الله عليهم من لايعرفه من غيرهم من الكفرة، كما سلط الله بخت نصر، على بني إسرائيل، بعد شهادة أنبيائهم عليهم بالظلم والفسق والجور والتعدي، فلما كان ما كان وانتدبت عصابة من هذا الإقليم لرد الكفرة المذكورين فلم تكن عاقبة، لا والله قد ضمن العاقبة للمتقين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حدث من هذا الحادث العظيم، الذي احترقت منه الأكباد، لولا التفويض والتسليم لرب العباد، وقد رضينا بقضاء الله في هذه الحادثة لإخواننا المسلمين من القتل والأسر وضياع الأموال، وما رضينا بالمقضى به لهم،

وهو الولاية الكفرانية، لأن الرضى بالمعصية معصية، وبالكفر كفر، وهذه المسألة التي يرضى فيها بالقضاء دون المقضى به، كان الرضى فيها بالقضاء استسلام، والرضى بالمقضى فيها اجترام...".

والنص إلى جانب كونه وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ المقاومة بالإقليم، فإنه جاء يحمل كثيرا من بصمات الكاتب الإبداعية، وحسن استغلاله لمعجمه اللغوي الذي جاء بسيطا ومنسجما يتطلع إلى إيصال الفكرة من أقرب الطرق الممكنة، وبأبسط الوسائل المتاحة، ولذلك رأيناه يستعين أحيانا برصيده الثقافي والمعرفي في تقريب الصورة من جهة وبما أتيح له من عنصر البيان والبديع من غير ما إفراط أو تفريط من جهة أخرى.

والخلاصة أن مجمل هذه القصائد جاءت في مضمونها وموضوعاتها لتعكس ثقافة ووعي أصحابها. وما لف حولها من أجواء قومية ووطنية خاصة، استمدت معالمها من طابع الموضوع الحساس ومن موقع الإقليم المتميز. ولذلك فإن جلّ ما وقفنا عليه من إنتاج التواتيين في هذا الموضوع قد طبع بميزة البساطة والسهولة لغة وأسلوبا، بعيدا عن الغرابة والتعقيد و في ظننا أن هذا الأمر لم يكن باختيار الشعراء أنفسهم بل كان نتيجة حتمية لحال مجتمع غلبت عليه الأمية وتعقبته أحيانا، إلى مدارس تحفيظ القرآن والأحاديث النبوية المنتشرة في الإقليم. ونتيجة لكل هذا وذاك راح الشعراء يعبرون عن معانيهم بألفاظ وتراكيب سهلة بعيدة عن الخيال الجانح والتصوير المعقد والرمز الغامض.

وبهذه النماذج الأدبية يمكن القول أن شعراء توات لم يكن ليفصلهم عن هموم أمتهم و قضايا دينهم حاجز الزمان والمكان

أوبقية الحواجز الأخرى، إذ سجلوا حضورهم القومي بكل عز وافتخار، وكانت هذه النصوص خير شاهد على تأثر هؤلاء جميعا بمجريات أحداث الأمة، فشاركوا في الذود عنها أولا، والتأريخ لها ثانيا، وهو ما يعكس ثقافة الجميع ومتابعتهم لكافة الأحداث التاريخية.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي (المنيعة).
2. تقييد مخطوط حول نسب وحياة بعض العلماء البكريين .خزانة قصر تمنطيط .
3. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني: محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار .
4. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
5. الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم .خزانة قصر تمنطيط أدرار.
6. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
7. الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. الشيخ سيدي محمد بن المختار.خزانة قصر زاوية كنته أدرار.
8. غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل.جمع مشترك بين سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن ،وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن سيدي محمد الجزولي .خزانة تمنطيط أدرار.
9. قبيلة كنته بين إقليمي توات والأزواد دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12،13هـ. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر .إعداد محمد حوتية. إشراف

ناصر الدين سعيدوني. معهد التاريخ جامعة الجزائر1412هـ، 1993م.

10. قصيدة (الله أكبر جل الخطب عيانا) الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن . خزانة قصر باعبد الله أدرار.

11. قصيدة (رب إن فرانسيس الكفر جارو) للشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن. خزانة قصر البكريين .تمنطيط

12. قصيدة (قل للفرنسيين كبا جدكم) الشيخ سيدي أحمد زروق. النسخة (ا) خزانة قصر بودة أدرار .

13. قصيدة (قل للفرنسيين كبا جدكم) الشيخ سيدي أحمد زروق. النسخة (ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار .

14. قصيدة (يا أهل إينغر) للشيخ سيدي حمزة بن مالك. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

15. مقـال الشـيخ سـيدي البكـري بـن عبـد الـرحمن فـي دخـول الفرنسيين أرض توات.خزانة البكريين تمنطيط.

- **المطبوعـــة:**

1. التاريخ الثقافي لإقليم تـوات مـن القرن 11 إلـى القرن 14هـ، 17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد. ط1، 2003. الجزائر.
2. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .أبو القاسم سعد الله .ج1.ص 173. ط3، 1990 دار الغرب بيروت، لبنان.
3. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم تـوات .ج1و2. الشـيخ مـولاي التهـامي. ط1. مـارس 2005. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. الجزائر.
4. العالم الإسلامي في الإستراتجيات العالمية المعاصرة. د علاء طاهر. ط01. 1998.م دار بلال. بيروت لبنان.
5. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني .الشيخ محمد باي بلعالم .ط1. 2005 الجزائر.
6. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: تأليف أبي عبد الله الطالب محمد. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1981م.

7. فتح الودود شرح المقصور والممدود للشيخ سيد المختار الكنتي، تحقيق مأمون محمد أحمد، ط1، 1423هـ، 2002م.
8. كنته الشرقيون .تأليف بول مارتي. تعريب محمد محمود ولد ودادي .مطبعة زيد بن ثابت دمشق. سوريا.
9. موسوعة الشعر الجزائري إنجاز أ.د. اربعي بن سلامة وآخرون .ط1، 2002. دار الهدى عين مليلة. الجزائر.
10. واقعنا المعاصر. محمد قطب. ط 02. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية .الرغاية الجزائر .1989م.

البحــث الخامس عشر

أدب الرحلة في أقاليم توات

ـ مظاهره، أعلامه، وخصائصه الفنية ـ[1]

---

1. البحث ألقي في الملتقى الوطني الثاني " الحركة الفكرية والأدبية بين إقليمي تيارت وتوات عبر التاريخ المنعقد بجامعة ابن خلدون بتيارت يومي 13، 14، أبريل 2010م

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

عرف التواتيون عبر تاريخهم الطويل -كغيرهم من أبناء الجزائر[1]-بكثرة رحلاتهم وتنقلاتهم بين العواصم والمدن التاريخية أداء لفريضة الحج والعمرة حينا وطلبا للعلم والمعرفة في أحايين كثيرة، ومع كل خطوة من خطوات هذه الرحلة أو تلك كان القلم أنيسا وشاهدا على كل كبيرة وصغيرة من يوميات الرحلة. وهكذا أصبح للعالم الواحد أكثر من رحلة مدونة يفتتحها بخروجه من مقر قصره بتوات ويختتمها بالعودة إليه.

ومع مرور الأيام شكلت هذه الرحلات مادة تاريخية هامة لكل مرحلة من هذه المراحل من جهة، بالإضافة إلى بعض المسح الأدبية التي تتخللها أحيانا، خصوصا في المقدمة والخاتمة بالإضافة إلى بعض الفقرات هنا وهناك.

---

1. ينظر تاريخ الجزائر الثقافي. ص381.

ولعل من أشهر الذين أرخوا لأحداث رحلاتهم المختلفة في منطقة توات نذكر الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (1189هـ) الذي اشتهر بين علماء عصره بكثرة رحلاته وتنقلاته طلبا للعلم أولا، وزيارة للروضة الشريفة وأداء لمناسك الحج ثانيا. وهو في كل هذا قد أرّخ لنا لرحلات أربع[1] فقط، لا تزال إلى الآن مخطوطة في خزائن الإقليم. ومما وقفنا عليه شخصيا من رحلات الشيخ.

* رحلته[2] إلى الحج والتي جاءت تلبية لطلب أخويه في الله سيدي عومر بن سيدي عبد الرحمن، وابن عمه سيدي إدريس في أمر مرافقتهما إلى الحج، خصوصا بعدما لقيه من مساعدة بعد اعتذاره لهما ذات اليد كما قال:

"الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيته المحرم العتيق،وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيق، أحمده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنا من التوفيق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، شهادة تنجينا بها من عذاب الحريق ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث

---

1. ينظر كتاب الغصن الداني .ص58 وما بعدها.

2. مخطوط الرحلة وهي في أكثر من نسخة. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

إلى خير فريق. اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين أفضلهم أبو بكر الصديق وبعد: فلما منَّ الله علي بالتوجه لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك لما تحركت لذلك همة الإخوان في الله سيدي عومر بن سيدي عبدالرحمن، وابن عمه سيدي إدريس بن شيخنا العلامة سيدي عومر، فاستشاراني في ذلك فأشرت عليهما في الجد في ذلك فطلبا مني المرافقة فاعتذرت لهما ذات اليد...".

وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ سيدي عبد الرحمن في التأريخ لأيام رحلته يوما بيوم حيث أخبرنا بداية عن زمان ومكان الانطلاق، والذي كان من قصره بتنلان بعد صلاة جمعة يوم العاشر من شهر جمادي الثانية سنة(1188هـ). ثم استمر بعدها في الحديث عن أهم مواضع حله وترحاله، وكذا أهم الأحداث المسجلة في كل ذلك: "فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جماد الأخير ونزلنا مدينة تمنطيط[1]،اصفرار يومنا

1. تمنطيط كانت عاصمة الإقليم قديما. وهي تقع جنوب الولاية أدرار بنحو عشر كيلومترات تقريبا.

وأقمنا بها يوم السبت، وأسرينا منها وقلنا زاوية الجديد[1] ثم أسرينا منها وقلْنا زاوية الرقاد[2] وبتنا بها ثم رحلنا منها لقرية بوعلي[3]وزرنا بها قبر الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وبتنا بها وقلنا، ثم رحلنا منها ظهر يوم الأربعاء متوجهين لبلاد تدكلت، وبتنا دونها يومين، وقلنا يوم الجمعة قرية تمقطن، ثم رحلنا منها لزاوية سيدي أبي الأنوار، وأقمنا بها ثلاثة أيام، ثم رحلنا منها لأولف الأشراف وبتنا به، ثم لزاوية تقرافت، وبتنا بها، ثم أسرينا منها سحرا متوجهين لبلاد دبدر فنزلنا بأولاد موسى وأضافنا بها سيدي علي بن سيدي أحمد، ثم رحلنا لزاوية أبي نعامة نفعنا الله به وزرناه، وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور، فأقمنا بها أربعة أيام، واستجرنا هنالك دليلا من الطوارق واسمه(تكمن)، ثم قمنا منها متوجهين لعين صالح،

---

1. تعود لمؤسسها الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد بن عومر. و تقع على بعد خمسة وأربعين كم تقريبا من مقر الولاية أدرر .وهي تابعة إداريا لبلدية تامست.
2. المقصود هي الزاوية الكنتية التي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمد بن مجمد المعروف بالرقاد. وهي على بعد خمسة وسبعين كم تقريبا جنوبا من مقر الولاية أدرار.
3. من قصور بلدية زاوية كنته يعود في تأسيسه إلى أبي علي البرمكي. كان موطنا للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر. وهو مدفون بجوار هذا القصر.

وأخذنا طريق الغابة، وبتنا دونها أربع ليالي، واستهلّنا شهر رجب في الليلة الرابعة منها، ليلة الخميس الثامن والعشرين من أغشت، وقمنا بها أربعة أيام، وأكرمنا بها محبنا سيدي أحمد بن الفقيه سيد الحاج ابراهيم، والسيد محمد بن الحاج، والحاج محمد بن لحسن من أولاد أبي القاسم، والحاج محمد بن عبد الله من أولاد الحاج فجزاهم الله عنا خيرا"[1]

واستمرت الرحلة في الأودية والصحاري الجزائرية والليبية أولا لمدة تزيد عن أربعة أشهر من يوم الجمعة العاشر من جمادي الأخير حتى يوم الإثنين الثاني والعشرين من شوال، وهو يوم عبوره النيل ودخوله القاهرة وتيهه عن جماعته لأيام- كما قال -بسبب الزحام وكثرة المارة في الأزقة، ومن القاهرة كان التوجه إلى البقاع المقدسة.

والشيخ سيدي عبد الرحمن في هذه الرحلة تحدث عن كل كبيرة أو صغيرة شاهدها أوسمع عنها، كما أرّخ لكل مرحلة من مراحلها تأريخا دقيقا بالأيام والشهور. وأضاف إلى هذا تراجم لكثير من الشخصيات التي صادفها في طريقه أو نزل عندها. ولأن نسخ المخطوط التي اطلعنا عليها جاءت مبتورة جميعها لم نتمكن من معرفة شيء عن أيامه في البقاع المقدسة[2] ولا عن خط عودته منها، لكن الأكيد هنا أنها الرحلة الأخيرة له إلى الحج والتي توفي فيها في أعقاب عودته من أداء مناسك الحج التي وافقت شهر ذي الحجة، ودخوله القاهرة في شهر محرم،

---

1. ينظر مخطوط الرحلة .خزانة قصر باعبد الله أدرار

2. ذكر الشيخ باي أن تاريخ وصول الشيخ إلى مكة كان في السابع من ذي الحجة **1188**هـ. ينظر: الغصن الداني. ص **60**.

الموافق لبداية السنة الهجرية الجديدة (1189هـ) أو بداية شهر صفر الذي توفي في آخره بتاريخ يوم التاسع والعشرين منه. ودفنه بمقبرة[1] سيدي عبد الله المنوفي.

وإذا استثنينا تلك المقدمة التي افتتح بها الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني رحلته إضافة إلى بعض الفقرات في طياتها، فإن الرحلة بدت أقرب إلى التأريخ منه إلى النص الأدبي الراقي.

وللشيخ أبي حفص سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي(1152هـ) هو الآخر رحلة[2] مشهورة في طلب العلم انطلاق

---

3. زرنا المقبرة في سبتمبر **2004**. ووجدنا بها قبرا مجهولا بجوار الشيخ سيدي عبد الله المنوفي ، لكننا لم نتأكد من نسبته للشيخ سيدي عبد الرحمن بسبب قدم ودقة الكتابة عليه. غير أن حارس المقبرة أخبرنا بأن القبر لعالم مشهور وهو من خارج مصر .

2. ينظر مخطوط الرحلة خزانة قصر باعبد الله أدرار.

فيهـا مـن منطقـة تـوات وصـولا إلـى مدينـة فـاس بـالمغرب،و استمرت تحديدا من سنة سبع عشرة ومائة وألف(1117هـ) حتى آخر سنة تسعة وعشرين ومائـة وألـف(1129)، كمـا هو مؤرخ لها داخل النص. وقد تحدث فيها الشيخ سيدي عمر بدايـة عـن سببه الرئيسي في السفر والمتمثل أساسا في تطلعه إلى لقاء شيخ يحل لـه ألفاظ ومعاني ألفيـة ابن مالك في النحو، ولكون بلدته كانت خالية من العلماء -كما قال -فقد عزم على السفر لسجلماسة ومنها إلى فاس بالمغرب مستندا في ذلك على ما جاء في فضل طلب العلم حيث يقول:

"الحمد لله الذي شرف العلم وجعل له أهلا، والصلاة والسلام على من طاب أصلا وفرعا، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وبعد:

فقد كنت في حال صغري مشغوفا بالعلم، مولعا بطلبه مشتغلا بقراءة الشيخ خليل، وألفية بن مالك، مقبلا على ذلك متشوقا إلى شيخ يحل ألفاظها ويوقفني على معانيها. فلم يتفق لي ذلك لكون البلد شاغرة من العلماء، إلى أن شرح الله صدري فتوجهت همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس قصدا لذلك، فثنيت عنان عزمتي، وصرفت لذلك وجهتي. وقد ورد في فضل طلب العلم أحاديث كثيرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم. ففي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا للجنة[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: أفضل الأعمال طلب العلم[2]. وقال عليه السلام: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب[3] إلى غير ذلك من الأحاديث. فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة سبع عشرة ومائة وألف، وأقمت فيها مشتغلا بالقراءة والإقراء إلى آخر سنة تسع وعشرين ومائة وألف، نحو ثلاثة عشرة سنة".

وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ سيدي عمر في تتبع سلسلة شيوخه في العلم، وأهم العلوم التي أخذها عنهم، وكذا عرض بعض المسائل الفقهية والأحداث التي مر عليه هناك. وفي نهاية الرحلة خلص إلى ذكر سلسلة سنده في الطريقة من شيخه الأول سيدي محمد بن عبد الرحمن بن بوزيان القندسي عن سيدي مبارك العربي دفين سجلماسة، ومرورا بأبي العباس المرسي،

---

1. صحيح البخاري. كتاب العلم. المجلد الأول. ج1، ص25.
2. لم أجد له سندا. والأحاديث الواردة عن رسول الله(ص) في أفضلية الأعمال هي: في الإيمان بالله ورسوله، والصلاة لوقتها، والحج والعمرة، والجهاد في سبيل الله.
3. صحيح ابن خزيمة .تحقيق د محمد مصطفى الأعظمي .ج1.ص 13.المكتب الإسلامي بيروت لبنان 1390هـ 1970م.

عن أبـي الحسـن الشـاذلي،عن سـيدي عبـد السـلام بـن مشـيش. ووصولا إلى الحسن البصري عن الإمـام علـي-كـرم الله وجهـه - عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومخطوط الرحلة يقع في أربعة عشرة ورقة ونصف(14،5) بمجموع تسع وعشرين صفحة(29ص). وهي منسوخة من خط مؤلفها بلا واسطة-كما قال -ضحى يوم الأربعاء السابع عشر من ذي القعدة الحرام عام اثنين وأربعين ومائتين وألف (1242هـ). لناسخها الشيخ محمد بن محمد عبد الرحمن بن محمد بن عز الدين وغير الشيخين سيدي عبد الرحمن بن عمر و سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر فقد كتب الشيخ سيدي عبد الرحمن بن سيدي إدريس التواتي(1181هـ) هو الآخر رحلة[1] مشهورة قادته فيها المسيرة إلى الجزائر المحروسة بتاريخ أول شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(1231هـ) تاريخ الانطلاق من زاوية جده بتنلان مرورا ببلدة تيميمون وبلاد الزاب بغارداية أولا وكذا مدن المدية والبليدة وأرض متيجة ثانيا ووصولا أخيرا مـــــــع طلـــــــــوع فجـــــــــر يـــــــــوم

---

1. مخطوط الرحلة ورد في ثلاث نسخ .النسخة (ا)(1244هـ). خزانة قصر باعبد الله أدرار. النسخة (ب) (1161هـ) خزانة قصر باعبد الله أدرار. النسخة(ج) خزانة قصر كوسام أدرار.

الأربعاء إلى الجزائر المحروسة.

"الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فلما قدر الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنير أحد شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (1231هـ)، خرجت من بلدتنا زاوية تنلان ثالث الشهر المذكور، وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون قاعدة قرارة، وأقمت فيها تسعة أيام وخرجت في العاشر- وهو الثامن عشر منه -قاصدا مدينة الزاب..."

إلى أن قال في وسطها أثناء بلوغه مشارف مدينة الجزائر المحروسة:

"...خرجت مع رجال من بني أمزاب قاصدين مدينة تطْر وهي أول عمالة صاحب الجزائر من هذه الطريق، وتسمى أيضا لمدية، وفيها الباي ابراهيم، ودخلناها يوم الأحد عيد الفطر، وأقمنا فيها يومنا ذلك. وفي غده خرجنا منها عند الظهر ومشينا يوم ذاك وكثيرا من الليل، وأصبحنا عند المدينة المسماة لبليدة وما أحسنها، وأطرفها، حازت جميع المحاسن، وهي عروس ذلك الإقليم، ولا يوجد لها فيه نظير. واشترينا فيها ما نحتاجه ليومنا ذاك من خبز أوإدام أو فاكهة ومشينا عنها، وعند العصر دخلنا

أرض متيجه، ومشينا فيها إلى الغروب وبتنا هناك ومن هناك يسمع هدير البحر وتلاطم أمواجه، فلما قرب طلوع الفجر مشينا داخلين للجزائر، ودخلناها وسط ضحى ذلك اليوم وهو يوم الأربعاء، ونزلت في الفندق الجديد بباب عزوز اكتريت فيه بيتا، وأقمت فيه ذلك اليوم، وفي غده يوم الخميس اجتمعت بقاضي المالكية في الجزائر، وهو الفقيه الأجل سيدي الحسن بن قاضي المالكية سيدي الحاج مصطفى الجزائري أصلا ودارا، وتعارفت معه ووقعت بيني وبينه محبة أكيدة حتى صرنا لا نفترق في غالب أوقاتنا، فجزاه الله عني في الدارين خيرا"[1]

وأثناء دخول الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس مدينة الجزائر المحروسة وإقامته بها واجتماعه المتكرر مع قاضي المالكية بها، أرّخ لنا الشيخ لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي هجوم الإنجليز على الجزائر بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(08 شوال1231هـ، 1815م)، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال:

"فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن

1. مخطوط الرحلة.

عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر، وهي أربعون سفينة، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود. ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا. والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم. وكتب كتابا مضمنه: اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية هو على دينه وهم على أديانهم، وانظر صاحب تونس وهو أخوك وضدك صلحا مع جميع جنس النصارى، وصاحب طرابلس كذلك، كل واحد على دينه، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلاّ عليك، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك. ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس، واصبانيول و.... وعدد عليه قبائل النصارى، بل أنا بدر.... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسرى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء

دولتك وأجلتك ساعتين..."[1]

وبعث القائد النصراني كتابه مع أحد جنوده، وأمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس في رحلته:

"... فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر، وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر. فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بــدر

---

1. مخطوط الرحلة.

إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا"[1]

ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمن دون أن تتحرك لها مشاعره، وتتدفق أحاسيسه، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم.

"وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد"[2].

ويستمر الشيخ سيدي عبد الرحمن في تسجيل وقائع الحادثة نقطة بنقطة معددا قتلاها وأسراها وناقلا لبنود صلحها الأخير. وهو كما قال: إنما اعتمد على مصدر مشاهدته هو أولا ثم على ما أبلغه به بعض الثقاة كقاضي المالكية بالجزائر آنذاك الفقيه سيدي الحسن بن القاضي سيد الحاج مصطفى الجزائري أصلا

---

1. مخطوط الرحلة.

2. مخطوط الرحلة.

ودارا الذي التقى به وتعارف معه ووقعت بينهما محبة كبيرة حتى صارا لايفترقان في غـالب الأوقات كما قال:

"... فإني ما كتبت ولا نكتب إلاّ ما شاهدته بعيني،أو أخبرني به ثقة مثل القاضي المالكي،أو غيره من الثقاة في الجزائر.... وهذا تحقيق ما وقع بين صاحب الجزائر الباشا عمر وبين بدر لنجليز طاغية أفلنقطرة -لعلها انقلترى -دمره الله وقطع دابره. بعضه مشاهدة وبعضه بطريق الخبر من الثقاة والسلام .وكتب ه عبد الرحمن بن إدريس التواني التنلاني"[1]

ومخطوط الرحلة جاء في ثلاث نسخ مختلفة الأولى وردت في اثني عشر صفحة، وهي منقولة من خط المؤلف بتاريخ أواسط ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائتين وألف (1244هـ) وناقلها هو محمد عبد الرحمن بن محمد. والثانية جاءت في خمس صفحات ونصف،

1. المصدر نفسه.

وهـي بخـط الشـيخ سـيدي أمحمـد بـن احمـد البـداوي بـن سـيد المحضي(1261هـ). أما الثالثة فهي منسوخة حديثا بتـاريخ ألف وأربعمائة وسبعة عشر(1417هـ) ووردت في ثلاثة عشر صفحة (13ص) وهي بخط ناسخها الشيخ الحاج الطيب شاري.

ومن ضمن الرحلات التي وقفنـا عليهـا أخيرا لكننـا لـم نستفد منهـا فـي شـيء يـذكر بسـبب تآكلهـا وضـياع جـزء كبيـر منهـا رحلة[1] الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري والتي احتـوت علـى كثيـر مـن المعلومـات التاريخيـة الهامـة المتعلقـة خصوصا بوالـده سيدي محمد وببعض علمـاء عصره الآخرين. كمـا تضـمنت أيضـا العديـد مـن القصـائد الشـعرية لـه ولـوا لـده بالإضافة إلى بعض النوازل الفقهية المختلفة.

وجاءت الرحلة في مائة وتسع(109) صفحات وبدأها المؤلف بقولـه:

"...[2] السمـاء مـاء فسلكه ينـابيع في الأرض، فأخرج بـه ثمـرا مختلفا العرض، والصلاة والسلام (على سيدنا) محمد الذي سافر

---

1. مخطوط الرحلة بخزانة تمنطيط.

2. الرحلة جاءت مبتورة في المقدمة ولعل الجملة المحذوفة هي (الحمد لله الذي أنزل من السماء).

إلــى قــاب قوســين فرجــع.... وعلــى آلــه وأصــحابه وأزواجــه وذريتــه...... ضــيف الله بـن محمـد بـن أب المزمـري غفـر الله لـه ولولديه آمين هذه ورقات قصدت بها بيان نبذة من خبر رحلتـي من بلدتي لزيارة..... وشيخي ووالدي رحمه الله".

والرحلة على ما يبدو قصد بها المؤلف أول ما قصد الترجمـة لوالده لأنه أجراها في حياة الوالد إلاّ أنـه خطها بعد وفاتـه وهو ماجعله يركز فيها على مولده ومناقبه وأهم تآليفـه بالإضـافة إلـى مرضه وموته وما نظمه فيه هو من مراث مختلفة.

ولعل أهم ما يلاحظ على هذه الرحلـة وغيرها مما ذكرنـا هو أن أصحابها، وإن طبعوا بالطـابع الأدبـي فـي بقيـة كتابـاتهم مـن قصـائد ورسـائل ووصـايا وغيرهـا إلاّ أن مـيلهم إلـى التـأريخ فـي كتابـة رحلاتهـم كـان واضـحا رغـم مـا كـان يطـبعهم أحيانـا مـن أسلوب أدبي في بداية أونهاية المخطوط.

*أهم أعلام الرحلة بتوات:

من أهم الأعلام الذين أرّخوا لرحلاتهم العلمية نذكر:

1. الشيخ سيدي ضيف الله[1] بن محمد بن أُبّ المُزّمّري:

ولد الشيخ كما أخبر والده يوم السبت السادس عشر(16) من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف (1128هـ). دعا له والده منذ ولادته بقوله " أصلحه الله وجعله من حملة القرآن" وعلق سيدي ضيف الله على دعوة أبيه بقوله "فقبل الله دعاءه... ولم يكتب مثل ذلك لأحد من أولاده" ويواصل الشيخ سيدي ضيف الله التعريف بنفسه في رحلته قائلا: "وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاورني في كثير من أموره مع صغر سني... وأشركني في كثير كتب حبَّسَها". من أبنائه الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد(ص) كما قال وولد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف (1158هـ).

كان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره أشعر من أبيه محمد بن أُبّ، وله عديد القصائد الشعرية منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في رحلته ولم نقف إلاّ على أبيات ثلاثة منها.

2. الشيخ سيدي عبد الرحمن (1181هـ)[2] بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني: كان عالما في

---

1. ينظر: مخطوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله .خزانة تمنطيط.).

2. ينظر ترجمته في: الدرة الفاخرة. ص06. وكتاب الرحلة العلية ج1. ص36. وكتاب قطف الزهرات. ص81).

أصول الفقه والتفسير أخذ عن الشيخ سيدي محمد وعن الشيخ سيدي محمد بن احميد. سافر لفاس وأخذ عن سيدي عبد القادر بن شقرون. توفي في شهر جمادي الثانية سنة 1233هـ من آثاره رحلته المشهورة إلى الجزائر العاصمة سنة(1231هـ).

3. الشيخ سيدي عبد الرحمن (1189هـ)[1] بن عمر التنلاني: هو سيدي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد... ويصل نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان

---

1. ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمن بن عمر. ص01 وما بعدها، ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات. ص19 وما بعدها. ومخطوط الدرة الفاخرة ص03. وومخطوط جوهرة المعاني. ص23. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص86 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ص35 وص52 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص102 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات. ص83 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص82. وما بعدها).

(رضي الله عنه) ولد في مسقط رأسه بتنلان وتنقل بين عواصم تاريخية كبرى وأخذ بها عن شيوخ أجلاء ترجم لهم في مخطوط خاص منهم: الشيخ عمر بن عبد القادر، والشيخ محمد بن أُبّ المُزّمّري، وفي فاس أخذ عن الشيخ محمد العربي والشيخ سيدي أحمد السقاط وغيرهم .توفي بمصر أثناء عودته من الحج وكان ذلك تحديدا في اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة(1189هـ) ودفن بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي بمنطقة قايَتْبَايْ ضواحي القاهرة. من آثاره: مخطوط مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المبين. مخطوط تراجم شيوخه. مخطوط مختصر النوادر في الفقه .مخطوطات ثلاثة أرّخ فيها لرحلاته إلى الحج، أوفي طلب العلم. بالإضافة إلى تقيدات فقهية مختلفة وقصائد شعرية عدة.

(ينظر: مخطوط تراجم شيوخه. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص29 وما بعدها، ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص03. ومخطوط جوهرة المعاني. ص23 وما بعدها. ومخطوطات رحلاته الثلاثة. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 87 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ج02. ص220 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمن بن عمر التنلاني. وكتاب قطف الزهرات. ص99 ومابعدها).

4. الشيخ سيدي عمر(1152هـ) بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي: ولد عام(1098هـ) ودرس بفاس وأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي، ومحمد بن ذكري الفاسي. كان عالما فقيها ونحويا. تولى التدريس بجامع القرويين بفاس وانتقل منها عائدا إلى أرض توات سنة(1129هـ). وتولى قضاء الجماعة بتوات. أخذ عنه بتوات

الشـيخ الجنتـوري، وأبوزيـد التنلانـي وغيـرهم. تـوفي عشـية الأربعاء الثالث من ربيع الأول سنة(1152هـ).

* الـخـصـائـص الفنـيــة:

1. البساطة والسهولة:

تميزت الكتابات النثرية عند أدباء توات عموما على مستوى اللغـة و الأسـلوب بالاعتمـاد علـى الألفـاظ الجزلـة الفصـيحة، الموحية للمعاني المطلوبة تبعا للغرض، فكان القاموس الشعري عنـد الشـعراء فـي معظـم ألفاظـه وعباراتـه يحمـل روحـا إسلامية متأصـلة فـي النفـوس، كمـا كـان لهـذا القـاموس نفسـه الـدور الأساسي في الإلماح إلى الحالة التي يسعى الأديب لجذب الانتبـاه إليها، والتأثر بها وبالتالي الالتحام معها والتعاطف مع المضمون الأدبـي الـذي يرتكـز عليـه الـنص فـي بنيتـه وتركيبـه ودلالاتـه المعنوية[1].

أما من حيث الأسـاليب فإننـا لا نجد غلبـة أسـلوب بعينـه علـى آخر. بل نجد التنويع والتزاوج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي بمـــــــــــا يخـــــــــــدم

---

1. ينظـر: الأدب فـي المدينـة المنـورة فـي القـرنين الثـاني عشـر الهجـري، الثـامن عشـر الميلادي. أعلامه موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية. د عاصم حمدان علي الغامدي. مجلة كلية دار العلوم. مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دارالعلوم. جامعة القـاهرة. ص17 ومابعدها. العدد22، شعبان1414هـ، ديسمبر1997م .

الموضوع، إضافة إلى الاستعانة بعنصر البيان أحيانا لتقوية المعاني وإيضاح الصور.

2. التقيد بالبداية التقليدية:

وهي بداية يحرص أصحابها على افتتاح كتبهم وآثارهم بحمد الله و الصلاة والسلام على نبيه الكريم. كما يزيدون على ذلك في فن الرسائل خصوصا عبارة (من فلان إلى فلان) كما نجده في الرحلات أيضا يفتتح الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (1189هـ): رحلته[1] إلى الحج بمقدمة حمدية جاء فيها:

"الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيته المحرم العتيق،وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيق، أحمده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنا من التوفيق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، شهادة تنجينا بها من عذاب الحريق ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى خير فريق اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين أفضلهم أبو بكر الصديق وبعد".

---

1. ينظر نص الرحلة.

3. الاعتماد على البديع:

وهـي خاصـية متجـذرة فـي أدبنـا العربـي "فقـد كـان الكتـاب السابقون يميلون إلى المحسنات البديعية، ولكن في غير إسراف فلما جاء كتاب القرن الرابع قصدوا إليها قصدا"[(1)] ولعل من أهم وأبرز أشكال البديع حضورا عند التواتيين نجد فن السجع الذي يعد "من مميزات البلاغة الفطرية"[(2)]. ولم يكن استعمالهم عموما لهذا الفن إغراقا ولا تعقيدا للكلام، بل جاء يعكس"مكنة الكاتب اللغوية وفراهيته في عملية التوليد للمعاني وفي استحضار شوارد الألفاظ والترادف والتطابق وخلقـها على نـسق واحد ووزن واحد"[(3)].

ومن أمثلة استعمال السجع ما نجده في رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر(1189هـ) حيث يقول: " الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيته المحرم العتيق،وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيق، أحمده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنا من التوفيق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، شهادة تنجينا بها من عـــــــذاب الحريـــــــــــق، ونشـــــــــــهد

1. النشر الفني في القرن الرابع. ج01. ص127. زكي مبارك .المكتبة العصرية صيدا بيروت
2. النشر الفني في القرن الرابع ص 75 وما بعدها.
3. البشير الإبراهيمي أديبا. محمد عباس .ص 312. .د م ج وهران الجزائر .

أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى خير فريق. اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين أفضلهم أبو بكر الصديق وبعد: فلما منَّ الله علي بالتوجه لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام".

4. الاعتماد على الشعر في إيضاح وتقوية المعنى:

ونجد ذلك خصوصا في فن الرسائل وفي ذلك نجد الأديب أحيانا يكتفي بالبيت والبيتين من باب الاستشهاد والتمثيل، كما نجده أحيانا أخرى يتعدى ذلك إلى نظم قصائد بعينها لتكون رسالة داخل رسالة (وهذا النمط جميل ويدل فوق جماله على معرفة الكاتب بأسرار الشعر البليغ)[1].

5. الاستشهاد:

لقد أكثر شعراء الإقليم من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهو ما يعكس ثقافة الشاعر التواتي وروحه الإسلامية، إذ لا يكاد يخلو نص شعرا كان أم نثرا من آية قرآنية أوحديث نبوي لما لهما من أثر في التدليل على المعنى المقصود. ولم يكتف الشاعر التواتي في استشهاده بما جاء في كتاب الله

---

1. النثر الفني في القرن الرابع. ج01. ص129.

وسنة نبيه عليه السلام-وإن كان هو العنصر الغالب -بل تعداه إلى الاستشهاد بالحديث القدسي أحيانا، وبالشعر العربي أحيانا أخرى.

6. الاقتباس:

لعل من أهم الأشياء التي ميزت أدباء الإقليم في كتابتهم المختلفة هو حسن استفادتهم من الآيات القرآنية، وقدرتهم البارعة في استيعاب أهم المبادئ الإسلامية وتقديمها في قالب مشوق. ومن أمثلة ذلك ما نجده في رحلة[1] الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب(ق12هـ) التي افتتحها بقوله:

"الحمد لله الذي أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض، فأخرج به ثمرا مختلفا العرض، والصلاة والسلام (على سيدنا) محمد الذي سافر إلى قاب قوسين فرجع.... وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته".

وفي هذا النص أيضا اقتباس من قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ أَنْزَلَ منَ السّمَاء مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابيعَ فيْ الارْض ثُمّ يُخْرجُ به زَرْعاً مُخْتَلفٌ أَلْوَانُهُ}[2].

ولقد شكل القرآن الكريم عموما المصدر الأساسي للاقتباس عند أدباء الإقليم وهو ما يعكس ثقافة الإقليم الدينية التي كان فيها -ولا يزال-القرآن الكريم في حفظه وفهم معانيه الرافد الأساسي والمحطة الأولى لأي مسيرة علمية.

---

1. ينظر نص الرحلة.

2. سورة الزمر. الآية 21

الخـاتمة:

وفـي ختـام هذا البحث نقـول إن بدايـة الحركـة الأدبيـة عامـة بأقـاليم تـوات ليست محـددة إلـى الآن-علـى الأقـل-بزمـان أومكـان معلومين، إذ أنـه ورغم الـدخول المبكـر للعنصر العربـي للمنطقـة كمـا تشـير الروايـات ابتـداء مـن القـرن الخـامس الـهجـري، إلاّ أن أقدم وثيقة أدبية بين أيدينا تعود إلى القرن السابع الهجري ممـا يفتح باب التساؤل طويلا أمام البداية الحقيقية لهذه الحركة وأهم أعلامهـا. كمـا أن القـرآن الكـريم بفصـاحته الراقيـة وتعاليمـه السـمحة قـد شـكل معينـا عـذبا، ومـوردا أساسـيا لكـل أدبـاء الإقليم،نسـجوا علـى معانيـه واسـتلهموا مـن قاموسـه ألفاظـا وعبـارات ذات أبعـاد روحيـة وإسـلامية، وهـو مـا سـاعدهم علـى تطوير معجمهم الأدبي وإثراء تجربتهم الإبداعية.

ومن الناحية الفنية فـإن مـن أهم وأبـرز السمات التـي طبعت النص الأدبي التواتي هي بساطة المعاني، والصور المفرغة فـي قوالب لغوية جزلـة، وعبارات موجزة وواضـحة، وهـو مـا عكس لهجة خطابية ونبرة موحية ورنـة فاعلة على معظم إنتاج هؤلاء. يضـاف إلـى كل هذا خاصية التـأريخ للنص الأدبـي غالبـا وذلـك بوسمه أولا بعنوان محدد، ثم التعريف بمؤلفه وكذا زمان ومكـان تأليفـه. ويكـون

هذا في مقدمة النص أحيانا، كما يكون في خاتمته أحيانا أخرى. وقبل كل هذا وبعده كانت سمة الصدق الفني علامة مميزة على جبين معظم إنتاج هذه المرحلة.

وفي الأخير ورغم أنه لم يتهيأ بعد لأدب الرحلة بالإقليم خاصة والجزائر عامة من الظروف ما يمكن أن يسهم في ظهوره ووصول الباحثين إليه قصد إبراز تجليات خصائصه وموازنته بغيره. إلاّ أنه أمكن القول إن حركة الرحلة الأدبية بالإقليم قد شغلت حيزا مقبولا من نتاج التواتيين، وتُرجمت عمليا في أكثر من مظهر وأثر أدبي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية الإمام ورش(ض)

• المخطوطة:

1. تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني: العالم عبد الرحمن بن عمر التنلاني. خزانة قصر تنلان. ولاية أدرار.
2. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي (المنيعة).
3. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني: محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
4. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
5. الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم. خزانة قصر تمنطيط أدرار.
6. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.

7. **رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري. خزانة قصر تمنطيط أدرار.**
8. **رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة (1231هـ)النسخة (ا) خزانة قصر باعبد الله أدرار.**
9. **رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة(1231هـ) النسخة(ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار.**
10. **رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة (1231هـ) النسخة(ج) خزانة قصر كوسام أدرار.**
11. **رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر إلى الحج سنة (1188هـ). خزانة قصر باعبد الله أدرار.**
12. **رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي في طلب العلم .خزانة قصر باعبد الله أدرار.**
13. **رحلة الشيخ سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي لطلب العلم سنة(1117هـ) .خزانة قصر باعبد الله أدرار.**

- المطبوعة

1. البشير الإبراهيمي أديبا. محمد عباس .د.م.ج. وهران الجزائر.
2. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، 17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد. ط1، 2003. الجزائر.
3. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، أبو القاسم سعد الله، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م الجزائر.
4. تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله. ط1،1998م دار الغرب الإسلامي.بيروت لبنان
5. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1 و2. الشيخ محمد باي بلعالم. ط1.2005 دار هومة الجزائر
6. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .ج1و2. الشيخ مولاي التهامي .ط1. مارس 2005. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية .الجزائر .
7. صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت لبنان 1390هـ، 1970م

8. صحيح البخاري، شركة الشهاب الجزائر 1990م.
9. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني. الشيخ محمد باي بلعالم. ط1. 2005 الجزائر.
10. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.
11. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري. ط1. 2005. دار الهدى الجزائر.
12. النثر الفني في القرن الرابع. زكي مبارك. المكتبة العصرية صيدا بيروت.

- المجلات:

1. مجلة كلية دار العلوم. مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. العدد 22، شعبان 1414هـ، ديسمبر 1997م. موضوع (الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري -الثامن عشر الميلادي. أعلامه موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية .ص 255 وما بعدها) دعاصم حمدان علي الغامدي .

البحـــث السادس عشر

مُحمد بن أبّ المزمري الجزائري(ت1160 هـ)

ـ حياته وجهوده اللغوية ـ[1]

---

1. البحث منشور للكاتب في مجلة جامعة غرب كردفان للعلوم والإنسانيات. العدد الخامس السنة 4 يناير2011.

ملخص البحث:

تشتهر الأقاليم التواتية جنوب الجزائر بكثرة علمائها الأفذاذ الذين أثروا الحركة العلمية بعشرات المؤلفات المخطوطة وفي شتى العلوم والمعارف. ويعتبر الشيخ محمد بن أب المزمري (1160هـ) واحدا من أبرز هؤلاء الأعلام قاطبة في القرن الثاني عشر الهجري بما أثر عنه من مصنفات لغوية وفقهية من جهة، وبتربعه على عرش الإفتاء والتدريس لفترة طويلة من الزمن لجهة أخرى .وفي هذا الصدد يأتي هذا البحث ليميط اللثام عن حياة الرجل وكذا أهم مصنفاته وآثاره المادية.

نص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

تعتبر منطقة توات التاريخية (ولاية أدرار حديثاً) بأقاليمها الثلاث (توات وقورارة وتيديكلت)[1] منطقة عبور وتواصل بين مختلف الشعوب القاطنة خصوصاً في شمال إفريقيا وجنوبها، وبذلك شكلت المنطقة -ومنذ أزمنة غابرة-خيط تواصل وعطاء بين هذه الشعوب جميعاً، ومن ثم انعكس الأمر إيجاب على واقع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرى

1. تقع منطقة تيديكلت جنوب مقر الولاية حالياً وهي من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما قورارة فهي إلى الشمال من قصر تبلكوزه شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما توات فهي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ص02، المطبعة الملكية الرباط،1381 هـ، 1962م، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار(د،ت). ينظر الشكل ص 398 في الملحق.

كتمبكتو وكانو وشنقيط[1] وغير ذلك.

ومع مرور الأيام ازداد التواصل، والتوسع، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري، ومن ثم انكبت النفوس على الطروس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر من المؤلفين والمؤلفات وفي شتى المعارف والعلوم من فقه وحديث وتفسير ونحو وصرف وعروض وبلاغة وطب وفلك وتاريخ، واستودع كل ذلك في زوايا ودور خاصة منتشرة في كل القطر التواتي انتشار أصحابها ومورديها.

كل هذا ما كان ليوجد أو ينتج لولا وقوف جملة من نخبة الفكر ورجال الإصلاح في المنطقة ومنذ قرون بعيدة، رجال حملوا لواء الفكر والأدب وراحوا يتصفحون لنا ذاكرتهم ومعارفهم ليعصروا لنا تجاربهم، رجال ظلوا ولسنوات طويلة تحت وطأة الإهمال والنسيان على الرغم من غزارة إنتاجهم وأهميته لما يحمله من بوادر الاجتهاد والتجديد كما هو الشأن مع العالم اللغوي محمد بن أُبّ المزّمري (ت. 1160 هـ) الذي أبدع في جملة من العلوم اللغوية، وخلف لنا ما يزيد عن خمسة وعشرين مؤلفاً بين نظم وشرح، وقد ضاع منها ما ضاع ووصل إلينا الكثير والحمد لله من هذه المخطوطات، وذلك كله بفضل حرص ووعي أمناء وعلماء المنطقة وفي مقدمتهم أرباب الزوايا وشيوخ المدارس القرآنية والكتاتيب الخاصة.

---

1. شنقيط مدينة تاريخية بموريتانيا، وكانو من المدن الكبرى في نيجريا، أما تمبكتو فهي من أكثر العواصم التاريخية اتصالاً بمنطقة توات، تأسست حوالي **1100**هـ وهي عاصمة جمهورية مالي الثقافية (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية: عبد العزيز بن عبد الله. المغرب **1976**. ص**71**).

وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على بعض الاجتهادات اللغوية التي خلفها العالم الجليل محمد بن أُبّ المزّمري (ت.1160هـ) من خلال مخطوطاته النحوية والصرفية والعروضية، والتي هي الآن في صراع نحو رحلة البقاء وما أصعبها. جاءت فكرة حديثنا وبحثنا في الموضوع على أمل أن يجد الدارسون والمهتمون بعد ذلك ما من شأنه أن يشكل خيط التواصل البحثي والمعرفي المتخصص في الموضوع. فمن هو محمد ابن أب المزمري، وكيف كانت دراسته وحياته العلمية،وما هي أهم المحطات العلمية التي توقف عندها الرجل، وأخيرا ما هي أهم انتاجاته العلمية وجهوده اللغوية.

*** التعريف بمحمد بن أب المزمري الجزائري[1]:**

هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ بن أحمد، وفي رواية بن احميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المُزّمّري نسباً، التواتي مولداً وداراً. ولد كما أكد ابنه ضيف الله في رحلته،لست سنين بقيت من القرن العاشر أي سنة (1094هـ) بقرية أولاد الحاج (ضواحي مدينة أولف التابعة حالياً لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار) وبها تلقى مبادئ علومه الأولى. توفي أبوه(أبّ)عنه في يوم الأربعاء الثامن والعشرين(28) من عام خمسة وعشرين ومائة وألف (1125هـ).

أما عن نسب ابن أُبّ فيقول سيدي محمد بن عبد الكريم البكري(ت.ق14 هـ)"السيد مُحمد بن أُبّ بضم الهمزة هكذا

---

1. وردت ترجمته في المؤلفات التالية: بعض مؤلفاته المتواجدة في خزانات المنطقة. تراجم شيوخ عبد الرحمن بن باعومر، ص40 وما بعدها. عبد الرحمن بن باعومر. محاضرة الشيخ باي بلعالم، حول التعريف بحياة العالم محمد بن أُبّ، ص02 وما بعدها. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات ص20 وما بعدها الشيخ الحاج محمد بكراوي (المنيعة) مخطوط جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، ص14. محمد بن عبد الكريم البكري. مخطوط رحلة سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري .ص11 وما بعدها. مخطوط العي المضروم شرح نظم ابن أُبّ لآجروم.ص01. محمد بن بادي الكنتاوي. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص158. مولاي أحمد الإدريسي. كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة بن آجروم. مولاي أحمد الإدريسي. ط1 .ص16 و17 غرداية. كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص111. سيدي عمر عبد العزيز. كتاب إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م، ص99 وما بعدها. فرج محمود فرج. كتاب الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، ص 03 وما بعدها. الشيخ محمد باي بلعالم. مطبعة باتنه. كتاب مجموع المكنون في ثلاثة فنون، ص03 و04. أبو القاسم بن عبد الرحمن عبد الجليل البادرياني.

ضبطه الزمّوري نسبة إلى زمورة[1] من أرض البرابر، المخزومي القرشي"[2].

دراسته وشيوخه:

نشأ مُحمد بن أُبّ المَزّمِّري (ت.1160 هـ) في مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق12 هـ) وبعدها انتقل إلى قصر زاوية كنته، واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت.1157هـ)، ومكث بالزاوية طويلاً[3] دارساً ومدرساً حتى انتقل منها لعلة

1. أخبرني الشيخ الحاج أمحمد الكنتي أن زمورة هذه التي ينتسب إليها الشيخ مُحمد بن أُبّ هي قرية بالمغرب الأقصى وهي المعروفة بسوس الأقصى، التابعة لعمالة تردانت. والحاج أمحمد الكنتي هو شيخ المدرسة الدينية بزاوية كنته ولد سنة (1946م)، حفظ القرآن وهو صغير ثم أكمل دراسته بأرض المغرب الأقصى وهو يتولى حالياً التدريس، والإشراف على الزاوية الكنتيه جنوب الولاية أدرار..
2. جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، ص14. محمد بن عبد الكريم البكري..
3. ينظر: مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص158، مولاي أحمد الطاهري.

في مائها[1] متوجهاً إلى مدينة تمنطيط التي درس بها طويلاً، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون شمال ولاية أدرار وبها تُوفي.

ومن جملة مشايخه وأساتذته أيضاً، يذكر الشيخ عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (ت.1189 هـ) أحد تلامذته المقربين أنه " أخذ ببلده الفقه عن السيد محمد الصالح بن المقداد، وعن الفقيه شيخنا سيدي عمر الرقادي. أما النحو والعروض فأخبرني أنه لم يأخذهما عن شيخ يعتمد عليه فيهما وإنما فتح الله عليه فيهما على يد صالح. أما النحو فعلى يد العلامة الولي الصالح سيدي أحمد التوجي[2] وأما الخزرجية[3] فعلى يد

1. وهي رواية طويلة تتناقلها العامة إلى الآن عن هذه الزاوية، وعلة مائها. ولذلك روى لنا الشيخ الحاج امحمد الكنتي أحد علماء الزاوية أن العالم محمد بن أُبّ المزّمري لما أراد الخروج من هذا القصر قال قولته الشهيرة (أنتم مسلمون ومائكم كافر) لأنهم لم يكونوا يستطيعون الوضوء بهذا الماء. وقال الشيخ مولاي احمد الطاهري في وصف منطقة توات: "ويغلب على أهلها التيمم لأن الماء في بعض القصور منها مضر جداً ومجرباً". مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص34.
2. من أولياء المنطقة، عاش في القرن الثاني عشر وهو مدفون بين قصري تسفاوت وعباني جنوب أدرار.
3. نسبة لضياء الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي (ت.626 هـ) وهي في علم العروض. المجمع الكامل للمتون ص433.

الشيـخ عبد الكريم[1] المغيلي"[2].

أما عن صفاته وأخلاقه في التعليم فيقول عنـه تلميذه سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (ت.1189 هـ):" كان متقناً، مجيداً،

---

1. هو محمد بن عبد الكريم المغيلي ولد بتلمسان وتعلم في الجزائر وبجاية ثم انتقل إلى توات سنة 882 هـ وحارب بها اليهود ومنها انتقل إلى إفريقيا ثم عاد إلى أرض توات وبها توفي سنة 909 هـ، 1503، وزاويته مشهورة بالمنطقة، من مؤلفاته: البدر المنير في علوم التفسير، مقدمة في العربية، ينظر:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم (ص 253 ومابعدها.د.م.ج) وكتاب معجم مشاهير المغاربة. جامعة الجزائر. 1995 م.
2. جاء في مخطوط تراجم الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر، ص41، ومخطوط جوهرة المعاني لسيدي عبد الكريم بن البكري، ص14 ما نصه. أن الشيخ محمد بن أُبّ المزّمّري مر في طريقه إلى سجلماسة بقرية تسفاوت، ولقي في طريقه الولي الصالح سيدي أحمد التوجي فطلب الشيخ بن أُبّ من هذا الولي أن يقرأ له أبياتاً من الألفية فأجابه الولي الصالح إلى ذلك، نهض قائماً ينظر يميناً وشمالاً فتعلق الشيخ بن أُبّ بطرفه وألح عليه في تكميل مراده، فقال له الولي الصالح اشتر مني النحو، فناوله العالم بن أُبّ درهمين، ثم ذهب وتركه. فرحل الشيخ بن أُبّ من هناك لسجلماسة وحضر مجلس العلامة أبي إسحاق سيدي إبراهيم في الألفية أياماً فلم يُفتح له فيها، فرجع لبلده واشتغل بمطالعة شروحها والتدبر فيها ففُتح له فيها وفي غيرها من كتب النحو. وهذه القصة نفسها تكررت له مع الخزرجية في علم العروض التي قصد فيها قبر الولي الصالح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وصرف همته لها واشتغل بمطالعة شروحها، فلم تمض إلا أيام حتى فتح له فيها ببركة ذلك الشيخ.

فطناً، عارفاً يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلاّ أنه كان قليل الإقراء، ضجوراً على الطلبة، وكان رحمه الله ورعاً في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلاّ وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه"[1].

-رحلاته وتنقلاته:

عُرف مُحمد بن أُبّ المَزّمِّري(ت.1160هـ) بكثرة رحلاته وتنقلاته[2] وهذا منذ أيامه الأولى، ذلك أنه ولد في قرية أولاد الحاج ومنها انتقل إلى قصر زاوية كنته جنوب الولاية أدرار، ثم إلى مدينة تمنطيط، ومنها إلى زاوية تنلان ضواحي المدينة أدرار، ليستقر به المقام أخيراً بمدينة تيميمون. أما خارج الوطن فقد تنقل الشيخ بين سجلماسة وفاس بالمغرب وبين مالي وتمبكتو وأروان بأرض السودان الإفريقي. وفي أثناء تنقله بأرض المغرب زار مدينة سجلماسة وحضر مجلس عالمها آنذاك الأستاذ أبي إسحاق سيدي إبراهيم، ومن هناك عاد إلى أرض توات، ومنها إلى مدينة تيميمون التي قضى بها بقية حياته إلى أن وافته المنية.

---

1. تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر. ص 40،41.
2. وهذا ما أخبر عنه في كثير من مؤلفاته.

تلاميذه:

على الرغم من كثرة نشاط بن أُبّ العلمي وتعدد رحلاته داخل وخارج الوطن، إلاّ أن هناك قلة من تلاميذه الذين كتبوا عنه، أوترجموا له ضمن سلسلة أشياخهم، ولم تسجل لنا كتب التراجم سوى تلميذين بارزين، جاء ذكرهما في كل الأسانيد التي تحدثت عن تلاميذ مُحمد بن أُبّ المّزّمِّري. أما الأول فهو ابنه ضيف الله وقد أُثِر عنهما مناظرات نحوية عدة، جاءت في شكل أبيات شعرية تضمنتها بعض حواشي مخطوطات المنطقة[1]. وأما تلميذه الثاني فهو الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني(ت.1189هـ) وقد سجل ذلك بنفسه ضمن سلسلة أشياخه حيث قال:" لقيته في صغري وأنا في المكتب بزاوية عم[2] والدي بتنلان، مر بها متوجهاً لبلاد تجرارين[3]،

---

1. الأبيات موجودة في حواشي بعض المخطوطات الموجودة في خزانة باعبد الله أدرار ..
2. المقصود هو سيدي الحاج أحمد بن يوسف التنلاني مؤسس زاوية تنلان وذلك في حدود عام919هـ،1513 م، كان مشهوراً بعلمه وقد كتب تاريخاً مطولاً عن أصل أهل توات لكنه فُقد، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بن عبدالله، ص112.
3. وتسمى أيضاً قورارة بالبربرية وهي منطقة واسعة تقع شمال إقليم توات، وعاصمة إقليم قورارة هي مدينة تيميمون، ومجموع قصور هذه الواحة هو 86 قصراً، (توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي 1850 إلى 1902م، ص18، د: أحمد الغماري، ط1، 1408هـ، 1988م فاس المغرب).

فحضرت إقرائه للمرشد المعين، فأعجبني تدريسه، فواعدته إن رجع لبلاده أن أرحل إليه للأخذ عنه، فلم يقدّر لي ذلك. ثم لقيته مراراً بعد ذلك، واستفدت منه فوائد في النحو واللغة وغيرهما...، وحضرت دروسه فيها"[1].

-مؤلفاته:

عاش مُحمد بن أُبّ المّزّمّري في عصر مليء بالأحداث داخلياً وخارجياً، فعلى المستوى الخارجي كانت جل الأقطار العربية تحت السيطرة العثمانية، وهو ما كان سبباً مباشراً في خضوع هذه الأقطار إلى المعايير والتيارات الثقافية التي انجرت عن هذا الحكم. وفي الجهة المقابلة للإقليم وتحديداً في الشق الجنوبي بعواصمه الثقافية الكبرى كتمبكتو وشنقيط وأروان، كانت اللغة السائدة آنذاك هي لغة المال والتجارة، وهو ما عبر عنه بن أُبّ في قصيدته التي قالها في أرض أروان بأرض مالي، والتي عكس لنا فيها حال العلم والعلماء في هذه المنطقة خلال هذه الفترة، حيث قال:[2]

1. تراجم شيوخ الشيخ عبد الرحمن بن باعومر التنلاني، ص40.
2. رحلة سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري. ص14.خزانة تمنطيط.

وَقـائـــلــةٍ لـــي يـــا بـن أُبّ مٌـحــمـــد
أرى الـنـاس طُرّاً هاهنا فيك زُهَّدا
فـــلامُـــذهباً من أنسه لك وحــــشــــة
ولاسـامــعاً من ذا يقول من الهدى
وبعـــضُ يكـاد إن ذهبت لتبتـــغـــي
مصافحـــةً أن لا يمُدّ لك اليــــدا
فـــوالله لا أدري أذلـــك مـــنـــهـــم
تجاهـــل أو جهل بقدرك قد بـــدا
فقلـــت جَهِلتِ الأمر لو جئت تاجـــراً
أســـوقُ حمـــالة وأبرِز عسجــــدا
لكنــتُ لدى أبناء جنسي وغيرهـــم
حبيبـــاً إليهم بـــلِ أميراً وسيّـــدا
يسيـــرون نحوي بكرةً وعـــشيـــةً
ســـراعاً إلى مثواي مثنى وموحدا
فمـــن قائـــل مهما بدت لك حاجـــة
فـــقـــل يافلان آتي عبداً معبـــدا
ومـــن قائل من شئت فاخطب فإنـــنا
جعلنا لك التفويض فاحلل واعقدا

ومــــن قائـــل أوصى أبي عند موتـــه
بحجـرك لي حتى أكون مرشـدا
ومن قائل حاكيت في الفقه مالكاً
ومثلـــي غبي جاهل غير مقتـدى

وبين مناطق الشمال حيث النفوذ العثماني في أوجه، وبين مناطق الجنوب حيث التجارة والمال هما عصب الحياة ومحركها الأساسي، ظلت منطقة توات بعيدةً عن تيارات الشمال ونزوات الجنوب. أهلها لكل ذلك ما ذكرناه سابقاً من قلة رزقها، وضعف أهلها، وهو ما كان رافداً أساسياً في حياة الزهاد والعلماء الذين وجدوا في جو المنطقة ضالتهم، وراحوا يعبرون عن ذلك بكثرة حلقاتهم، ومناظراتهم مع بعضهم البعض من جهة وبكثرة مؤلفاتهم ومخطوطاتهم من جهة أخرى، حتى عُدّ هذا القرن من أزهى العصور وأرقاها في تاريخ المنطقة، ولا أدلّ على ذلك أكثر من وجود كوكبة من العلماء الذين تفاعلوا مع العصر، وسجلوا لنا اجتهاداتهم المختلفة، وفي مقدمتهم العالم مُحمد بن أُبّ المّزّمِّري (ت.1160 هـ) الذي ترك لنا تراثاً لغوياً في مختلف التخصصات، وهـــــذا بعـــــض[1]

---

1. ما نذكره هنا هو ما وقفنا عليه شخصياً في بعض خزانات الإقليم أو وجدنا حديثاً عنه في كتب الرواة ويبقى البعض من مخطوطاته بعيداً عن أعين الدارسين.

منه مرتب بحسب سنة التأليف.

1. قصيدة[1] في فك البحور ألفها سنة 1116 هـ.

بدأها بقوله:

بـــدأت بحمد الله رب مصلـــــياً
علـى الهادي أحمد الرضا علم الهدى
وأصحابـــه والأكـــرميــــن وآله
وبعــــد فخذ فك البحور على الـــولا

وختمها بقوله:

فعول بتثمين حوى متــــقـــارب
وقــــل خبب لن والنظام قد انتهـــــى
بحمد إله العرش في عام ويقــش
ولا حـــول إلاّ بــــاللـــه ولا قـــــوى

1. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله بأدرار ولها نسخ أخرى في بعض الخزائن كأولف وكوسام والمطارفة وغيرها.

2. نظم[1] مقدمة ابن آجروم ألفها سنة1120 هـ[2].

بـدأها بقولـه:

قال ابن أُبِّ واسـمه محـــمـد * الله في كـــل الأمـور أحمـد

وختمها بقوله:

قد تم ما أتيح لي أن أنشئـــه * في عام عشرين وألف ومئـه

3. أرجـوزة[3] في علـم العـروض ألفها سنة 1126 هـ وسماها روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل.

بـدأها بقولـه:

---

1. المقدمة الأجرومية وضعها أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت.723هـ)، وقد قام بنظمها الشيخ شرف الدين يحي العمريطي (ت. 989هـ)، والمجموع الكامل للمتون، ص166، دار الفكر بيروت، ط1، 1418هـ، 1997 م، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، والسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل، ص238، ج1، ط2، 1399هـ،1979م، دار الفكر بيروت.
2. المنظومة موجودة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف، وقد قام كل من الشيخ مولاي أحمد الإدريسي، والشيخ محمد بن بادي بشرحها، والكتاب الأول مطبوع، كما قام أبو القاسم بن عبد الرحمن البادرياني بإعادة طبعها مؤخراً في كتابه مجموع المكنون في ثلاثة فنون.
3. الأرجوزة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار.

قـال عبيد ربـــه محتـــســـبا * محمـــد المـزّمّـــري نسبـــا
الحـــمـــد لله قـد مــــهـــدا * لنا عروض دينه و أرشـــدا
ثم على البحر السريع الفيض * للمبتغي جدواه دون غيـض

وختمها بقوله:

وهاهنا قد انتـــهى مـــرامــــي * والحمـــد لله علـى التــــمـــام
سنـة ست مع عشريــــن الــتـــي * بعــــيد ألـف ســـنــة ومـائـــة
ثـم صلاة الواحـــد الـــعــــلـــي * مـع السلام الطيـب الزكــــي
على الرسول الهاشمي المرتـضـى * وآله والصحب ما صبح أضـــا

4. نظم[1] باب السهو من مختصر الأخضري[2] في العبادات

---

1. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار، وقد طبعتها أخيراً مكتبة المعارف بتيميمون. كما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن باعومر التنلاني بشرحها وهو كتاب مطبوع أيضاً يحمل عنوان، والمورد العنبري لمعاني العبقري.
2. هو عبد الرحمن الأخضري، عاش في القرن العاشر الهجري، له عدة مؤلفات منها: منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، والمختصر في العبادات على مذهب الإمام مالك، نشر له في الجزائر سنة1324هـ وهوالذي نظم منه مُحمد بن أُبّ باب السهو في الصلاة. (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، وعادل نويهض،ص90،ط1، 1981م).

سـنة 1128هـ وسـماه العبقـري وهـو فـي مائـة وتسـعة وخمسين(159) بيتاً.

بـدأها بقولـه:

الحمـد لله الجزيـل النـعـم * مرشد من عن سبل الحـق عـم

ثـم صـلاة الله يتلوها السلام * عـلى رسـول الله سيد الأنـام

وبـعد فاعلـم أنني قـصـدت * إنجـاز ما كنـت بـه وعـدت

من نظم سهوالشيخ الأخضـري * معـتـذرا لكـل لـوذعـي

من فرط جهلي وقصور فهـمي * وخـطـرات لا تـزال تهـمـي

بـرجـز سميـتـه وهـو حـري * بالعبقري في نظم سهو الأخضري

وختمها بقولـه:

بجاه أحمد الوجيه المصطفـى * ذي المجـد والقدر العظيم والـوفـا

صلى وسلم الإلـه ذو الجـلال * علـيـه والأزواج والصـحـب والآل

5. نظم[1] مقدمة الأجرومية ألفه سنة1144هـ وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهي في مائة وأربعين(140) بيتاً. بدأها بقولـه:

---

1. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار، وقد وضع عليها الشيخ باي بلعالم شرحاً سماه الرحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهو كتاب مطبوع.

نحمـدك اللهـم يا من أنعمـــــا * وعلـم الإنسـان ما لم يعلمـــا

وبــــك أسـألـك أن تصلـــيا * علـى النبـي بالبهــاء حلـــيا

سيدنـا محمـد خيـر البـشــر * وآلـه مـــا لاح فجـر وانتشـــــر

وبعـد أيهـا الحبيـــب الصافي * المتلقي الحـــــق بالإنصــــاف

فـذا كتـاب نزهـة الحلـــــوم * في نظـم منثور ابـــن آجـــــروم

وربنـا المسؤول في نيل الأمـــل * وفي قبول القول منا والعـــمـــل

وختمها بقولـه:

وقدأتتك في حـلاها النزهه * حـائـزة مـن الجمـال كنـــهـــه

سنـــة أربـع وأربعـــيـــن * للخمس والست مـن المئينـــا

فـي مائـة وأربعيـن بيـــتـــا * فنعـم حـرا أنـت إن أغضيتـــا

فـأحمــد الله منيــل الأرب * مصليـا علـى الرسـول العربـــي

وآلـه ذوي الـــنــوال الجــم * وصحـــبـه الـــغـر بـدور التـم

6. نظم[1] آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم وإلى هذا فقد أُثِر عنه مؤلفات أخرى عديدة، لكنه لم يقيدها بتاريخ محدد حتى يتسنى لنا معرفة تاريخ النظم أو التأليف نذكر منها:

لك الحمد يا الله يا من تفضلا
ومنّ علينا بالبيان وأجملا

---

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار، وقد وضع عليه الشيخ باي شرحاً سماه عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم وهو كتاب تحت الطبع.

وأهدي صلاة مع كريم تحيـــة
إلى من أتى بالحق للخلق مرســلا
محــمــد الهـادي الأمـــيــن وآلــــه
وأصحابــه والتابعــين علـى الـولا
وبعد فذا نظم يـروق فمــن يـــذق
جناه إلى الكتب الكبـار توصـلا
أتى جامعاً لبّ المقدمة التي حوت
لابــــن آجروم نــــثراً مفـــصـلا
وسميته كشف الغموم لكشفـه
عن المرء غم اللحن ساعة يبتــــلا
فــدونكه فاعرف معانــــيـه ولا
تـزل معملا للفكـر فيـه لتبتـــــلا

7. أرجوزة[1] في علم الكلام:

بـدأها بقولـه:

حمداً لمـن في ملكه توحــــــــد
وحلّ عن تعضيل من قد جحـدا

---

1. الأرجوزة موجودة بخزانة الشيخ باي بلعالم أولف أدرار.

ثم صلاة الواحد الحي الصمد
على الرسول المصطفى بلا أمد

8. أرجـوزة[1] فـي مـدح الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، ضمنـها أشطاراً من الألفية[2] شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً.

بـدأها بقولـه:

صلاة ربي لم تـزل متصلــه * على الـذي استقر أنه الصـلـــه
نبينـا الـذي فـخــاره أتـــــى * في النظم والنثـر الصحيح مثبتا

وختمها بقولـه:

فلا أرى بؤساً ولا أرى ضرر * ولا أرى منعاً إذا القصد ظهـر

9. تحليـة القرطـاس فـي الكـلام علــى مسـألة الخمـاس[3] وموضـوعه الفقـه، رد فيـه علـى سـؤال للشـيخ سـيدي عمـربن سـيدي

---

1. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار..

2. هي أرجوزة شعرية احتوت ما يقارب الألف بيت في علم النحو لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ولد سنة 600 هـ، وتوفي سنة 672 هـ، له أزيد من ثمانية وثلاثين مؤلفاً. ينظر: كتابَي (أفعال الأمر التي تبقى على حرف واحد، والأفعال الواردة بالواو والياء لابن مالك. تحقيق ودراسة د: مختار بوعناني).

3. المخطوط موجود بخزانة المطارفة.

محمد المصطفى الكنتي(ت1157هـ).

قال في مطلعه: (الحمد لله الذي إذا سئل أجاب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الآتي من جوامع الكلم بالأمرالعجاب وعلى آله وصحبه... وبعد فقد ورد علي سؤال من ناحية الفقيه العالم العلامة الوجيه الفاضل الجليل القدرالأصيل سيدي عمر بن سيدي محمد المصطفى الكنتى يطلب الجواب عن مسألة خماميس بلادنا هذه، فاعتذرت له بأن يقر بجهل وإن ما رام لست من رجاله ولا من أهله فلما ألح علي ولم يصرفه اعتذار عن إخبار رأيت إلاّ لوم على من ألقي في بحر وهو لايحسن العوم فأجب سؤاله عائذا بذي العزة والجلال ألاّ يجعلني ممن يحسب أنه على هدى وهو يسري و... في الضلال. نص المراد من السؤال: أجبنا بما أراك الله في مسألة عمت بها البلوى عندنا...).

وقال في ختامه: (فخذها إليك نصيحة... في ألفاظ فصيحة وأنا أسأل من هو لي صديق وولي أن لا ينسني إذا تصفح ما رسمت أن يدعو لي. وكتب عبيد ربه تعالى... المزمري محمد بن أُبّ بن احميد بن عثمان... المزمري نسبا التواتي مولدا ومنشئا وموطنا رزقه الله رضاه آمين).

10. الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية[1]، وهو شرح على الهمزية[2] للإمام البوصيري.

بدأه بقوله:

"الحمد لله الذي منح من مدح نبيه صلى الله عليه وسلم أسباب السعادة ووفق من نطق به إذ كرره وأجاده... وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه محمد بن أُبّ بن احميد بن عثمان المزمري نسباً التواتي مولداً ومنشئاً وموطناً هذه ذخائر كنزية قصدت بنشر طيبها في هذه الأوراق حل ألفاظ الهمزية".

وختمه بقوله:

"هذا آخر ما يسر الله إملاءه على هذه القصيدة من الألفاظ المهذبة المفيدة المقربة لإفهام المبتدئين ما عسى أن يكون عندهم من المعاني البعيدة والله المسؤول أن يجعله لكل من حصله نافعاً وأن يجعل هذا الممدوح الكريم للجميع يوم الحشر شافعاً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1. هو شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري ولد سنة توفي سنة 696 هـ من أهم قصائده. البردة، الهمزية في مدح خير البرية. المجموع الكامل للمتون. ص50.

2. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.الجزائر

وأقول مخاطباً:

كتبت شرحي هذا والزمان له * تصرفات وصولات وعدوان
فإن تجد خطئاً به فلا عجــب * بل الصواب إذاً فيه له شان

11. روضة النسرين في مسائل التمرين[1] الواردة في شافية بن الحاجب (ت.646 هـ)، وهي أرجوزة في التصريف.

بدأها بقوله:

الحمد لله الخبير الملهم * من شاء للتعليم والتعلم
ثم على نبيه أصلى * والآل والأصحاب أهل الفضل
وبعد فاعلم أن هذا نظم * يروق كل من لديه فهم
سميته بروضة النسرين * لجمعه مسائل التمرين

وختمها بقوله:

فاصلحن يا ذا الحِجَا ما من خطا ألفيته ولا تدعه سخطا
وانصح ولا تكن من الحساد فإن ربك لبالمرصاد

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وعندي نسخة منه.

ونوِّرَن قلبـي بـــــــنــــــور العلـــــــم
وارزقنـيَ الفـوز بحسن الختم

12. شـــرح منظومـــة روضـــة النســـرين فـــي مســـائل التمرين[1] السابقة الذكر.

13. شرح[2] على الأبيات العشرة المعكوسة.

بـدأه بعد الحمـد والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله بقولـه: "هـذه كلمـات شـرحت بهـا أبيـاتي العشـرة التـي نظمتهـا فـي مـا لايسـتحيل بالانعكـاس، المسـمى عنـد أهـل البـديع بـالمقلوب، فأوضـحتها إيضـاحاً لـم يبـق معـه إشـكال ولا التبـاس، ليـزداد بهـا كلفاً وإعجاباً كل من يتعاطى الخوض في هذا الأسلوب".

14. قصيدة[3] تضـمنت أبياتـاً عشـرة تُقْـرَأ مـن الجهتـين مـن اليمين إلى اليسار والعكس.

بـدأها بقولـه:

ادْرِ كَــلام كـابـر * ربّـاك مــا لـك رِدَا
ادّبْ وكــفَّ أرسـَنــا * إن ســرّ إفّك وَبــدا

وختمها بقولـه:

ادْفِــن إهـــانـــة أذى * إذا تـــنـــاهـــى نَفَـــدا

15. القصيدة الشعرية التي أنشأ عليها بحره[4] الجديد والذي

---

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وعندي نسخة منه. وهو المخطوط المراد تحقيقه في هذا العمل.

2. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

3. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

4. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وأوراقه متآكلة. والقصيدة على الوزن التالي:

سماه(المضطرب) وهي في تسعة وثمانين(89) بيتاً.

بـدأها بقولـه:

صلّ يـا إلـهـي ثــم ســــلّـــم * دائـــمـاً على خــيـر الأنـــام

ما دعـاك أو لبّاك مـــحـــرمْ * قاصداً إلى البيـت الحـــرام

أحمـد رســول الله أحــمـــد * سيـد الـورى طه الـممجـــد

فضله مبيـن ليـس يجـحـــد * إذ حـوى المعالـي بالتمامــي

فهو في ضروب الفخر أوحد * غير أن فــيـه الـــقـول نـــام

بالنبي لـذ ترحــــم وتســلـم * من جميع ماتخشى وتكرم

وانظم القوافي فيـه واعــلـم * أن مدحـه خـــيـر الـــنظـــام

وختمها بقوله:

صلّ يا إلهي ثم سلّم

دائماً على خير الأنام

، 0 ، ، 0 ، ، 0 ، 0 ، 0 ، ، 0 ، 0

فاعلن فعولن فاعلاتن

، 0 ، ، 0 ، ، 0 ، 0 ، 0 ، ، 0 ، 0

فاعلن فعولن فاعلاتن.

لا إلـــــه إلاالـلـــــه حـــــقـــــــا * اشهد بهـا عقـدا ونطـــقـــــا
كي ينيلنـي الرحمن عتقـــا * من لظى غـدات الازدحــــــام
هل موحـد يرجـوه يشــقـــــــى * لا ولـو تـراءى ذا اجـــتـــرام
ياإلهـــــنـــا حمـدا وشــــكـرا * إذ هـديتنـا سـرا وجـــــهــــرا
لامتداح خيـر الخلـق طــــــرّا * سيـد الورى النـور التهامـــــي
يـــا محــــمـد لازلـت تـــــقـــرا * مـن إلـهــــنـا أزكـى السـلام

16. قصيدة[1] في التوسل إلى الله. بداية أبياتها على حروف قوله تعالى"ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُم"[2] يقول فيها:

الله ربـــــــــــي لا إلـــــه ســــــواه * ما خاب مضْطَر دعـا مـــــولاه
دعوايا مهما برحـت بي كربـة * الله لـي حيـث الكـــروب الله
عودت إلحاحـا بـذلك لـهجتـــــي * فظللت مـا عمـرت لا أنـــســــاه

1. سورة غافر، آية 60، والآية كاملة هي:[وَقَال رَبّكـم ادْعُوني اسْتَجِب لَكُـم إِنّ الـذِين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ] صدق الله العظيم.
2. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

17. قصيدة[1] في مدح مولاي عبد المالك الرقاني (ت.1207هـ)[2] وتعداد أشياخه.

يقول فيها:

الحمد لله مجيب السائل * إذا دعا بأعظم الوسائل
ثم الصلاة والسلام معها * على الذي حوى العلا أجمعها
وآله وصحبه وكل من * نال الهدى بهديهم طول الزمن
وبعد فارفع حاجة للباري * بمن حوت سلسلة الأنور
من جملة الأقطاب والأشراف * والعلما السنية الأوصاف

وختمها بقوله:

صل إله الأرض والسماء * عليه في الصباح والمساء

---

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وجاء في مخطوط نسيم النفحات أن الشيخ محمد بن أُبّ نظم أشياخ الفقيه الرقاني بطلب منه، وفي ذلك دارت بينهما رواية طويلة تعكس في مجملها أهمية ومكانة الرجلين. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص35. مولاي احمد الطاهري.
2. الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، واحد من الأولياء الصالحين بمنطقة توات، عاش في منطقة رقان جنوب الولاية أدرار، وتوفي بها1207 هـ، وهو مدفون بزاويتهم الشهيرة (زاوية الرقاني).

والآل والصحب الكرام مادعا * داع إلهـــي بحبـيبـك اشـفـعـا

18. منظومة[1] في أسماء البحور.

بـدأها بقولـه:

بدا للطويل الطيب الذوق تمثـــيل
فعولـن مفاعيلن فعولن مفاعلـــــن
والمديدالعزب فيه يقول القائــــــل
فاعلاتن فاعلـن فاعلاتن فاعلـــن
وزن البسيط الذي تهواه يافاضل
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
ووافـرها لـه النعمـــات قابـــــلـــة
مفاعلتـــن مفاعلتـــن مفاعلـتـــن

19. منظومـــة فـــي أمثلـــة المتعـــدي والـــلازم مـــن الربـــاعي المجرد[2].

بدأها بقولـه: أمثلــة مــن فَعْـلَلَ المُعـدّى * عشــرة غُـرٌّ تُعد عدّا

20. نظم[3] الأبيات العشرة في فن البديع.

بـدأه بقولـه: يا ويح من باع الضلالة بالهدى
فلسوف يندم يوم يؤخذ بالنوا صي

21. نظم[4] على معاني بعض حروف الجر.

بـدأها بقولـه:

---

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

2. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

3. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار .

4. القصيدة موجودة بخزانة كوسام أدرار .

حمداً لما منح أسرارالكلام * ثم على الرسول أفضل السلام
وبعد فالقصد بهذا القطعة * نظم معان لحروف سبعه
أعني بها يا ذا النهى من والى * وعن وفي واللام والبا وعلى

22. النفحة الرندية بشرح التحفة الوردية[1]، وشرحه على تحفة ابن الوردي[2] في النحو.

بدأها بعد الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله بقوله:

"هذا تقييد على منظومة الشيخ عمر بن الوردي رحمه الله في النحو، سميته بالنفحة الرندية بشرح التحفة الوردية، وإلى الله تعالى أرغب في تحقيق الأمل وحصوله، وإخلاص العمل وقبوله".

23. نيل المراد من لامية ابن المجراد[3]، وهو شرح على لامية ابن المجراد[1] في إعراب الجمل.

---

1. المخطوط موجود بخزانة الشيخ باي بأولف...

2. هو الإمام زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعروف بالوردي، شاعر وأديب ومؤرخ توفي في17 ذي الحجة 749 هـ. من مؤلفاته اللغوية: تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة (نثر فيه ألفية بن مالك)، شرح ألفية بن المعطي، منظومة في النحو، اللباب في الإعراب. ينظر: كتاب بغية الوعاة. ص 226. ج 2.

3. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وقد قام د: مختار بوعناني بتحقيق ودراسة هذا المخطوط.

بـدأه بقولـه:

"نحمـدك يا من منحنا من علم العربيـة جملـة كبـرى. ونصلـى على نبيك محمد الذي نصبته ظرفاً لفعل كل عـارف دنيـا وأخـرى وعلى آله وأصحابه ومن أخذ أخذهم مـن كـل جـار ومجـرور إلـى المحبـة الغرا وبعد فيقـول العبـد الفقيـر الـى رحمـة ربـه المشـفق على سربه من خبيث كسبه محمد بـن أُبّ بـن احميد بـن عثمـان المزّمِّـري نسـبا ومحتـدا التـواتي دارا ومولـدا سـتر الله عوراتـه وأمن يمن منه روعاته. هذه ورقـات قصـدت بهـا نيـل المـراد مـن لامية ابن المجراد ومن الله استمد التوفيق والإنجاد فإنه خيـر مـن تفضل وجاد .قال النـاظم رحمـه الله حمـدت الهـي أي: أثنيـت علـى معبودي بصفاته الجميلة...

1. هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي المعروف بابن المجراد، له من المؤلفات الشهيرة. شرح الدُّرر، لامية الجمل، توفي بسلا بأرض المغرب سنة 778 هـ وبها دفن. ويعرفه أهل المغرب الآن بسيد الإمام السلاوي. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى. أحمد بن خالد الناصري. الدار البيضاء. 1997 م.

وختمه بقوله:

"هذا آخر ما قصدت إملاءه مما يليق به التعليق، حامداً للرب القوي المعين، ومصلياً على رسوله إلى العالمين أجمعيـن.... وأقول كما قال بعضهم:

يا ناظراً فيه إن ألفيت فائدة * فاشكر عليها ولاتجنح إلى الحسد
وإن عثرت لنا فيه على خطأ * فاعذر فلست بمجبول على الرشـــد

24. وله أيضا قصيدة شعرية يقول في مطلعها[1]:

وفزت بدر الشعر إذ غصت بحره * ومثلي لنيل الدر من بحره أهــل
فحاز نظامي فيه أبدع صنعـتـي * من الله لا من غيره ذلك الفضـل
وأمري سلم الاتصال ومن يـــرم * تصالي فإن الخطب في شأنه سهل

25. وله أيضا في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح يقول فيه:

إذا كنت يا ذا اللب في الحق ترغب
وفـي الحـــق ما يصغى إليه ويطـرب
فقـل يا قريـــب وابـــنـه في نـــدائـــــه
على الضم واقتفي نحوه فهو أصوب

ولا تستبح تنوينه يـا أخ الحجـــا
فتصحي إذا ممن إلى الحق ينسـب

---

1. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص21 الشيخ الحاج محمد بكراوي.

26. وله أيضا في التوابع:

إن التوابع حكمها إذا اجتمعت
كــمـــا تراه من الترتيب في المثـــل
قول جاء الغلام الهاشــمي ابــو
مـحــمــد نفــســه أخوك ثم علــــي

27. وله أيضا:

مفارد النحاة يابن أخي * عددها أربعة تعتبــر

28. وله أيضا منظومة في مفاتيح البحور يقول في مطلعها:

وبهذه الأجزاء تم الكامل * متفاعلن متفاعلن متفاعلن
إن سعي في رضاكم أمل * فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
وفي أجزاء وافرهم تقــول * مفاعلتن مفاعلتن فعـــولـن

وإلى هذا كله فقد ذكر له تلميذه سيدي عبد الرحمن بن باعومر(ت.1189 هـ)[1] مؤلفات أخرى عديدة، لكننا لم نقف عليها ضمن مخطوطات الخزائن التي زرناها وهي كما يأتي:

1. أرجوزة عقد فيها شافية ابن الحاجب (ت.646 هـ) في علمي التصريف والخط، وأبطأ عن تجريدها، ثم بداله فمزقها بعد أن جرد منها نحو كراسين.

2. تخميسه لقصيدة ما للمساكين[2] لأم هانئ.

---

1. جاء ذلك في مخطوطه الذي ترجم فيه لشيوخه. ص **41** .

2. قصيدة ما للمساكين هي قصيدة توسلية تنسب للسيدة أم هانئ، شقيقة الإمام علي كرم الله وجهه ومطلعها: ما للمساكين مثلي مكثرِ الزلل * إلا شفاعة خير الخلق والرسل
يا مذنبين قفوا ببابه وسلوا * به المفاز تنالوا غاية الأمل

3. شــرحه علــى القصــيدة الشقراطســية[1] ســماه الــدروع الفارسية.

4. شرحه على المنظومة المسماة (معونة القراء).

5. شرح لقصيدته في معارضة الحريري.

6. شرحه للامية العجم[2] سماه نفث القلم.

1.الشقراطسية نسبة إلى الشيخ يحي بن علي بن زكرياء الشقراطيسي، توفي سنة 466 هـ. والقصيدة في مدح الرسول (ص). ينظر:إقليم توات. ص 99..

2. مؤلف اللامية هو مؤيد الدين بن الحسين بن علي الطغرائي، وهي من أشهر القصائد العربية قالها الشاعر ببغداد، وندب فيه الزمان، وشكا الإخوان. مطلع القصيدة هو:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل*وحلية الفضل زانتني لدى العطل.

المجموع الكامل للمتون. ص658.

7. شرحه للمقصور والممدود لابن دريد[1].

8. قصيدة من عشرة أبيات عارض بها أبياتاً للحريري في المقامات.

9. منظومة عقد فيها صغرى الصغرى للشيخ السنوسي[2] وهي في اثنين وستين(62) بيتاً.

كما أن له مؤلفات أخرى غير التي ذكرنا ويوجد الكثير منها في مركز أحمد بابا بتمبكتو حسب ما أشار إليه الشيخ الحاج أمحمد الكنتي شيخ الزاوية الكنتيه حالياً الذي زار المنطقة. "وفي كل وقت نعثر على مؤلف له كان غير معلوم، فيضاف لقائمة

---

1. هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد توفي سنة 321 هـ. له مؤلفات عدة. (ينظر:ترجمته في كتاب: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. ص 76 وما بعدها ج1، والفهرست لابن النديم. تحقيق مصطفى شويمي. ص 275 وما بعدها. المؤسسة الوطنية للكتاب.

2. الشيخ السنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، ولد سنة 832 هـ وتوفي سنة 895هـ كان من كبار علماء تلمسان وزهادها، من أهم آثاره: العقيدة الكبرى والعقيدة الصغرى ثم المختصر وهي المعروفة بصغرى الصغرى، وهي التي نظمها ابن أُبّ. ينظر:ترجمته في البستان في ذكر أولياء تلمسان. ص237 وما بعدها. تعريف الخلف برجال السلف. ص 207 وما بعدها. معجم أعلام الجزائر. ص189. معجم مشاهير المغاربة. ص293 ومابعدها.

مؤلفاته: ولحد الآن لم ينته البحث والتنقيب عن مؤلفاته"[1].

وبالجملة فقد طغى على إنتاج مُحمد بن أُبّ المَزّمِّري (ت. 1160هـ) جانب النظم الذي تناول فيه موضوعات مختلفة نحوية وصرفية وعروضية وغير ذلك، قصد تقريبها إلى الأذهان، بالإضافة إلى قصائد شعرية في مختلف الأغراض، كالدعاء والتوسل والمدح وغير ذلك وقد عبر عن ذلك بن أُبّ بصراحة حيث قال:

إذا ساد بالإِقدام عمر[2]ووبالذكا

تفرّد إيّاس[3] وبالجود حاتم[4].

فإن شِعاري صَنعة الشعر فالذي

يـــنـازعني فيها فذلك ظـــالـــم

---

1. محاضرة الشيخ باي بلعالم حول التعريف بمنطقة توات، ص11 وما بعدها، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).
2. هو أبو واثلة إياس بن معاوية، يعد مثلاً في الذكاء والفطنة، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة (ت.222 هـ) وعمره 76 سنة.ينظر:وفيات الأعيان لابن خلكان.الجزء الأول.ص 247 .تحقيق إحسان عباس.دار الثقافة بيروت..
3. هو أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني، فارس وشاعر وجواد. (ت.46 ق هـ) المستطرف. للإبشيهي. تحقيق د. درويش الجويدي. ج1. ص284. والبيت مأخوذ في معناه من قول أبي تمام مادحاً: إقدام عمرو في سماحة حاتم*في حلم أحنف في ذكاء إياس موسوعة الشعر العربي.
4. هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، شاعر جاهلي وفارس شجاع، توفي سنة 40ق.هـ 584م. المستطرف في كل فن مستظرف. للإبشيهي. ت درويش الجويدي. ص43. ج 2. ط1 1416 هـ 1996 م. المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

وفاتـه:

في ظهر يوم الاثنـين العاشر من جمـادى الأخيـرة سنـة ألـف ومائـة وستين هجرية(ت.1160 هـ)[1]، انتقلت روح مُحمد بن أُبّ المـّزّمـِّـري إلـى بارئـهـا، ودفـن بمدينـة تيميمـون، بمقبـرة سـيدي عثمـان وسـط المدينـة، وقبـره إلـى جـوار الـولي الصـالح سـيدي عثمــــــــان أحـــــــــد أوليـــــــــاء

1. ذكرالشيخ الحاج محمدبكراوي في مخطوطه السابق أن هذه السنة (1160هـ)شهدت وفاة عدد من علماء المنطقة إضافة الى بعض الأعيان نذكر منهم ترتيبا:

في ليلة الاثنين 05جمادي الأولى(1160هـ)توفي الحاج عبد الرحمن الجنتوري.

في ليلة الأحد25 جمادي الأولى(1160هـ)توفي سيدي محمدبن الصوفي البادرياني.

في يوم الاثنين10جمادي الأخيرة(1160هـ)توفي.سيدي محمد بن أُبّ المزمري.

في يوم الأحد16جمادي الأخيرة(1160هـ) توفي سيدي محمدبن محمود شيخ زاوية الحاج بلقاسم.

بالإضافة الى عدد من أعيان بلد عريان الرأس بتسابت وغيرها من القرى. وفي كل هذا قال سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المزمري في رثاء والده:

توفي الشيخ فيها عن قريب * بأهون من جمادي بغير لبس

بيوم عاشر من بعد عام * من السنين في تحقيق حدس

وفي ذا العا م قدغارت عيون * كصوفي وجنتوري بحس

المنطقة، ويذكر بعض شيوخ[1] المنطقة أن الشيخ الحاج أحمد بن الحاج العربي الأنصاري(ت.1382 هـ) هو الذي دل الناس على قبره. وأن الشيخ الحاج محمد بلكبير[2] رحمه الله كان يزور قبره كل خميس رفقة تلاميذه للترحم والدعاء، وقبره الآن يعرف بقبر العبقري نسبة إلى مؤلَّفه الشهير (العبقري في نظم سهو الأخضري) المتداول في المنطقة. رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

---

1. ذكر لي ذلك الشيخ الحاج بومدين السلكة أحد شيوخ ومؤرخي منطقة قورارة.

2. من أكبر علماء وأولياء منطقة توات في هذا القرن، له زاوية مشهورة.

البحـــث السابع عشر

الشيخ سيدي البكري بن عبدالرحمن(1339هـ) ومناظرته الشهيرة مع الشنقيطي[1]

---

1. البحث منشور في مجلة الفضاء المغاربي. جامعة تلمسان. الجزائر العدد الثالث، السنة الرابعة سبتمبر2005م ص177.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد.

تزخر المنطقة التواتية بمئات الأعلام الذين خلدوا أسمائهم بحروف من ذهب في الذاكرة المحلية والوطنية وحتى الإقليمية، وذلك بفضل أعمالهم التي تخطت حدود المحلية إلى العالمية. فهذا عالم تواتي يدرس في منطقة عربية وإسلامية ويخلد ذلك في مؤلفاته، وهذا آخر يتواصل مع علماء عصره أخذا وعطاء ويخلد ذلك أيضا في رسائل ووصايا، ومن هؤلاء الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن (ت 1339هـ) الشاعر الفحل الذي خلف لنا ديوانا ضخما ضم مئات القصائد والمقطوعات وفي مختلف الأغراض والتخصصات. اخترنا منه هذه المناظرة الشهيرة له مع عالم شنقيط آنذاك الشيخ محمد محمود الشنقيطي.

والشيخ الفقيه الأديب سيدي البكري بن عبد الرحمن هو في نسبه ابن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن امحمد بن محمد الطيب بن عومر بن معروف بن يوسف التنلاني. ولد سنة ألف ومائتين واثنتين وستين هـ (1262هـ) بالزاوية البكرية، جنوب الولاية أدرار بنحو عشر كيلومترات تقريبا. وإلى الزاوية البكرية وأخواله بها انتسب الرجل بعد ذلك خلافا لموطنه الأصلي تنلان التي يعود إليها.

وعن تسمية الشيخ باسم البكري هذا يقول الشيخ محمد باي بالعالم في شرح أرجوزته الفقهية الشهيرة ما يلي: (وقد وجدت في طرة هذه الأرجوزة بخط يده رحمه الله عند ذكر لقبه البكري هكذا قال: الأصل في اسمي واسم كل من يقال له البكري بياء النسب محمد، وسبب ذلك أن كل من انتسب إلى الدوحة

الصديقية البكرية ينسب إلى الدوحة العلية، فيقال له فلان البكري. وذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه مشهورة بالخير والصلاح والمروءة لما سبق لهم من العناية الأزلية وكان قطب منهم بمصر يقال له سيدي محمد البكري، فتبرك الناس بهذه الاسمية وكان الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد والد الشيخ سيدي محمد البكري قد طاف الأقطار في طلب العلم ولا سيّما قطر مصر فسمى ابنه سيدي محمد البكري ثم سمتني أمي على الشيخ محمد البكري[1].

درس الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن في مدرسته الأولى بالزاوية البكرية لمدة سنتين ومنها انتقل إلى بلدة كالي

---

1. المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية. مطابع عمار قرفي باتنة (دون تاريخ).

ضواحـي تيميمون وتحديـدا إلى بيت الشيخ العالم مولاي عبد الحاكم بن عبد العالي بن سيدي محمد وأخذ عنه أيضا.

كـان الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن (عالما جليلا عبقريا شاعرا مفلقا ترك ديوانا من الشعر جل أشعاره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومنها قصائد خالية من الحروف العجمية وله قصيدة تزيد أبياتها على الثلاثين بيتا وليس فيها حرف الألف الذي هو أكثر الحروف استعمالا في الكتابة وله قصائد في عشبة الشاي وفي المرثيات كما له نثريات أتى فيها بالعجب العجاب وبالجملة فهو بحر لا ساحل له[1])

وأمـام هذا البحر الذي لا شـاطئ لـه تجدني واقفا بين المطرقة والسندان، مطرقة المكان المحدد للموضوع وسندان، هذا الكم الهائل من مخطوطات الرجل ومؤلفاته،وبين البينين سأقتطف هذه المناظرة التي وقعت له مع العالم محمد محمود الشنقيطي واحد من علماء عصره الأجلاء وجاءت هذه المناظرة لتعكس لنا ثقافة الرجل ومكانته بين أقرانه.

وقصة المناظرة كما روتها لنا المخطوطات المحلية تدور حول سؤال واستفسار عن كلمتين أوردهما الشاعر الأموي الشـــــهير

---

1. المرجع نفسه .

الأخطل[1] في قصيدة مدحية شهيرة[2] والتي يقول فيها:

إلى خلد حتى أنخنا بمخـلد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمـل

أمية والعاصي وأن يدع خالد * يجبه هشام للفعال ونـــوفــــل[3]

ومن البيـت الأخير للشـاعر الأخطل كمـا رأينـاه انطلـق العـالم الشهيـر فـي شـنقيط بموريتانيـا وقتئـذ يستفسـر عـن مقصـود الشـاعر الأخطـل مـن استعماله للكلمتـين المتعـاقبتين فـي البيـت المـذكور وهمـا (هشـام ونوفـل) ويستفسـر الشـيخ الشـنقيطي ويوجـه سؤالـه الخـاص هذا إلـى شـيخ وعـالم تـوات فـي وقتـه الشيخ سيدي البـكري بـن عبد الـرحمن وهذا بعد مـا أعجـز بـه جملـــــة مـــــن العلمـــــاء. فهـــــل هشـــــام ونوفــــل

---

1. هو غياث بن غوث بن الصلت شاعر أموي ولد سنة 20هـ 640م وتوفي سنة 92 هـ 710م. ينظر ترجمته في: الأخطل شاعر الدولة الأموية. ص57 وما بعدها. دار الفكر العربي بيروت.ط1999،1م. والأخطل خمريات وأوصاف شتى.فؤاد افرام البستاني .ط6، دار المشرق بيروت.
2. القصيدة في70بيتا مطلعها: عفا واسط من آل رضوى قنبل*فمجمع الحرين فالصبر أجمل.
3. أورد الشاعر كلمتي (هشام ونوفل) مرتين مرة في البيتين ومرة أخرى في قصيدته التي مطلعها: ألا حييا دارا لأم هشام * وكيف تنادي دمنة بسلام. إلى أن يقول:

نماك هشام للفعال ونوفل*وآل أبي العاصي لخير أنام. والقصيدة من15 بيت. ينظر: الموسوعة الشعرية الإصدار الثاني المجمع الثقافي www.cultural.org.ae..

يقصد بهما الشاعر الأخطل شخصين أم جنسين أم هما غير هذا وذاك كله، والسؤال من الشيخ الشنقيطي الجليل العالم محمد محمود ورد على شيخنا الجليل سيدي البكري بن عبد الرحمن في هذه الصياغة الشعرية التي يقول فيها الشنقيطي ما يلي:

أسألكم أهل المعارف من عل
إلى السفل والنحر ري يسمى ويزهل
فعم السؤال العرب والعجم كلهم
وخص النصارى ذا السؤال المفضل
عن اسمين مشهورين شرقا ومغربا
أتى بهما الخنزيرالأخطل دو بل[1].
أتى بهشام ثم بعد بنوفل
خلال مديح خالد ليس يجهل
(أمية والعاصى وإن يدع خالد
يجبه هشام للفعال ونوفل)
فمن نوفل.بل من هشام وماهما
أشخصان أم جنسان عن ذلك أسأل
مجاز هما أم في المديح حقيقة
ألا فليجب منكم عليهم مبجل

1.الدوبل هو الخنزير الصغير وهو لقب كانت ترقصه به أمه في صغره. ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. ج2 ص430 دار الجيل بيروت. وقد هجاه جرير بهذا اللقب فقال: .... ألا إنما يبكي من الذل دوبل
ينظر كتاب (جرير رقة الصياغة وعذوبة اللفظ وجزالة الشعر) د، عبد المجيد الحر ص 119 دار الفكر العربي بيروت. ط1 1998م 1419هـ .

فمن كان نحريرا أجاب مبينا
بـــراهيـن مــن علــم لــه فــيبـجـــــل
ومن كان ضليلا أجاب مموهـا
أبـــاطـيــــل مــن جــهـل بــه فيجهل[1]

ونحن نستمع إلى سؤال العالم الشنقيطي محمد محمـود فـي هـذه الصـياغة الشـعرية الجذابـة نـدرك تحـدي الشـيخ المسـبق للعلمـاء عامـة ولشيخنا الجليـل سيدي البكـري بـن عبـد الـرحمن خاصة. كيف لاوالسؤال هذا موجـه للعرب والعجم كمـا قـال وهـو بخاصـــة إلــى النصــارى انطـــلاقا مــن عقيــدتهم التــي تتماشـــى وعقيدة الشاعر الأمـوي القد يـم الأخطـل النصرانية أيضـا، فهـو كما نعلم نصراني صرف. والأخطل في نسبه هو أبـو مالـك غيـاث بـــــــن غـــــــــــوث مـــــــــــن مواليـــــــــــد

---

1. القصيدة مخطوط .

سنة 20 هـ64 م وكان يلقب بالأخطل ثم بذي الصليب لتعلقه معه ثم بذي العباية[1] ثم بالخنزير أيضا لأن أمه كانت ترقصه به في صغره وبذلك كناه العالم الشنقيطي أيضا.

وظاهر من هذه الأبيات أن الشيخ الشنقيطي محمد محمود وجه سؤاله التعجيزي هذا إلى كل علماء عصره إلاّ أنه تلقى منهم إجابة تمويهية كما أشار إلى ذلك في البيت الأخير، وهو الآن يبحث في شخص العالم سيدي البكري بن عبد الرحمن عن تحرير يجيب مبينا ببراهين من علم له لكي يعترف به الشنقيطي ويبجله كما قال:

فمن كان نحريرا أجاب مبينا * براهين من علم له فيبجل

ومن كان ضليلا أجاب مموها * أباطيل من جهل به فيجهل

وتصل الرسالة إلى الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن ويدرك معانيها وما بين سطورها ويقبل التحدي مطلقا، ثم تكون

---

1. قال جرير في هجاء الأخطل: يا ذا العباية إن بشرا قد قضى أ ن لا تجوز حكومة النشوان ويحكى أنه لما أسر الأخطل في موقعة محددة كانت عليه عباءة قذرة فظنوه عبدا وسألوه فقال أنا عبد فخلوا فخلوا سبيلي. ديوان جرير. ص471. دار صادر بيروت1991م و ينظر أيضا: جرير رقة الصياغة وعذوبة اللفظ وجزالة الشعر، د: عبد المجيد الحر. ص57 وما بعدها.

لنا وللشيخ الشنقيطي معا هذه القصيدة الشعرية الرائعة التي حملت الرد في نفس القالب والوزن والروي الشنقيطي حيث جاء فيها:

أياسيدي قد ساد من ساد إذغدى
بلقائه العويص للذهن يسقل
فعم وخص بالسؤال طماطما
ذوي لكنة وهم بذلك أجهل
فإن رفعوا ديوانا الأخطل سابقا
بطبع فما الطماطم بالعرب يعدل
ألا ليتكم قد قصرتم بسؤلكم
بالعرب إذ هم أجل وأعقل
فأما سؤال الشيخ أعلم وقته
عن اسمين مشهورين أنشد الأخطل
بمعرض مدح خالد وفعاله
فنعم الفتى قدكان بالخير يعمل
فإنهما ليس بشخصين شخصا
وليس هما جنسين والكل يهمل
ولا علمين في المديح كليهما
فقد أعجز معنى لبيبا يؤمل

يشق هشام المدح من هشم خبزه
لكل نزيل بالمبجج ينزل
ونوفل من نوافل الخير بعده
بذا ساد خالد وما كاد يجهل
لكل فعال الخير فرض ونافلة
من الفرض هشم الخبز للضيف يمثل
فقدم هذا الفرض وهو مقدم
وأخر نوفل جوائز الأعقل[1]

كان هذا هو جواب الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن على سؤال الشيخ الشنقيطي، ونراه قبل الإجابة على السؤال يعاتب الشيخ الشنقيطي عتابا خفيفا على تخصيصه السؤال على العجم دون العرب(البيت الثاني)، فالعجم كما يرى البكري وإن عنوا بديوان الأخطل طبعا وإخراجا أولا إلاّ أنهم أهل لكنة جهلاء بالتاريخ العربي كما قال. وبعد هذا شرع في الإجابة عن السؤال ليخبرنا بأن الكلمتين (هشام ونوفل) ليس بشخصين كما يرى البعض ولا بجنسين ولا علمين كما يرى البعض الآخر وإنما لفظ هشام أولا مشتق من تهشيم الخبز وتوزيعه على كل ضيف ونزيل وأما لفظ نوفل ثانيا فهي من نوافل الخير التي يبسطها ويبديها الممدوح خالد لضيفه وبهذا كله ساد خالد وما كاد يجهل.

يشق هشام المدح من هشم خبزه
لكل نزيل بالمبجج ينزل
ونوفل من نوافل الخير بعده
بذا ساد خالد وما كاد يجهل

---

1. القصيدة مخطوطة.

لكل فعال الخير فرض ونافلة
من الفرض هشم الخبز للضيف يمثل

وقد يستصغر القارئ المسألة أولا بسبب شهرة الشاعر الأخطل وذيوع ديوانه في عصر الشاعرين وقبلهما بقرون، لكن المتصفح لديوان الشاعر في كل شروحه تقريبا[1] لا يكاد يقف على شرح للكلمتين(هشام ونوفل) اعتقادا من الجميع باسميتهما ووسمهما لشخصين بعينهما.

ولعل آخر ما نختم به حديثنا عن الشاعر سيدي البكري ونحن نعيش هذه السنة أسراب الجراد التي أتت على الأخضر واليابس، هو هذه المنظومة التي نظمها والمنطقة تعيش أسرابا كهذه أوأكثر وتضرع فيها لله سبحانه وتعالى أن يرفع عن الأمة هذه المحنة حيث قال:

الحمد لله الذي ينجي العبيد
من البلى من بعد ما كاد يبيد
وأفضل الصلاة والسلام
على النبي المصطفى التهامي
وآله وصحبه الأخيار
والتابعين السادة الأبرار
وبعد فالدعا يعالج القضا
بين السما والأرض من فوق الفضا
كما أتى في صحبه الأخيار
عن النبي المصطفى المختار
يا ربنا ارفع ذا الجراد النازل

---

1. ينظر الموسوعة الشعرية الإصدار الثاني.

عنـــا بـفـضـلـــك إلــــى المجاهــــل[1]

آمين يا رب العالمين

1. القصيدة مخطوطة.

المراجع والمصادر

1. الأخطـل خمريـات وأوصــاف شــتى. فـؤاد أفـرام البســتاني .ط6،دار المشرق بيروت
2. الأخطل شاعر الدولة الأموية.. دار الفكر العربي بيروت .ط1، 1999م.
3. جرير رقـة الصياغة وعذوبـة اللفظ وجزالـة الشـعر د،عبـد المجيد الحر .دار الفكر العربي بيروت. ط1 1998م 1419هـ
4. ديوان جرير. ص471. دار صادر بيروت 1991م
5. المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكريـة. مطـابع عمـار قرفي باتنة (دون تاريخ)
6. مخطوط قصائد الشاعر سيدي البكري بن عبد الرحمن
7. مخطوط قصيدة الشاعر محمد محمود.
8. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. دار الجيل بيروت.
9. الموســوعة الشــعرية الإصــدار الثــاني المجمــع الثقــافي www.cultural.org.ae

البحــث الثامن عشر

الأبعاد التاريخية والقانونية لمخطوط "غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل"[1]

---

1. ألقي البحث في ملتقى الندوة الدولية في موضوع: "التاريخ والقانون التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة "المنعقدة بجامعة مكناس، المملكة المغربية أيام 3، 4، 5 نوفمبر 2009.

مقدمـة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

يعتبر مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ومن أهم وأضخم المخطوطات التي استطاعت أن تجمع أكبر قدر من النوازل والفتاوى الفقهية التي حلت بأقاليم توات جنوب الجزائر. وتدخل فيها كبار العلماء والفقهاء من الإقليم من أمثال: الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر1189هـ[1]،

---

1. الشيخ سيدي عبد الرحمان(1189هـ) بن عمر التنلاني. هو سيدي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف، ولد في مسقط رأسه بتنلان وتنقل بين عواصم تاريخية كبرى وأخذ بها عن شيوخ أجلاء ترجم لهم في مخطوط خاص منهم: الشيخ عمر بن عبد القادر، والشيخ محمد بن أُبّ المُزّمّري ، وفي فاس أخذ عن الشيخ محمد العربي والشيخ سيدي أحمد السقاط وغيرهم. توفي بمصر أثناء عودته من الحج وكان ذلك تحديدا في اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة (1189هـ) ودفن بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي ضواحي القاهرة. من آثاره: مخطوط مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المبين. مخطوط تراجم شيوخه. مخطوط مختصر النوادر في الفقه. مخطوطات ثلاثة أرّخ فيها لرحلاته إلى الحج، أو في طلب العلم. بالإضافة إلى تقيدات فقهية مختلفة وقصائد شعرية عدة .ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخه. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص29 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني. ص23 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمن بن عمر التنلاني.

والشيخ الزجلاوي 1212هـ[1]، والشيخ سيدي الحاج البلبالي 1244هـ[2] وابنه الشيخ الحاج عبد العزيز 1261هـ[3] وغيرهم كثير، فجاء بذلك المخطوط جامعا بين دفتيه وفيما يزيد عن السبعمائة صفحة من الحجم الكبير لكل ما وقع في هذه الأقاليم من القضايا والمسائل على مر العصور، وقد بدأ جمعه أولا في مجلد وعنوان واحد الشيخ سيدي الحاج بن عبد الرحمن البلبالي، ثم أكمل العمل بعد وفاته ابنه الشيخ سيدي عبد العزيز.

---

1. الشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي (1212هـ) ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي أمحمد، ثم انتقل إلى قصر تنلان وتتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني. كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي، وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي أمحمد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، ونوازل سيدي عبد الرحمن بن باعومر. تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة (1212هـ). من آثاره مخطوط النوازل في الفقه. وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها، وشرح مختصر خليل، وكتاب المباشر على ابن عاشر .بالإضافة إلى تقييدات مختلفة .ينظر ترجمته في: مخطوط تقاييد خاصة عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير .. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ص128 ومابعدها ،وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص93. وما بعدها).
2. ينظر ترجمته في هذا البحث.
3. ينظر ترجمته في هذا البحث.

ليكـون ترتيبـه بعد ذلك على يد الشيخ سيدي أحمد لحبيب بن امحمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي، ولا تكـاد تخلو مكتبة من وجود نسخة من نسخه المتعددة في توات، وقد وقفنا شخصيا على خمس نسخ منها. الأولى بخزانة البلبالين بقصر ملوكة غرب الولاية أدرار، والثانية محفوظة بخزانة البكريين بتمنطيط جنوب الولايـة، والثالثة محفوظة بخزانة باعبد الله ضواحي المدينة أدرار حاليا، والرابعة بخزانة المطارفة شمال الولاية، والخامسة محفوظة حاليا بخزانة كوسام بأدرار.

ومخطـوط الغنيـة وإضـافة لأبعـاده الدينيـة والاجتماعيـة والاقتصـادية التـي طبعتـه فـي معظـم مسـائله، إلاّ أن لـه أبعـادا تاريخية وقانونية لا تقل أهمية عن الجوانب الأخرى، واستطاع بذلك جامعوه أن يؤرخوا لنا لمرحلة هامة من تاريخ الإقليم التواتي خاصة والمجتمع العربي عامة، واضعين إيانا في الوقت نفسه في صلب المنظومة القانونية التي نظمت حياة الأفراد طيلة تلك الفترة.

وانطلاقـا مـن أهميـة الكتـاب الـذي لا يـزال مخطوطـا أولا، وحرصا منا على كسر جدار الصمت المضروب على كثير من تراثنا العربي المخطوط، جاءت فكرة بحثنا في تسليط بعض الضوء على جزء من مجموع ما انطبع به المخطوط في تقاطعاته التاريخية والقانونية بشكل خاص،على أمل أن يفتح الموضـــــــــــوع شـــــــــــهية

المختصين في تناول المخطوط عامة تحقيقا ودراسة.

إن المتأمل بداية لمخطوط الغنية في اجتهاد منظريه من علماء الإقليم يجده مبنيا في أساسه على فكرة الشورى التي دفعت قاضي توات حينها الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم[1] إلى تأسيس مجلس الشورى الذي انتدب له أربعة من كبار علماء وفقهاء الإقليم وقتها، وكانت إجابتهم جميعا تدون في سجل خاص ومحفوظ عنده عرف بينهم ب"ديوان الشورى " أو"ديوان القضاء ". ومن الديوان نفسه كان القاضي الشيخ سيدي عبد الحق يستمد كل أحكامه القضائية في الفصل بين المتنازعين، أوالرد على السائلين. وبعد عملية التبويب والترتيب التي خضعت لها تلك الأجوبة والمسائل جُمعت مجددا لتكون سجلا تاريخيا ومرجعا قانونيا في حياة الإقليم.

لقد تضمن مخطوط الغنية في أبعاده التاريخية بداية العديد من التراجم وأخبار العلماء وبخاصة كبار الفقهاء والعلماء من أبناء

1. الشيخ سيدي عبد الحق(1210هـ) بن عبد الكريم بن البكري أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر. تولى القضاء بعد وفاة والده بأمر من عمه الشيخ سيدي محمد بن البكري سنة(1174هـ). يقال أنه كان يجيد عدة لغات ولهجات محلية منها العربية والزناتية والترقية والبربرية. توفي يوم الإثنين مطلع شهر ذي القعدة سنة (1210هـ) من آثاره مجموعة من القصائد الأدبية ، وبعض الفتاوى المختلفة. ينظر ترجمته في: مخطوط الدرة البهية .ص 101و127.

الإقليم التواتي، ولعل من أهم الشخصيات التي ترجم لها المؤلف هو ترجمته للشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي (1244هـ)، وابنه الشيخ سيدي عبد العزيز(1261هـ)، إضافة إلى عديد الشخصيات العلمية والقضائية الأخرى في الإقليم من أمثال الشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البداوي الجعفري(1244هـ)[1]، الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري(1160هـ)[2] والشيخ سيدي

---

1. ينظر ترجمته في هذا البحث.
2. الشيخ سيدي محمد(1160هـ) بن أُبّ المُزّمّري. ولد سنة(1094هـ)بقرية أولاد الحاج ولاية أدرار. نشأ في مسقط رأسه .تنقل رحمه الله بين عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون، وبها تُوفي شهيدا. في ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة ألف ومائة وستين هجرية(ت.1160 هـ) من آثاره المخطوطة أزيد من ثلاثين مخطوطا في مختلف العلوم.

ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخ عبد الرحمن بن باعومر، ص40 وما بعدها. عبد الرحمن بن باعومر. ومخطوط جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، ص14. محمد بن عبد الكريم البكري. ومخطوط رحلة ضيف الله بن محمد بن أبّ، ص11 ومابعدها. ومخطوط العي المصروم شرح نظم ابن أُبّ لآجروم. ص1. محمد بن بادي الكنتاوي.ومخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص158. مولاي أحمد الإدريسي، وكتاب إقليم توات خلال القرنين 18 و19 م، ص99 ومابعدها. فرج محمود فرج. وكتاب محمد بن أُبّ المُزمّري حياته وآثاره. ص59 ومابعدها.

أبـي الأنـوار بـن عبـد الكـريم (1168هـ)[1]، والشـيخ سـيدي عبـد الكريم الحاجب (1193هـ)[2] والشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمن التنلاني[3]، وإلى هذا تضمن المخطوط أخبار شخصيات علمية أخـرى أمثـال: الشـيخ سـيدي امحمـد بـن عبـد الله الأدغـاغي الونقـالي، والشـيخ الحـاج محمـد بـن أحمـد الراشـدي، والشـيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن البلبالي، والشيخ سيدي محمد بن عبـــــــــد الـــــــــــــــــــرحمن

---

1. الشيخ سيدي أبي الأنوار(1168ه) بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني، ولد سنة 1077بزاوية تنلان، و أخذ عن الشيخ سيدي محمد دين الله التطافي ثم سافر بعد ذلك إلى أرض التكرور ، وتربع هناك على عرش التدريس والإفتاء فترة طويلة من الزمن. ولما رجع إلى تدكلت استقر في زاويته المشهورة التي تنسب إلى ولد ابنته مولاي هيبة وبهذه الزاوية توفي سنة(1168ه) وقيل سنة(1158ه) .ينظر ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات .لحاج محمد بكراوي. ص25، ومخطوط الدرة الفاخرة ص03، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 89 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات. ج1 .ص35 وكتاب سلسلة النواة. ج01.ص 100 ومابعدها. وكتاب قطف الزهرات. ص80)
2. ينظر مخطوط الغنية ص01 وما بعدها.
3. ولد سنة 1152ه وتولى إمارة ركب الحجيج في توات وضواحيها ، أسس زاوية في قصر مهدية، وهو الذي تولى القضاء والفتوى في أقاليم توات بعد وفاة الشيخ سيدي عبد الحق صاحب مجلس الشورى .توفي بقصر مهدية في23 من جمادي الأخيرة سنة 1221ه. ينظر ترجمته في: مخطوط جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، ص06. ومخطوط الدرة الفاخرة ص09.

بن عمر، والشيخ سيدي عمر الأصغر، وغيرهم كثير. وسنقتصر في حديثنا عن هذا الجانب من المخطوط في بعده التاريخي دائما على ما ورد من تراجم لثلاث شخصيات ممن تضمنهم المخطوط تفصيلا وأعني بهم: الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج 1261هـ، ووالده الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي1244هـ، والشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البداوي.

1. ترجمته لحياة الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي(1261هـ):

يعتبر الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي(1261هـ) أحد أهم أركان العلم والقضاء الأربعة المشهورين في الإقليم، إضافة إلى والده الشيخ الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي(1244هـ)،والشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني(1189هـ)، والشيخ سيدي محمد الزجلاوي (1212هـ)، وذلك بمشاركته الفعالة في كثير من الفتاوى والمسائل من جهة، وبما هيأه له الله على يده من جمع لهذه المسائل المتناثرة والمختلفة تحت دفة عنوان واحد وجامع أُطلق عليه اسم الغنية البلبالية.

وقد تتبعت المخطوطة حياة الشيخ سيدي عبد العزيز من لحظة ما قبل الولادة حتى الوفاة حيث جاء الحديث في ذلك تفصيلا،

وتبعا لكل مرحلة من مراحل العمر، فكانت البداية أولا من والده الذي رباه وعلمه حيث قال عنه المؤلف في مقدمة المخطوط: "... وبعد لما كان الاشتغال بطلب العلم ومذاكرته،وتقييده ومدارسته من أفضل العبادات، وأعظم القربات إلى الله تعالى من الأعمال الصالحات، وكان من أشد الناس عناية بذلك وأجلهم قدرا وأعظمهم فخرا شيخنا الوقور ذو العلم المشهور، والصيت المنشور، والمآثر العديدة والخصال الحميدة... أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي رحمه الله الكبير المتعالي..."[1]

وبعد هذا ينتقل الشيخ سيدي أحمد لحبيب بن امحمد بن عبد الله للحديث عن الابن سيدي عبد العزيز في علمه وتواضعه، وفي تفوقه وتفرده من بين أقرانه حيث يقول: "... وابنه الذي فاز بالتقوى وممن جانب من لدن نشأته طريق الهوى، السالك مسلك أبيه الذي كان يلقبه أبوه رحمه الله في حياته بسيبويه إذ كان في كل فن يقابله ويساويه ويجاوره في القضاء ...المرصع بجوهر التبريز الفقيه العلامة سيدي محمد عبد العزيز الأول ذكرا رحمه الله. عالما عاملا متواضعا له يد طولى في باب الفقه والتفسير، كثير التقييد يقبل على من يباحثه، ولا يضجر من طول المجلس ولا يفتر، دأبه ختم القرآن كل يوم مر الأيام والأعوام لم يزل على حالته هذه حتى مات..."[2]

---

1. الشيخ سيدي عبد الكريم (**1193**هـ) بن الصالح بن البكري. أخذ عن والده الشيخ سيدي الصالح بن البكري، وعمه القاضي سيدي عبد الكريم بن البكري وأصبح متضلعا في العلوم توفي بتمنطيط ليلة الأحد السابع عشر من صفر سنة (**1193**هـ).
ينظر: مخطوط جوهرة المعاني ص**02**. والتاريخ الثقافي ص**79**.

2. المصدر نفسه ص **02**.

كما يتحدث المؤلف أيضا عن أمر توليه القضاء التواتي بعد وفاة والده وما دار في ذلك بينه وبين علماء وأولياء الإقليم حيث يقول صاحب المخطوط: "... ثم بعد موت الوالد المذكور قرره الأمير المذكور على الخطة القضوية المذكورة نصره الله، وخلد ملكه وذلك على يد الولي الصالح ذي التبحر الرابح سيدي مَحمد فتحا بن الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الله الكرزازي أيضا، ثم بعد مدة قرره أيضا عليها وأثنى عليه فيها،وذلك على يد الشريف سيدي محمد بن هاشم الفنغيلي إذ كان أولى بها ومم يستحقها. وكان رضي الله عنه عالما عاملا ورعا زاهدا أديبا مفلقا، وشاعرا محققا، له يد الطولى في النحو والاعتناء به ولذلك يلقبه والده بسيبويه"(1).

وعن أخلاقه وطباعه في حب العلم يقول عنه دائما: "... له رغبـــة

---

1. المصدر نفسه ص 02

في التعلم والتعليم، وإكرام من رأى فيه أهلية القبول والتحصيل، لايمل من القراءة ولا يسأم من الإفادة سيما من ظهرت فيه النجابة. حريص على من يتعلم العلم، ويلاطف بليد الفهم، يحب الصالحين ويبتغي قراهم كثيرا، ويمنحهم مما أفاء الله عليه كان قليلا أوكثيرا، وكان كثير الاعتناء بالكتب وجمعها ولو بأغلى ثمن يشتريها، سيرته كسيرة أبيه..."(1)

وبعد حديث مطول عن أخلاق الرجل وطباعه في التعلم والتعليم يأتي إلى ذكر تاريخ ولادته وما صحبها من قصة مشهورة وقعت للوالد قبل الولادة تحديدا، حيث يقول: "كانت ولادته ضحوة يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شوال عام تسعين ومائة وألف (1190هـ)، ولد مع أخت له في حمل واحد، وذلك أن والد الشيخ المذكور كان يولد له الإناث فقط، فدعا أن يرزقه الله ولدا ذكرا، فاستجاب الله دعاءه، فصار ما ذكر"(2) وهنا يتوقف بالحديث عن الشيخ سيدي عبد العزيز ليعود مجددا ليترجم لحياة والده الشيخ سيدي الحاج .

2. ترجمته لحياة الشيخ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي1244هـ:

بعد أن فرغ الشيخ سيدي أحمد لحبيب من الحديث عن ترجمة الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي، خلص إلى ترجمة والده الشيخ سيدي الحاج محمد وما تميزت به هذه السيرة العطرة من عطاء معرفي انعكس نتاجه على طباع ابنه الذي أدبه بنفسه، كما قال: "... ثم لنرجع بثني العنان لأول بداية والده

---

1. المصدر نفسه ص 02.

2. المصدر نفسه ص 02.

الشيخ المذكور وسبب تشبث همته بطلاب القراءة، وتعلق قلبه وشغله بأسلوب... قائلا في بعض إجازة من سأله الإجازة: وبعد فلما من الله به علينا بتشبث همتنا من وقت وضع التمييز فينا حين طفولتنا وقبل مناهزة الاحتلام المودى لعدم تكليفنا ببرهة من الزمان، بمحبة قراءة قرآنه الكريم. ابتدأنا ونحن في سن السبع سنين أو أقل على مقرئنا وبلدينا، وقريب الانتساب إلينا البركة الظاهرة والأسرار الربانية سيدي عبد الله بن إبراهيم بن سيدي الحاج علي بن سيدي أحمد بن أبي زيد البلبالي ثم الأنصاري... فافتتحنا اللوح بحروف (أ ب ت ث) بحسب بداية الصبيان، ثم بالتهجي إلى أن وصلنا سورة الجمعة وهي يسبح، وابتدأنا بالحفظ منه إلى أن ختمنا القرآن بسورة البقرة، كله بحفظه عن ظهر قلب على حسب قراءة الصبيان،

ثم بدأنا من البقرة بالرفع إلى أن ختمناه أيضا، ثم صعدنا معه كذلك، ثم طرحنا اللوح"[1].

وبعد هذا العرض الأولي لحياة الشيخ في صباه يتدرج بنا المؤلف في الحديث ثانيا عن أهم شيوخه في التدريس يتقدمهم في ذلك الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التواتي(1189هـ) دفين القاهرة، وصاحب المخطوطات الشهيرة، ثم شيخه الثاني بعد ذلك سيدي أمحمد بن عبد الله الأدغاغي، حيث يقول: "... ثم حيّن الله إلينا طلاب العلم فتوجهنا للعلامة مفتي الأنام، وقائم الليل والناس نيام، شيخنا وسيدنا أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عمر التواتي التنلاني. والناس إذ رأوا فيّ طلب العلم في تلك الحالة يستسخرون، ويستهزئون لشدة طفولتي،ولم أبالي بهم، فابتدأت من القراءة عليه بتجويد القراءة على رواية ورش وقالون، و... ولما قرأت عليه بقالون (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)[2] لم أقلب باء يعذب ميما محضا، فقال لي أقلبها بل اردها ميما خالصا ولا تخف، ولما استثقل علي النطق بالتسهيل قال لي: كان الشيخ سيدي صالح صنو سيدي أحمد لحبيب يقول لي عند استثقال النطق به: عي صيغتي في قلبك، وستدخل عليه بعد ذلك، فكان الأمر لذلك بحمد الله....

---

1. المصدر نفسه ص **04**.

2. البقرة الآية **284**.

وكان لايمل من الكتابة، وقال لي يوما هلا تكون ناسخا، فقلت له سيدي إن الكتابة تمرضني بعد أن قال لي خطك جيدا، فقال لي سبحان الله نحن راحتنا فيها. ثم ابتدأت عليه الشيخ خليل قراءة وسماعا... وألفية بن مالك، ومع ذلك أتردد لمجلس شيخنا الأكبر الذي أضاء الله به الآفاق ونفعه قد بلغ الطباق... وهو شيخنا وسيدنا ومفيدنا سيدي مَحمد فتحا ابن عبد الله الأدغاغي أصلا الونقالي مسكا. قرأت عليه الأجرومية بعد فراغي من قراءة على الشيخ أبي زيد في أدغاغ .ثم أتوجه إلى الشيخ لقرية أولاد ونقال بعد العصر، فتارة يدركني المغرب فيها، وتارة أفرغ من القراءة قبله أو قريب منه، ثم نرجع لبلدنا لنبيت فيها وهكذا دأبي أياما. ولم نجد عنده إلاّ نحو خمسة رجال أو ستة، فلما كثر الناس عنده ارتحلت إليه.... وتوجهت إليه بجميع همتي، فصرنا نختم المختصر في شهر، ثم في عشرة أيام،وكل ذلك قبل بلوغ أوان حلمي. ثم بعد سنين كُلفت وصُمت رمضان وأنا عنده، ثم ختمنا بعد ذلك مختصر خليل في يومين ونصف، والأكثر في عشرة أيام، فكان لا يفارق إقرائها في مجلسه دائما. وأما التهذيب والتفسير فنختمه دائما وكذلك عقيدة الإمام السنوسي الصغرى وكذلك البردة والهمزية وابن مالك"[1]

وبعد هذا الحديث المفصل لمسيرة الشيخ التعليمية وما تلقاه فيها على يد شيوخه الأفاضل يعود الشيخ سيدي أحمد لحبيب للحديث عن ولادة الشيخ وسبب تسميته بالحاج، وما تعارفه في ذلك أهالي توات خاصة ليخلص أخيرا إلى تحديدا تاريخ وفاته حيث يقول: "...وولادة الشيخ المذكور أولا وهو الوالد ليلة عرفة عام خمسة وخمسين ومائة وألف(1155هـ) ولذلك سُمي

---

1. المصدر نفسه، ص04.

بسيدي الحاج كما هو العادة في تسمية من ولد بليلة عرفة ببلادنا بهذا الاسم، وأما وفاته فبعد صلاة المغرب وقبل صلاة العشاء من ليلة... السابع من جمادي الأخيرة من عام أربعة وأربعين ومائتين وألف(1244هـ)"[1].

وغير الشيخين سيدي الحاج، وابنه سيدي عبد العزيز صاحبي القسط الأوفر في مسائل الغنية تحدثت المخطوطة عن سير أعلام آخرين كما ذكرنا، وكانت الإشارة إليهم تتفاوت حسب أهمية الشخصية وما دار حولها من أخبار ونكتفي هنا في ذلك بحديث المخطوطة عن الشيخ سيدي أحمد زروق (1244هـ) الذي جمعته بالشيخين عديد الرسائل واللقاءات العلمية.

3. ترجمته لحياة الشيخ سيدي أحمد(1245هـ) زروق بن صابر البداوي الجعفري:[2]

يعد الشيخ سيدي أحمد زروق واحدا من كبار العلماء والفقهاء في الإقليم، تنقل بين فاس موطن تعليمه الثاني، وبين قصر بودة مسقط رأسه لسنين طويلة، واستقر به المقام في مسقط رأسه قاضيا حتى وافته المنية وفي كل ينقل عنه صاحب الغنية قوله: "وسيدي أحمد زروق هذا هو ممن قرأ على الشيخ العالم العلامة الولي الصالح المكاشف بالغيوب، المشهور بالفتح الرباني سيدي مَحمد فتحا الونقالي ابن الولي الصالح سيدي عبد الله صاحب مولانا التهامي، بن سيدي محمد بن مولانا عبد الله

---

1. المصدر نفسه ص 06.

2. ينظر ترجمته أيضا في: مخطوط قصيدة في نسب آل جعفر بزاوية بودة أدرار .لسيدي أحمد الزروق، ومخطوط الدرة الفاخرة. ص05. ومخطوط الغنية.ص08. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص116 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص114.

الشريف"[1]. إلى أن يقول: "وكان سيدي أحمد زروق هذا فقيها حافظا أديبا غاية، له في الشعر دواوين، كان في إجادة النظم أعجوبة، ونَفس سامعة لنفسه مسلوبة، استوطن فاسا دهرا طويلا بعد موت شيخه، ثم قدم لبلده بودة، ثم رحل لفاس وأقام بها سنين وقد كان...

1. ينظر: مخطوط الغنية ص09 وما بعدها.

حيا بها سنة 1244هـ"[1]

وعن صفات وأخلاق الشيخ سيدي أحمد زروق البداوي يقول الشيخ البلبالي: "... ولسانه رطب بالأذكار آناء الليل وأطراف النهار، معتزل عن الناس غاية، لا يأنس إلاّ بمن له محبة في العلم والأدب نفعنا الله به، وهو أخو سيدي والي في الأخذ عن شيخه الولي المذكور. ثم رجع لبلده بودة على حالته الأولى... فالتزم بيته مع ما هو عليه من صحة للدين المتين والأذكار. ولما دخل العدو بلاد بودة السفلانية دخلوا داره فانتقلت بنته لبلدنا ببعض متاعهم، ثم لما حصل الأمن رجعت بمتاعها. ثم مات بعد ذلك رحمه الله"[2].

وبعيد عن التراجم والتأريخ لحياة علماء توات فقد أرّخت المخطوطة أيضا لعديد الأحداث التي عرفها الإقليم في تلك الفترة أوقبلها، ولعل من أهمها حديث المؤلف عن الاقتتال الدائر بين بعض القصور والقبائل كمثل حديثه عن الهجوم[3] الذي شننته بعض القبائل في مطلع القرن الثالث عشر الهجري تقريبا على قصر بودة السفلانية وقصة هروبهم واحتمائهم بسكان قصر ملوكة وماجاورها.

كما تحدثنا المخطوطة أيضا عن بعض النزاعات القبلية التي كانت تحدث بين بعض قصور الأقاليم التواتية، حيث كان البعض يحاول التقوي بالعلماء والسير وراء محبتهم، ونيل رضاهم لتحقيق الغرض، وهو ما كاد يقع للشيخ القاضي ولد

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 09 وما بعدها .

2. ينظر مخطوط الغنية ص 09 وما بعدها .

3. ينظر مخطوط الغنية ص 09 وما بعدها .

سيد الحاج مع جماعة تيميمون في الخصومة التي وقعت بينهم وبين جماعة قصر بادريان، وهو ما تفطن له شيخ الإقليم القوراري وعالم قصر كالي آنذاك الشيخ مولاي امحمد بن مولاي عبد الحي الذي خاطب القاضي ولد سيد الحاج برسالة جاء فيها: "... وبعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو على ما أسدى إليك هذا، وإن موجبه إليك أن تعلم أنه قد انتشر صيتكم في أقاليم تجرارين فضلا عن أقاليمكم، فالواجب على مثلك الذي يريد عقل هذه النعمة أن يطيب مأكله ومشربه، وإن تشابه ذلك عنه فليقتصر على ما يسد به الرمق إن عضه الحلال وقلت ذات يده، وأن يحمد الله ويشكره بشرطه وهو الامتثال والاجتناب سرا وعلانية... وقد بلغني أن جماعة تيميمون يريدون قدومك معهم لغزو أهل بدريان فإني أود أن تلتزم مكانك، وإن كان ولا بد فامتثل قوله تعالى وأمر بالصلح، ولكن إن قعدت فلا يظهر لك غير ما ذكرنا، وليس الخبر كالعيان، وناهيك بهذا وحسبك إياه والسلام... فإني أرجو لك ما تمناه الشيخ الولي عبد الوهاب الشعراني في قوله:

يا لهف نفسي عن شيئين لو جمعا
لي لكنت إذا من أسعد البشر
كفاف عيش يغنيني ذل مسئلة
وخدمة العلم حتى ينتهي عمري"[1]

ومن ضمن القضايا التاريخية التي وقف عندها المخطوط عرضا وتوضيحا هذه القضية التي كانت متداولة في الإقليم التواتي قبل القرن الحادي عشر وإلى الآن، والمعروفة في ذاكرة العامة

1. ينظر مخطوط الغنية. ص10.

بواقعة "تنغ أيويا"[1] ومعناها بالعربية (قاتل أبي). و "تنغ أبويا" هو اسم لمصحف[2] مخطوط يعود نسخه إلى القرن التاسع الهجري، أخذ تسميته هذه -كما يقال -من قصة وقعت لرجل حلف على هذا المصحف وهو كاذب فمات لحينه. فجاء ابن الرجل الميت ونعت المصحف بقوله (تنغ أبويا) أي قاتل أبي. ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه القصة وأصبح المصحف محكا حقيقيا لمعرفة الصادق من الكاذب في الإقليم، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل نسبت القصة في فتواها وحكمها الشرعي إلى الشيخ الجليل سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم (1168هـ). ولما وقف الشيخ محمد ابن أب المزمري(1160هـ) على المسألة في تداولها بين العامة ونسبتها للشيخ أبي الأنوار راح يستفسر في القصة من الشيخ سيدي أبي الأنوار نفسه في جواز أمر الحلف بالمصحف أولا، وعن صحة نسب القصة والفتوى إليه ثانيا، وكان السؤال في شكل أرجوزة [3] جاء في مطلعها:

الحمد لله الذي قد ألهما * أولي النهى تعظيم شأن العلما

ثم صلاته على محمد * وآله وكل من به اهتدى

هذا سؤال جاهل فقير * لله جان مذنب حقير

---

1. ينظر نهاية مخطوط الغنية.

2. مخطوط المصحف كتبه إسماعيل بن أحمد بن حسان الأزهري بتاريخ الثلاثاء شهر جماد الأولى سنة 872هـ وموجود حاليا في قصر أركشاش أولف أدرار.

3. ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج1. ص100 وما بعدها. الشيخ باي.

للشيـخ سيـدي أبي الأنـــوار * العالـم الـــوالـي ذي الأسـرار

بـــعد سلام طيب عميـــــم * عليكـم ورحمـة الكريـــم

نـص السؤال أن ذ ا للبَلـــدا * عـــادة أهلـــهـا إذا مـــا أرادا

أحدهـم تحليـف خصم بلـيـا * أن يجلب الخصم إلى تنغ ابـويا

ولما وصل نص القصيدة السؤال إلى الشيخ سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم(1168هـ) رد عليه بأرجوزة[1] هو الآخر جاء فيها:

الحمــد لله وصــلــى اللـــــه * علـى الـذي إلهـه اصطفـــــاه

وبعد فالجـواب أن الخصما * يمنـع أن يجـلب خصما رغما

---

1. ينظر الرحلة العلية إلى منطقة توات .ج1.ص 101 وما بعدها .الشيخ باي .

إلى سوى ثلاثة المساجـــــد * فتلك قد ذكر غير واحـــد
أن لها يجلب في المقاسمـــــة * لا غيرها من كان ذا إقامــة

والشيخ أبو الأنوار في معرض رده بيّن لسائله كل الخلافات والأوجه الممكنة في المسألة، ويشفعها قبل ذلك بأهم المصادر والمراجع التي تناولت المسألة أوما يحاكيها.

ومن جملة ما نقف عليه تاريخيا وقانونيا في هذه المخطوطة أيضا هو حديث المؤلف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية عامة والأسرية خاصة في هذه الأقاليم. فعن الأسرة الصحراوية في هذه الأقاليم تتحدث المخطوطة[1] عن طبيعة تكوين هذه الأسر وحقيقة ما كان يدور من الأمور المتعلقة بالزواج والطلاق وما بينهما، فهي تخبرنا مثلا عن الخطبة وأهم شروطها وأحكامها، وكيف تتم بين المخطوبين، إضافة إلى الصداق وطبيعته مقدما ومؤخرا، وما كان يصحبه من عادة تقديم الهدايا بين المخطوبين في الأعياد والمناسبات. كما أن بعض النوازل الواردة في المخطوطة[2] تدلنا على ما كان يفعله بعض الآباء في هذه الأقاليم من منحهم الهبات لبناتهم من حرير وقطيفة وعقارات وما إلى ذلك في حال الصغر قصد تجهيزهن في حال الكبر.

ومن مظاهر الحياة الأسرية التي يؤرّخ لها المؤلف أيضا ظاهرة الزواج المختلط بين الأجناس، وكذا طريقة زواج اليتيمة بعد رشدها، إضافة إلى سن الزواج الذي كان يبدأ مع الفتاة

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 11.

2. ينظر مخطوط الغنية ص 15.

أحيانـا مـن سـن دون العاشـرة[1]. كمـا يصـور لنـا أيضـا بعـض الوضعيات الخاصـة للأسـرة التواتيـة فـي أحكـام الـزواج وبخاصـة البنت التي قطع عنها وليها النفقة، والتي كانوا يزوجونـها أحيانـا قبل البلوغ، ويكون وليها السلطان لأن أباها صار كالميت[2] وفـي الحياة الأسرية دائمـا يعطينـا المؤلـف نبـذة تـاريخيـة[3] عن بعـض كبـار النسـاء فـي الإقلـيم ومـاكن يتمـتعن بـه مـن حريـة فـي اختيـار الزوج والوكيل أحيانا.

وفي الجانب الآخر من هذه الحياة الأسرية يؤرخ لنـا المؤلـف لكثيـر مـن المشـكلات والنزاعـات الأسـرية عارضـا أهـم مظاهرهـا وسبل علاجها القانوني والشرعي أحيانـا، مـن ذلـك تمثيلا زيـارة الأقـارب والأهـالي، وتبـاين الجنسـين، ومـا يسـببه كـل ذلـك مـن خلاف بين الزوجين، إضافة إلـى تعدد الزوجات وصعوبة العدل بينـهن وما إلى ذلك.

وفـي هـذا البـاب أيضـا نقـف علـى صـورة أخـرى مـن صـور العلاقات الأسرية بين الآباء وأبنـائهم والتـي لـم تكن فـي مجملهـا علاقة حب وود، بل كانت تشوبها الخلافات أحيانا خصوصـا عنـد أولئـك الـذين كـانوا يرهنـون مسـتقبل أبنـائهم بمسـتقبلهم هـم، فيشـترطون مثلا عنـد زواج بنـاتهم بعض الاحتياجـات والمطالـب الخاصة بهم، ويرهنون بها موافقتهم على الزواج، وهـو مـا رأى فيه علماء توات خروجا عن الشرع والقانون، وأجازوا للبنت أن

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 11.
2. ينظر مخطوط الغنية ص 11.
3. ينظر مخطوط الغنية ص 12.

توكل عمها للعقد عليها[1]، وبهذه الطريقة تزوجت كثير من البنات وتخلصت من ربقة السيطرة الأبوية.

وفي الجانب التاريخي دائما يعطينا المخطوط صورة واضحة لطبيعة العلاقات التي كانت تربط علماء الإقليم خاصة مع غيرهم من علماء العواصم الإسلامية والتاريخية، وبخاصة علماء حواضر المغرب الشقيق كعلماء حاضرة فاس وسجلماسة وغيرهما .فهذا المؤلف نفسه الشيخ ولد سيدي الحاج وبعد استقباله لبعض الأسئلة يوجهها مباشرة لاستشارة عالم سجلماسة الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز ويتلقى منه الجواب سريعا[2].

وإلى هذه الجوانب جميعا يؤرخ لنا المخطوط أيضا لكثير من مظاهر الحياة الاقتصادية والدينية والعلمية في هذه الأقاليم، فهو يتحدث عن نظام السقي التقليدي والمعروف بنظام الفقارة[3] العجيب ونظام توزيعه الأعجب الذي أشاد به ابن خلدون[4] في تاريخه، إضافة إلى حديثه عن نظام الزراعة والغراسة. وفي الجانب الاقتصادي دائما يعطينا المؤلف نبذة عن كثير من

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 12.

2. ينظر مخطوط الغنية، ص11.

3. نظام الفقارة هو عبارة عن سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في شكل تصاعدي ،لينتهي الماء أخيرا على سطح الأرض.

4. ينظر العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون. مج7، ج13 ص 118 وما بعدها .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.

الموازين والمكاييل المستخدمة، إضافة إلى أهم العملات النقدية التي كانت متداولة في الإقليم.

وفي الحياة العلمية والدينية يؤرّخ لنا المؤلف لطريقة التدريس في الكتاتيب القرآنية وأهم مراحلها[1]، من افتتاح اللوح بحروف (أ ب ت ث) بحسب بداية الصبيان ثم بالتهجي إلى ثلث القرآن، لتبدأ مرحلة الحفظ إلى ختام سورة البقرة، ثم الرجوع من سورة البقرة إلى الختام، ثم الصعود مجددا. ليُطرح اللوح وتبدأ دراسة المتون والتفاسير

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 04.

المتخصصة والتي عددها المخطوط كتابا كتابا. وإضافة إلى هذا نجد المؤلف يتحدث عن أهم خزائن المخطوطات والكتب التي كانت في بيت العلماء والفقهاء وما احتوته من عناوين هامة.

وبالموازاة مع كل هذه الأحداث التاريخية فقد جاء مخطوط الغنية من أوله إلى آخره حافلا بالقضايا القانونية التي جاءت لتنظم حياة التواتيين في تلك المرحلة، وعاكسة في الوقت نفسه جل القضايا السائرة في معاملات الناس فيما بينهم من قوانين الأحوال الشخصية، وقوانين العقوبات مرورا بأهم القوانين المدنية، و كذا القوانين التجارية، وصولا إلى أهم قوانين الأحوال الشرعية وهذه عينة تمثيلية لاحصرية لأهم تلك الأبعاد القانونية في هذه المخطوطة:

أولا: من قوانين الأحوال الشخصية:

تتحدث هذه النوازل في هذا الباب عن كثير من القوانين المنظمة لأحكام النكاح وتوابعه[1]، والطلاق وما يتعلق به[2]، والخلع ومتطلباته[3]، وقوانين العدة[4]، والنفقات[5]، والحضانة[6]، والقسمة، والمواريث[7]، وفي كل مرة كان المؤلف يتعرض لنازلة من هذه النوازل إلاّ ووقف أولا عند أهم الأحكام

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص 50 وما بعدها
2. ينظر مخطوط الغنية ص40 وما بعدها وص 88 وما بعدها
3. ينظر مخطوط الغنية ص 84 وما بعدها
4. ينظر مخطوط الغنية ص 120 وما بعدها
5. ينظر مخطوط الغنية ص 124 وما بعدها.
6. ينظر مخطوط الغنية ص 136 وما بعدها.
7. ينظر مخطوط الغنية ص 776 وما بعدها.

المنظمة لها شرعا من ولي وصداق وعدة، وما إلى ذلك من القوانين والشروط الأساسية لكل مسألة، والتي لم تكن تخالف في شيء يذكر أهم القوانين الوضعية المتبعة في هذا المجال.

ثانيا من قضايا القانون المدني:

ضمن المؤلف في هذا الجزء الكثير من القوانين المسيرة لأنظمة البيوع وما شاكلها[1]،،و قوانين القرض و الرهن[2]، وشروط الصلح[3]، والضمان والحجر، والضرر،والوديعة، والرهن، والإرفاق[4]، وكذا متطلبات الوكالة والإقرار، وقوانين الإيجار، والحبس، والحيازات، وسائر العطايا[5]. وفي هذه المسائل القانونية جميعها لم يكن الشيخ يكتفي بعرض النازلة وحلها فحسب،

---

1. ينظر مخطوط الغنية ص32 وما بعدها ، وص 57 وما بعدها.
2. ينظر مخطوط الغنية ص 206 وما بعدها.
3. ينظر مخطوط الغنية ص 222 وما بعدها.
4. ينظر مخطوط الغنية ص 210 وما بعدها.
5. ينظر مخطوط الغنية ص 700 وما بعدها .

بل كان يتعدى ذلك إلى الوقوف عند جملة من القوانين المنظمة لأي حكم .فهو في باب البيوع مثلا يقدم النازلة بادئا كما وردت في نص سائلها، ثم ينطلق من ذلك للتعريف بالبيع وأنواعه مثلا، ثم أهم الأحكام القانونية التي تنظمه في هذه الأقاليم.

وإلى هذا جميعا يقف القارئ لهذه النوازل على جملة أخرى من الأحكام والمسائل المنطلقة من عمق المنظومة القانونية التي كانت تحكم الإقليم من ذلك أهم القوانين المتعلقة بمجال العقوبات مثل قوانين السرقة والزنا، والغصب[1] وغيرها من أشكال الجريمة[2] التي كانت سائدة في الإقليم .كما نجد أيضا قضايا متعلقة بأحكام القانون التجاري مثل مسائل الشركة،والإبراء والبيوع و الإجارة والإكراء، ما شاكل ذلك[3] ويضاف إلى هذا أيضا عديد القوانين المتعلقة بقضايا الأحوال الشرعية كقضايا العتق والنذور وغيرها.

1. ينظر مخطوط الغنية ص 360 وما بعدها وص 718 وما بعدها
2. ينظر مخطوط الغنية ص 718 وما بعدها
3. ينظر مخطوط الغنية ص 138 وما بعدها وص 466وما بعدها

الخـاتـمــة:

وفـي الأخيـر وجـب التـذكير إلـى أن مخطـوط غنيـة المقتصد السائل يعتبـر بحـق مـن أضخم أمهـات الكتب التـي أرّخـت وقنّنـت لكثير من القضايا والمسائل التي نزلت بتوات، وحكمت المجتمع خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وما قبلهما، كما أن هذه النوازل جميعها جاءت لتعطينـا صورة واضحـة عن ديـوان الحكم فـي الإقليم، الـذي بُنـي أساسـا علـى فكـرة مجلس الشـورى الربـاعي -كما رأينا -وليكـون هـذا الـديوان فـي توحيد آراء العلماء حوله،واجتماعهم على الإجابة الواحدة فيه،وجمعهم لكـل ذلـك فـي مخطـوط واحـد أعظـم وأهـم منظومـة قانونيـة استطاعت أن تؤرخ لكثير من مراحل الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها بالإقليم .

ومن ناحية المضمون فإن مخطوط الغنية قد وظف جملـة من مصـادر التشـريع المـالكي[1] المعروفـة والمتداولـة فـي أقاليمنـا المغاربيـة علـى الأقـل، وقـد فاقـت الثلاثـين مصـدرا مـن مصـادر التشـــــــــــــريع والتـــــــــــــــأريخ

---

1. ينظر: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل دراسة وإخراج أ محمد الدباغ وآخرون .ص 13 وما بعدها .وحدة بحث الجامعة الإفريقية أدرار، الجزائر.

العالميين نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا: كتاب الواضحة لأبي مروان الأندلسي (ت 238)، ومدونة الإمام سحنون (ت240هـ)، وكتاب ابن المواز الإسكندراني (ت269هـ)، والرسالة لأبي زيد القيرواني (ت 386هـ)، وكتاب الإعلام بنوازل الأحكام للإمام ابن سهل(ت486هـ)، ونوازل ابن رشد (ت 520هـ)، وكتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للقاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي، وكتاب مجالس المكناسي أو مجالس القضاة والحكام وغيرها من أمهات المصادر التشريعية والقانونية. أما في الجانب التاريخي فلم تغب الإشارة في هذه المخطوط إلى بعض مصادر التاريخ التواتي خاصة التي سادت وانتشرت قبل القرن الثالث عشر واستفاد منها المؤلف في عرض كثير من مواده التاريخية، كمخطوطات الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني التي أرّخ فيها لرحلاته العلمية داخل وخارج الوطن، والتي عدد فيها جملة من شيوخه في فاس وسجلماسة وغيرها، إضافة إلى مجموع الإجازات التي خطها ومنحها الشيخان أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي(1244هـ) وابنه الشيخ سيدي عبد العزيز (1261هـ)،وتضمنت كثيرا من الأخبار، ويضاف إلى هذه المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الغنية أيضا مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية لمؤلفه الشيخ سيدي عبد القادر المهداوي،الذي هو عبارة عن كتاب تراجم لعديد الشخصيات العلمية وغيره كثير.

لهذه الأسباب وغيرها كثير كانت الغنية ولا تزال في كثير من تقاطعاتها المعرفية واهتماماتها القانونية والتاريخية المشتركة مصدرا أساسيا من مصادر التشريع والتأريخ معا في أقاليم توات،وما جاورها من بقية الأقاليم العربية والإسلامية، وما كثرة نسخها التي لا تخلو خزانة منها رغم حجمها الكبير جدا من جهة، وما تداولها بين علماء وطلبة المدارس والزوايا

القرآنيـة إلـى الآن، إضـافة إلـى مرجعيتـها التاريخيـة والتشـريعية عنـد كثيـر مـن الكتـاب والمـؤرخين المحـدثين مـن جهـة أخـرى إلاّ خير شاهد على ما نقول.

المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

1. تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني: العالم عبد الرحمن بن عمر التنلاني. خزانة قصر تنلان. ولاية أدرار.
2. ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. الحاج محمد بكراوي(المنيعة).
3. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني: محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
4. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
5. الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم .خزانة قصر تمنطيط أدرار.
6. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
7. رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري .خزانة قصر تمنطيط أدرار.
8. غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل .جمع مشترك بين سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن ،وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن سيدي محمد الجزولي .خزانة تمنطيط أدرار.
9. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: مولاي أحمد

الطاهري الإدريسي. خزانة قصر كوسام. أدرار.

10. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد الجعفري. خزانة قصر بودة. ولاية أدرار.

- المطبوعة

1. إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.
2. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، 17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد. ط1، 2003. الجزائر.
3. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم .ط1 .2005 دار هومة الجزائر .
4. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .ج1و2. الشيخ مولاي التهامي. ط1. مارس 2005. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. الجزائر.
5. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.
6. العي المصروم شرح نظم ابن أُبّ لآجروم. محمد بن بادي الكنتاوي.
7. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني .الشيخ محمد باي بلعالم. ط1. 2005 الجزائر.
8. غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل دراسة وإخراج أ محمد الدباغ وآخرون. وحدة بحث

الجامعة الإفريقية أدرار، الجزائر.

9. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2، الجزائر 2002م.

10. محمد بن أب المزمري (1160هـ)حياته وآثاره. أحمد جعفري .ط1. 2004. دار الكتاب العربي الجزائر.

11. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر.

البحـــث التاسع عشر

العمارة الإسلامية في أقاليم توات تاريخها، ونمط أشكالها، هندستها ومواد بنائها، مبادئها وأبعادها القيمية[1]

---

1. البحث منشور بمجلة" تراث" الصادرة عن نادي تراث الإمارات أبوظبي الإمارات العربية المتحدة. العدد 115 مارس2009.

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

تعد الأقاليم التواتية[1] من أعرق المناطق الآهلة بالسكان في الشمال الإفريقي قاطبة ويرجع تاريخ اختطاطها على الأرجح إلى ماقبل الإسلام[2] حيث كانت تسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير[3] في غضون القرن الرابع

---

1. تقسم توات إلى ثلاثة أقاليم حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولاية حالياً وهي من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهي إلى الشمال من قصر تبلكوزه شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما توات فهي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ص02 ، المطبعة الملكية الرباط ،1381 هـ، 1962م، وسكان تدكيلت القدماء والاتكال على النفس .الحاج التومي سعيدان ص18 وما بعدها. ط01، 2005.دار هومة الجزائر، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار (د،ت).
2. ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ 106 هـ ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام 517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (Bernard) في بحثه عن تاريخ الإقليم أن عمارة الإقليم بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).

2. هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها

الهجري، ولاأدل على ذلك من كثرة الحديث عنه في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم على السواء، فهذا ابن خلدون[1] (ت.808هـ) يتحدث عن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها قائلا: "... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان" [2]. ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر من الكتاب واصفا قصورها وعمرانها ونشاطها التجاري بقوله: "... وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذة من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي

مخافة. الرحلة العياشية ماء الموائد.ص**18** الجزء الأول. ط **2**. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط **1397**هـ. **1977** م.

3. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج **1**، ج**1** ص **93**، مج **6**، ج**11** ص **120**، **123**، **133**، **206** .مج**7**، ج**13** ص **118**، **119** .دار الكتاب اللبناني **1983**م بيروت لبنان .

2. المصدر نفسه مج**1**، ج**1** ص **93**.

من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى إليه بينه "[1].

ورغم أن ابن خلدون لم ينزل بأرض توات في أصح الروايات إلاّ أن له في وصفها أمرا عجيبا نراه معه يتعرض إلى أدق التفاصيل العمرانية للإقليم، كما جاء في حديثه عن آلية استخراج المياه العجيبة في الإقليم، والمعروفة محليا ب (الفقارة). وهي سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في طريقة تصاعدية عجيبة، وطريقة توزيعية للمياه أعجب. يقول ابن خلدون عن كل ذلك: " وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى.وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فُتحت بالمعاول والفؤس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد تُكسر طبقها عن الماء، فينبعث صاعداً فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض وادياً. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووراكلا وريغ.والعالم أبو العجائب. والله الخلاق العليم"[2].

---

1. المصدر نفسه مج6، ج11 ص120.
2. تاريخ ابن خلدون مج7، ج13 ص118 ومابعدها.

وقبل ابن خلدون وبعده نجد أحاديث كثيرة عن الأقاليم التواتية وعمارتها في كتب الرحالة والمؤرخين،كابن حوقل[1] والكرخي[2]، وابن بطوطة[3]، وابن خلدون[4]، والحسن الوزان[5]، وعبد الرحمن السعدي[6]، وأبي سالم العياشي[7]والحاج بن الدين

---

1. أشار لها في كتابه صورة الأرض ص 83 طبعة بريل 1938.
2. أشار لها في كتابه المسالك والممالك ص36 .تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي. 1961 مصر.
3. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص699 و700. دار صادر بيروت.
4. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج1، ج1 ص93، مج 6، ج11 ص120 ،123 ،133، 206. مج7، ج13 ص119،118 .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .
5. ذكرها في كتابه وصف إفريقيا ج 2 ص 133 وما بعدها .ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر .1983 دار الغرب الإسلامي .لبنان .
6. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها.
7. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص20. تحقيق محمد حاجي، ط2، 1397هـ، 1977م ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر. والعياشي وكانت زيارته للإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ. وزار الإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ.

الأغواطي[1] بالإضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف[2]، والمؤرخان الفرنسيان: مارثان[3] وبرنارد سافرو[4] وغيرهم.

والإقليم التواتي في حدوده القديمة يمتد من حدود واد الساورة إلى حدود صحراء تنزروفت حيث يعتبر الشيخ البكري أن "بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما... وغربا عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما،ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعا لبلاد البيض سيدي الشيخ، وعدد قصوره في القرن الحادي عشر مائتا قصرا أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط"[5]. وهو تابع في عهدنا الحالي

---

1. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه ، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة. ينظر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ. أبو القاسم سعد الله. ج2. ص401. ط2 الجزائر1985.
2. زار الإقليم سنة 1864 م وتحدث عنها في كتاباته. المصدر السابق. ص64.
3. زار الإقليم سنة 1904 م. وكتب عنه في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب 1504 إلى 1902م) المصدر نفسه. ص45.
4. ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات(معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي العلمي غرداية.
5. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص3. الشيخ سيدي محمد بن عبد عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص131 وما بعدها. الحاج محمد العالم.

إلى ولاية أدرار جنوب العاصمة الجزائر بنحو 1500كلم.

وبالرجوع إلى الجانب العمراني في تاريخ الإقليم التواتي نجد أن نص ابن خلدون السابق من أقدم النصوص التي تناولت بالحديث عمارة الإقليم فحديثه عن تمنطيط وعمارتها كان محل إعجاب كبير لديه، بل إن حديثه عن تخطيط وهندسة التواتيين للفقارة كان عجيبة لم يسبق له أن اطلع عليها.

وبعد ابن خلدون جاء المؤرخ سيدي محمد بن بابا حيدة وخصص كتابا مستقلا لمدينته تمنطيط و هندستها، وطبيعة أبنيتها قائلا: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل هي متلاصقة العمران... وحولها أصول وبساتين ماؤها فقاقير جارية... وقد جاء الماء من الجهات الثلاث شرقا وغربا وقبلة بخلاف غيرها من البلدان، ويقال بها ثلاثمائة وستة وستون فقارة منها ما هو جار الآن ومنها ما هو معطل، قيل وقصور عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر"[(1)]

ومعلوم أن النمط العمراني لهذا القصر بالذات في تلك الفترة وماقبلها هو خليط في هندسته بين النمط الإسلامي والنمط الإفريقي إلاّ أن هذا النص التاريخي، وما سبقه به ابن خلدون يمكن أن يقودنا إلى جملة من الاستنتاجات الأولية أهمها:

1. انضواء مجموعة مما يعرف محليا بالقصور أو القصبات وبأسمائها الخاصة تحت مسمى جامع فنجد تمنطيط وفيها كما

---

1. محمد بن بابا حيدة. مخطوطه القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.

قال المؤرخ ثلاثمائة وستة وستين قصرا متصلة بعضها ببعض.
.

2. **تقارب القصور، وتلاصق العمران .**
3. **بناء المدينة وسط مجار ثلاثة للمياه وهي ما تعرف محليا بالفقارة.**
4. **إحاطة المدينة بواحات النخيل أو ما يعرف محليا بالجنة.**

لقد كانت المجتمعات الإسلامية في إقليم توات -وإلى وقت قريب جدا -تسكن في تجمعات سكنية جماعية محاطة بصور خارجي ضخم، فردي حينا ومزدوج حينا آخر. ويسمى التجمع عامة القصر أو القصبة. ويجمع على قصور .

يتشكل القصر من بناية خارجية عامة بداخلها مساكن فردية، ويحكم القصر عامة باب خارجي كبير. كما تأتي معظم هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية وبأبراج أربعة أو خمسة بحسب شكل القصر.

وهذه التحصينات الدفاعية في إنشاء العمارة التواتية تمتد جذورها كبقية المدن الإسلامية من فعل الرسول (ص) في المدينة المنورة وما قام به من حفر للخندق بها من الجهة الشمالية جهة الخطر حينها وقد كان بطول 1300 ذراع وبعمق أربعين ذراعا[1]

وأول ما يتبادر إلى الأذهان بعد الإطلاع على هذه التصاميم هو طبيعة البيئة الصحراوية التي وجدت فيها هذه القصور والتي كانت في مجملها بيئة حربية[2]يغزو فيها القوي على الضعيف.

وإذا توغلنا إلى داخل القصر وجدنا هناك البيوت والأزقة الضيقة بسبب مساحة القصر الإجمالية التي تتحكم فيها الظروف الاقتصادية وتحت البيوت تكون هناك دهاليز صغرى للتبريد والحفظ، وتحت القصر إجمالا هناك الدهليز أو النفق الجامع الذي تتخذه الجماعة للتبريد في فصل الصيف الحار، و وسط كل هذا يأتي المسجد كأهم بناية في وسط القصر. وبالقرب منه أحيانا هناك بئر الشرب الاحتياطي.

وفي العموم تتشكل هذه البنايات العامة في هندستها من مكوّنات أساسية مرتبة من الخارج إلى الداخل هي:

1. الخندق الدائر بالصور: ويملأ أحيانا بالماء لدفع العدو كما يكون أحيانا بدون ماء.

---

1. ينظر: الدكتور ابن يوسف ابراهيم .مدخل لدراسة المدينة الإسلامية .مجلة المدينة العربية العدد 49، ص 16. وما بعدها.

2. لقد سجل الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام معظم هذه الحروب والفتن التي دارت رحاها في الإقليم تباعا .

2. القنطرة: وهي المعبر الخارجي الذي يقطع الخندق إلى مدخل القصر، وتصنع من الخشب وجذوع النخل القوية المشدود بحبال غليظة من ألياف النخل، وتشيد القنطرة عادة أمام أبواب القصور بطريقة تتحكم فيها الجماعة في رفعها وخفضها، إذ أنها تنصب فجرا للدخول والخروج وترفع بعد العصر وقبيل المغرب خوفا من الأعداء.

3. الصور الخارجي المثقب: ويكون سميكا جدا بعرض خمسين سنتيما تقريبا وهذا لعزل الحرارة الخارجية وكسرها. كما يأتي أحيانا مزدوجا. كما توضع على شرفاته أحجار كبيرة مشدودة بحبال غليظة من ألياف النخل وتستعمل في دفع الأعداء المتسلقين الجدران.

4. أبراج المراقبة: وتكون في زوايا القصر الأربعة وهي رباعية في تصميمها، وتكون عالية الطول فارغة الوسط، وهذا لاستغلالها في الحراسة والمراقبة.

5. المدخل الرئيسي: وهو باب خشبي كبير جدا يعرف محليا بفم القصر ويتخذ من جذع النخل وبعض القطع الحديدية لمسك الجذوع. كما يصنع قفله من أدوات حديدية محلية الصنع في شكل أسنان المشط ويسمى(أفكر).

6. البيوت: وتتشكل من مدخل خشبي وغرف ثلاثة إلى أربعة زائد مطبخ وفناء عام يسمى الحوش، ويكون مفتوح الأعلى يتوسط الدار ويؤمن عنصر الإضاءة والتهوية لكل غرف البيت، كما "يساعد على تنظيم الحرارة داخل المسكن حيث إن تجمع الهواء البارد طوال الليل يؤدي إلى توفير قدر من البرودة أثناء

النهار"[1]، وبفضل هذا الفناء المفتوح أيضا " اجتذب المهندس العربي الفضاء الخارجي ليكتفي به أهل الدار عن البيئة الخارجية، فينعمون بنسمات الهواء أثناء الصيف وبأشعة الشمس خلال الشتاء"[2] ويضاف إلى هذا سقف البيت الذي يكون من مواد النخلة المطلي بمعجون الطين المحلي فوقه ليتشكل لنا ما يعرف بالسطح الذي يستغل في فصل الصيف الممتد هنا لستة أشهر تقريبا.

---

1. المهندس كمال جلوقة: العمارة التقليدية والتوافق مع البيئة .ندوة العمارة الخضراء القاهرة 1991م.
2. الدكتور أحمد الصاوي: المنزل العربي كيف كان.

وفـي الجهـة السفلية للبيت يكـون بيت الخـلاء. ويكـون مسـطح ومثقـب، وتسـتعمل فيـه الحجـارة والطـوب للإسـتبراء بعيـدا عـن المـاء الـذي لايـتلاءم مـع طبيعـة البنايـة الطوبيـة. كمـا تغطـى الفضـلات فيـه مـن حـين لآخـر بـالتراب منعـا للرائحـة الكريهـة، وتسهيلا لعملية صرف الفضلات عن طريق الدواب.

ومعلوم أن العرب قبل الإسلام لم تكن تعرف بنـاء المـراحيض فـي البيـوت، فلمـا جـاء الإسـلام اتخـذ المسـلمون المـراحيض فـي مسـاجدهم للطهـارة أولا ثـم عممـوا ذلـك علـى دورهـم ثانيـا. وقـد استمدت هذه المراحيض حدود وضعها وشكلها في الغالب من الشريعة المحمدية بناء علـى مـا جـاء فـي الحديث الشريف الـذي رواه أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-وقـال فيـه النبـي (ص) (إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يولـها ظهـره شـرِّقوا أوغرِّبوا)[1].

ووسـط ظـروف بيئيـة صـحراوية قاسـية يتقاسـمها فصـلا الصيف والشتاء كـان لزامـا علـى المهنـدس التـواتي أن يفكـر فـي تلطيف الجو داخل البنايات والأزقة، فكانت التضيق فـي مسـاحة الأزقة أحد العوامل الخارجية الأولية لفعل ذلك،وإذا توغلنـا داخـل البيـــــــــــــــت وجـــــــــــــــــــــدنا

1. البخاري، صحيح البخاري ص45. المجلد الأول.الجزء الأول. شركة الشهاب 1990. الجزائر .

البيت هو منتوج مواد بناء محلية ملائمة لطبيعة الحر والبرد الصحراوية، وإلى هذا أيضا جاء سقف البيت عازلا للحرارة بفعل تركيبته من الطين ومواد النخيل، ويضاف إلى كل هذا أخيرا فناء الدار الواسع والمفتوح من جهة ثم النوافذ والفتحات داخل الجدران. وتكون الإضاءة في السقف غالباً بشكل فتحات فوقية، أما الإضاءة الجدارية فنستعمل بكثرة الفتحات الجانبية، وأمام كل هذا هناك الدهليز الخارجي الواسع تحت القصر والذي يجمع جميع أفراد القصر.

7. الشوارع الرئيسية: وهي عبارة عن ممرات عامة كبرى تتقاطع داخل القصر وتربط بين مرتكزاتها الأساسية كالباب الخارجي والمسجد والبئر وغير ذلك وهذه الشوارع تخصص فقط لحركة السير والعبور ولا يسمح بالتجمع فيها إلاّ بالشروط التي حددها الشرع في حديث حق الطريق المعلوم.

8. الأزقة: وهي عبارة عن ممرات ضيقة تربط الدور بالشوراع الرئيسية وعادة ما تكون محاطة الجانب بعتبات صغيرة في شكل مقاعد على طول الزقاق تستغلها الجماعة في الحديث والمؤانسة، كما قد تستغلها النسوة أيضا في بعض الصناعات التقليدية الجماعية.

9. المسجد: المسجد وهو أهم بناية في القصر، يتخذ منبره ووجهه كما هو معلوم باتجاه القبلة .ويتخذ لنفسه هندسة خاصة عمادها الأروقة المفصولة بالأقواس ويكون عدد الأقواس تبعا لطول الأروقة أما عدد الأروقة فيكون تبعا لمساحة المسجد داخل القصر. وفي مقدمة المسجد يكون المنبر في شكل فتحة نصف دائرية في الجدار القبلي للمسجد وبقطر متر ونصف تقريبا.

10. بئر الشرب: ويكون هذا احتياطا لأوقات الحرب التي يغلق فيها باب القصر لمدة قد تطول وقد تقصر بحسب ظروف

الحرب، ومن ثم وجب أخذ الاحتياط من المياه عن طريق هذا البئر الذي يتوسط القصر. وهذا كله في غياب الفقارة التي يكون مجراها خارج القصر.

11. فقارة الشرب والسقي: وهي عبارة عن مجموعة من الآبار المتسلسلة والمتصلة بعضها ببعض بطريقة تصاعدية تمر بجانب القصر وتصب في البساتين وفق نظام سقي عجيب ودقيق جدا. وعددها في الإقليم قديما كان يفوق الألفي فقارة لكن العدد نزل مؤخرا إلى أقل من النصف مع انخفاض منسوب المياه عن آبارها أحيانا وموتها أحيانا أخرى. وقد تحدث عنها ابن خلدون في عبره[1]، والعياشي في رحلته[2].

12. المخزن الخارجي: وهو ما تسميه الجماعة بالميشار ويكون إلى جانب البيت ويبتعد عنه أحيانا، وهو فناء مربع الشكل في غالبه، محاط بجدار طيني نصفه مفتوح والآخر مغطى، وفيه تحفظ المنتوجات السنوية من التمر والزرع والقمح وشتى أنواع المدخرات .

13. بيت الحيوانات: وهو عبارة عن بناية صغيرة على جانب البيت تتشكل من فسحتين أساسيتين الأولى مغطاة والثانية بدون غطاء، وتُتّخذ مأوى للحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان الصحراوي، ويعيش عليها وعلى ما توفره له من لحم وحليب و وبيض وجلد وصوف وما إلى ذلك .

---

1. ابن خلدون تاريخ ابن خلدون. مج7، ج13 ص 118 وما بعدها .

2. ينظر: أبو سالم العياشي. ماء الموائد الجزء الأول. ص 20.

وخارج البيت يوجد داخل القصر مجموعة من الأبنية المتشابهة بالإضافة إلى الأزقة والشوارع ووسط كل هذا يأتي المسجد كمركز محوري داخل القصر.

14. النفق أو الغار: وهو نفق كبير وواسع تتعاون جماعة القصر على حفره وهندسته، ويكون بعمق كبير وطبقة فاصلة سميكة بينه وبين أساس القصر. يستعمل الدهليز ويسمى(الفقارة) أيضا كملجإ لسكان القصر في فصل الصيف لما يوفره من برودة في الجو العام. ويُتخذ لمدخله غالبا بابان متقابلان مما يساعد في حركية الهواء ودورانه بداخله.

15. مصلى العيد: وهو عبارة عن فضاء مفتوح وغير محدد تتخذه الجماعة لصلاة العيدين والاستماع للخطبة وهو خال من كل أشكال البناء إلاّ من المنبر النصف الدائري الذي يتوسطه جهة القبلة.

16. الأسواق: وهذه لا تكون إلاّ في بعض المدن الكبرى كتمنطيط وغيرها لأن الإقليم كان به نشاط تجاري مميز، حتى اعتبر حلقة الوصل الأساسية بين الأسواق في شمال مدن إفريقيا كالجزائر وتونس والمغرب وليبيا وفي جنوبها كمدن كانو وشنقيط وأروان وأقدز وغيرها. وفي ذلك يتحدث العياشي(1090هـ) في رحلته عن سبب طول إقامته في هذا الإقليم: " وسبب إقامتنا في هذه البلاد هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلالت أخروا الصرف إلى توات، فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تمبكتو ومن بلاد أقدز

من أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير"[1]

17. المقبرة: وهي قبور جماعية متلاصقة لا تحكمها هندسة محددة تتخذها جماعة القصر أو القصبة لدفن موتاهم، وقد تتعدد

---

1. المرجع نفسه .

المقابر داخل القصر أو المدينة الواحدة، ويتخذ القبر فيها شكل بناء أرضي مرتفع بين عشر سنتمترات إلى عشرين من الأرض بالنسبة للقبور العادية وبين أربع مترات إلى خمسة بالنسبة لأضرحة العلماء والأولياء. ويكون بناء القبر بوضع حَجَرتين تتفاوتان في الطول حيث توضع الكبرى منهما على رأس الميت جهة الجنوب، بينما توضع الصغرى عند رجلي الميت جهة الشمال، وهذا كله انطلاقا من وجهة القبلة الشرقية.

18. الأضرحة: هي أبنية في شكل قباب تتفاوت طُرق بنائها وهندستها من منطقة إلى أخرى. وتعتبر الأضرحة أحد أهم أنواع العمارة التي اعتنى ببنائها التواتيون تقديسا منهم لساكنيها الموتى من العلماء والأولياء. وتختلف هذه الأضرحة في تصاميمها من منطقة إلى آخرى داخل الإقليم الواحد إلاّ أن لها طابعا عاما يوحدها غالبا من بناء عام مقبب في شكل مربع أو دائري له مدخل صغير، كما تتزين هذه الأضرحة أو القباب بنتوءات خارجة متصاعدة من حجارة صغيرة تساعد على الصعود إلى أعلى القبة قصد الصيانة والترميم وغيرها.

-أهم المواد المستعملة في بنائها:

شيّدت العمارة التواتية في معظمها من الطين والحجارة أولا ثم من مادة الطين وحدها وذلك بعجنها وخلطها بالماء ثم تجفيفها تحت أشعة الشمس، كما تشيّد أساسات البناية غالبا من الحجارة والطين فقط وهذا تبعا للكلفة الاقتصادية البسيطة.

ويكّون سقف البيت مركبا أساسا من مواد النخلة ومشتقاتها، فالجذوع تمتد على طول وعرض الحائط، وبينهما يكون الكرناف وألياف النخلة لسد الفراغات، تم يمسك كل ذلك بطبقة سميكة من الطين لمنع تسرب المياه وفي الأعلى يحاط السطح بجدار على امتداده لتوفير عنصر الستر بين الجيران في فصل الصيف، وقد يحتاج البناء لوضع طابق أعلى فوق الطابق الأرضي وقبل السطح.

أما الأبواب في الأبنية التواتية فإنها تصنع من جذوع النخيل المتوفرة محليا بعد أن تتم زخرفتها ومسكها بعضها ببعض. ولولا ما وفرته هذه الأدوات المحلية المستعملة في تشييد العمارة الإسلامية في توات، لما استطاعت هذه الأبنية أن تجد لنفسها قوة ومناعة تقاوم بهم عوامل الطبيعة القاسية لقرون عديدة، والغريب هنا أن كثيرا من الأبنية المبنية حديثا أصبحت فريسة سهلة لظروف الطبيعة

من رياح وأمطار أمام مرأى ومسمع من هذه الأبنية التليدة. بل إن ما صمد من هذه الأبنية الحديثة وفلت من قبضة الزمن فإن لصاحبه مع البرد شتاء والحرارة صيفا قصص أخرى كلمة الفصل فيها أولا وأخيرا للآلة بدل الطبيعة.

-خصائص العمارة الإسلامية في هذا الإقليم:

1. بناء القصر فوق هضبة مرتفعة بهدف الإستطلاع والكشف

2. تموقع البيوت والدور في بناء جامع داخل صور محاط بخندق وبأبراج في كل أركانه وهو الذي تسميه الجماعة بالقصر أوالقصبة.

3. تخصيص غرف داخل البيوت للضيوف وتكون منفصلة في الغالب عن البيت الرئيسي.

4. تلاصق الدور والأزقة وهو ما ساعد في ربط أواصر المحبة والألفة بين أبناء القصر.

5. اتخاذ المسجد وسط القصر كنقطة ارتكاز رئيسية وأساسية لكل بناء ومن حوله بقية الدور.

6. خلو العمارة التواتية من الزخرفة وكافة الأشكال الهندسية إلاّ نادرا وفي بعض المساجد.

7. انسجام الأبنية بعضها البعض من وجهة الإرتفاع تحديدا، وهو ما نبه إليه الشرع في ضرورة احترام حرمة الجار.

8. خلو هذه البنايات من الحدائق الداخلية وهذا لوجود مساحات كبرى خارجية تعرف بالجنة.

9. اعتمادها على الدهاليز والأنفاق للتخزين ولكسر حرارة الصيف.

10. الحرص على حق الطريق ونظافتها.

-الأبعاد الروحية والجوانب الأخلاقية والاجتماعية في تصميم العمارة التواتية:

لقد شكلت العمارة الإسلامية في توات لنفسها طابعا إقليميا مميزا ناتج عن بروز جملة من المؤثرات الدينية و البيئية والاجتماعية المحلية التي تتحكم فيها، وإلى أبعد حد العادات والتقاليد والبيئة والمناخ وما إلى ذلك. ولعل أهم ما نلاحظه على هذه العمارة أنها جاءت في هندستها وتخطيطها مراعية لمبادئ الشريعة الإسلامية الداعية إلى:

1. الفصل بين مجمع النساء ومجمع الرجال. وهو ما نجده مجسدا في تقسيم البيوتات إلى واجهتين وبابين تقريبا باب مخصــــــــــــــــــــــــــــــــص

للنساء وآخر مخصص للرجال.

2. الدعوة إلى إكرام الضيف. ولهذا رأت العمارة الإسلامية ضرورة تخصيص حجرة مستقلة في واجهة البيت. وأحيانا تكون بجميع مرافقها كما أن بابها غالبا يكون دون قفل تسهيلا لعملية دخول وخروج الضيف.

3. الفصل بين الأبناء الذكور والإناث في المضاجع ولهذا جاءت هذه البنايات في غرف متعددة بين الثلاثة والأربعة غرف غالبا .(غرفة الضيوف،غرفة الوالدين، غرفة الأبناء الذكور، غرفة الأبناء الإناث. وفي البيت الثلاثي تكون غرفة الضيوف هي نفسها غرفة الأولاد.

4. أخذت العمارة الإسلامية التواتية هندستها الإجمالية من مشروع بناء الرسول (ص) وتخطيطه للمدينة المنورة وبعض المدن الإسلامية الأخرى وهذا ما نجده يتجلى في:

*** بناء المسجد كمرتكز أساسي.**

*** بناء الحصون والخنادق أسوة بفعل الرسول(ص) في بناء المدينة[1].**

*** بناء الشوارع الرئيسية الكبرى، وإلى جانبها الأزقة والدروب: أسوة بما أمر به الرسول (ص) سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكوفة والبصرة حيث أمره أن تكون**

---

1 ، ينظر: الدكتور ابن يوسف ابراهيم .مدخل لدراسة المدينة الإسلامية .مجلة المدينة العربية العدد 49، ص 16. وما بعدها.

الشوارع الرئيسية60 ذراع وما سواها30 ذراعا والأزقة سبعة أذرع(07أذرع)[1]

*** مراعاة حرمة الجار في ارتفاع الأبنية بعضها عن بعض كما نص على ذلك الشرع.**

---

1. المرجع نفسه.

الخاتـمـة:

لقد كان لـدخول الإسلام إلـى الإقليم التـواتي بدايـة مـن القـرن الثاني الهجري الأثر البارز على هندسة العمارة التواتيـة، وتحـت قبتـه انصـهرت جميـع الأشـكال والتصـاميم الأخـرى مـن عمـارة يهوديـة، أوبربريـة أوإفريقيـة ومـا إلـى ذلـك ورغـم أنـه لا يوجـد تـاريخ محـدد لبدايـة ظهـور العمـارة الإسـلامية فـي تـوات إلاّ أن الشيخ باي بالعالم ذكـر فـي كتابـه الرحلـة العليـة[1] أنـه يوجـد فـي قصر أولف مسجد شُيد سنة 164هـ وأعمدته لم تجدد إلاّ في سنة 1402هـ.

وفي الأخير وفي ظل غياب شبه كلـي للدراسـات المتخصصـة حول تاريخ ونشأة العمارة الإسلامية في أقاليم توات فإننـا نسـجل عمومـا عليهـا بأنهـا بنايـات تقليديـة ليسـت مـن تصـميم مهنـدس معمـاري واحـد " فهـذه البيئـة أنشئت خـلال قـرون مـن التجـارب المستمرة عن طريق المستخدمين أنفسهم"[2]، كمـا أنهـا امتـازت فـي عمومهـا بالبسـاطة فـي بنائـهـا وتزيينـهـا. كمـا يسـجل عليـهـا أيضا:

1. ينظر: ج02 ص283 الطبعة الأولى 2005م .دار هومة الجزائر.

2. المهندس كمال جلوقة: العمارة التقليدية والتوافق مع البيئة. ندوة العمارة الخضراء القاهرة 1991م

أنـهـا لـم تعد بفعل عوامـل الـزمن المتغيـرة تستقطب سـاكنيـها الأوائل نـاهيك عن السكان الحـالين فكانـت الـهجـرة منـهـا جماعيـا وبنيـت علـى أطرافهـا مـدن جديـدة بمميـزات وخصـائص مزيجـة وهجينـة أحيانـا.

المصادر والمراجع

• المخطوطة

1. محمد بن عبد الكريم البكري. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. خزانة سيدي أحمد ديدي قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
2. البكري بن عبد الكريم .الدرة البهية في الشجرة البكرية... خزانة سيدي أحمد ديدي قصر تمنطيط. ولاية أدرار.

• المطبوعة:

1. أحمد العماري. توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي 1850 إلى 1902، ذ، ط1، 1988م.
2. الإصطخري إبراهيم محمد الفارسي .المسالك والممالك .تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي .1961 مصر
3. بابا حيدة .القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.
3. البخاري. صحيح البخاري، شركة الشهاب الجزائر 1990م.
5. برنارد سافرو .التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية
6. ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار... دار صادر بيروت.
7. التومي سعيدان .سكان تدكيلت القدماء والاتكال على النفس. ط01، 2005. دار

8. الحسن الوزان. وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر .1983 دار الغرب الإسلامي. لبنان.
9. ابن حوقل. صورة الأرض طبعة أبريل. ليدن .1938
10. عبد الرحمن السعدي. تاريخ السودان، طبعة هوداس 1964م.
11. عبد العزيز بن عبد الله. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، المغرب 1976م.
12. ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان.
13. أبو سالم العياشي. ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي، ط2،1397هـ،1977م، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.
14. فرج محمود فرج .إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.
15. أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م الجزائر.
16. كعت محمود كعت.تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش: بن الحاج. طبعة هوداس 1964م.
17. محمد باي بلعالم. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. ط1.2005 دار هومة الجزائر .
18. المطبعة الملكية المغرب الرباط. تقييد ما اشتمل عليه إقليم

توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى، 1381 هـ، 1962م،

- **الأبحاث والمحاضرات:**

1. أحمد الصاوي: المنزل العربي كيف كان

2. كمال جلوقة: العمارة التقليدية والتوافق مع البيئة .ندوة العمارة الخضراء القاهرة 1991م

3. محمد باي بلعالم. التعريف بمنطقة توات. مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار.

4. ابن يوسف ابراهيم .مدخل لدراسة المدينة الإسلامية .مجلة المدينة العربية العدد 49ص16. وما بعدها)

البحــث العشرون

الفَقَّـارَة ...

نظام السقي الصحراوي العجيب! (1)

1. البحث منشور بمجلة "ترات" الصادرة عن نادي تراث الإمارات أبوظبي الإمارات العربية المتحدة. العدد 131 أغسطس 2010م.

نص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد:

لقد كان نظام السقي بالفقارة في الأقاليم الصحراوية جنوب الجزائر -ولا يزال -أحد أهم وأغرب أنظمة الري التقليدية في العالم،والتي وقف عندها المؤرخون والرحالة العرب والأعاجم بكثير من الدهشة والإعجاب، كما الأمر مع ابن خلدون في القرن التاسع الهجري الذي له في وصفها أمر عجيب نراه معه يتعرض إلى أدق تفاصيل إنشاء الفقارة وجريان مائها حيث يقول". وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى.وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعداً فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووراكلا وريغ. والعالم أبو العجائب. والله الخلاق العليم"[(1)]. وبنظام الفقارة استطاع الإنسان التواتي أن يلبي كافة احتياجاته الفلاحية بل وتمتد يده تصديرا إلى بلاد السودان كما يذكر ابن خلدون دائما "....وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب

---

1. تاريخ ابن خلدون مج7، ج13 ص 118 وما بعدها .

مثل توات وتكدرارين ووركلان[1]" فأين نحن اليوم من كل هذا وما هو وضع الفقارة بهذا الإقليم.

تتميز ولاية أدرار[2]. جنوب الجزائر دون سواها من بقية مناطق الجزائر خصوصا بنظام الفقارة، الذي هو عبارة عن سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في طريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية للمياه أعجب، وهو نظام قديم جدا تعددت الروايات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم. غير أن ما يميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشاره داخل الإقليم ومن ثم الاستقرار واستمرار العيش إلى الآن وسط ظروف طبيعية جد قاسية، كما كان لهذا النظام أيضا الأثر البارز في غرس روح العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع تبعا لقدرة كل فرد، ومدى حضوره و نجاعته في أعمال الحفر والصيانة السنوية التي يعرفها النظام، إضافة إلى ما يصحب كل ذلك من قيّم ومثل تضامنية عليا، هذا دون أن ننسى أثر كل ذلك على كافة التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفها ويعرفها الإقليم.

وبداية الموضوع تقتضي منا الوقوف عند المصطلح (فقارة) في حدّيه اللغوي والاصطلاحي وإن كان الحديث في هذا أولا

---

1. المصدر نفسه مج1، ج1 ص 93..

2. تقع في الجنوب الغربي للجزائر وتبعد عن الجزائر العاصمة بنحو 1500كلم. وهي عاصمة إقليم توات التاريخي .

يقتضي الوصول إلى أصل اشتقاق اللفظ فإن أهم ما ورد في هذا المعنى نوجزه فيمايلي:

أولا: لم يرد في القاموس[1] مصطلح فقّارة بتشديد القاف كجمع أومصدر للفعل فَقَرَ ولذلك فإننا نستبعد أن يكون المصطلح من معنى الفقر الذي هو ضد الغنى (وهذا بفعل كثرة الأعمال ومشقتها التي قد تؤدي إلى الفقر) مع ملاحظة هنا أنه ورد في لسان العرب لفظ فَقَارة من غير تشديد بمعنى الفقر ولكنه لم يرد مشددا. ومعلوم أن العرب في تخفيفها وتسهيلها للنطق تميل

---

1. ينظر لسان العرب لابن منظور. باب الراء، فصل الفاء. مادة فقر المجلد الخامس. ص60 وما بعدها.

إلى تخفيف المشدد لا إلى تشديد المخفف (كان أن يكون أصل اللفظ فقّارة ثم يخفف نطقه فيصبح فقَارة. مثل (النْهار، الدْراهم،....). وهذا الرأي يضعنا أمام الرأي القائل باشتقاقها من فقارة الظهر، لأن اللفظ ورد في القاموس[1] على جمع فُقَر وفقَار وقيل فقرات بكسر الفاء أولا وفتح القاء وتسكينها وكسرها معا .غير أنه وإن كانت العرب تعرف فقار الظهر منذ العهود القديمة وسمت أجود بيت عندها بفقرة تشبيها له بفقرة الظهر وذهبت إلى أبعد من ذلك حين تفننت في أسماء وتعداد هذه الفقرات[2]. فإن الفارق بين فقارة بالتسهيل وفقّارة بالتشديد يبقى نفسه المذكور في التفسير السابق.

لقد جاء في مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات لصاحبه الشيخ سيدي محمد عمر بن محمد البداوي[3]. الذي عرفها بأنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى الآخر فيبرز مــــــاؤُه.

---

1. المصدر نفسه.

2. المصدر نفس.

3. المخطوط موجود في خزانة بودة وفيه يقول الشيخ نقلا عن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني: "... اصطلحوا على تسميتهم بالفقاقير على ضرب من الشبه لأن الشيء يشبه الشيء فشبهوا صفة الفقارة بصفة فقارة الظهر من كل حيوان له فقارة". المخطوط ص13.

ويبقى أن نقول أن أصل مادة فقّارة الذي هو الفاء والقاف والراء (فقر) جاء عند العرب بنفس المعنى الذي يحمله لفظ الفقّارة حيث يقول ابن منظور في لسانه " فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها. والفقير: الآبار المجتمعة الثلاث فما زادت " ويواصل القول: "وقيل هي آبار تحفر وينفذ بعضها إلى بعض وجمعه فُقُرٌ"[1] ونلاحظ هنا دقة الشبه بين المعنيين بل تلاقيهما إلى أبعد الحدود وهو ما يعطي لهذه الرواية وجها متقدما من الصواب.

ثانيا: إن هناك من ذهب إلى القول بأن أصل القاف هو الجيم ومنه أن الفقّارة أصلها الفُجّارة وعلة هؤلاء أن الماء تفجر من الآبار وسال .غير أن هذا الرأي يبدو بعيد ا بعض الشيء لعدة أسباب وهي:

ا): إن مصدر فجّر هو تفجير ولم يرد في القاموس أي وجه في تفسير فجّارة. حيث ورد " الفَجْر من تفجير الماء، والمفجر: الموضع ينفجر منه، وتفجر انبعث سائلا، والمَفجرة، والفُجْرة مُنفجر الماء من الحوض وغيره، وفَجْرة الوادي متسعه الذي ينفجر إليه الماء "[2]. أما لفظ فجارات فورد جمعا للفظ فُجّار وفجارات العرب بكسر الفاء مفاخراتها[3].

ب): أن اللهجة المحلية التواتية وربما حتى اللهجة الجزائرية لم تحفظ لنا لفظا وردت فيه القاف (بثلاث نقاط)

---

1. ينظر الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية .معلمة الصحراء (ملحق 1) عبد العزيز بن عبد الله .ص 160.وزارة الأوقاف 1396هـ، 1976م.المغرب

2. لسان العرب لابن منظور. ص63.

3. المصدر نفسه. باب الراء، فصل الفاء. مادة فجر المجلد الخامس. ص 45 وما بعدها.

منقلبة عن جيم بعكس بعض اللهجات العربية الأخرى كاللهجة المصرية وغيرها بل وردت القاف منقلبة عن قاف في كثير من المواضع (قال بدلا من قال، ووقف بدلا من أوقف وقرب بدلا من قرب، وغير ذلك).

وما قيل عن أصل المصطلح(فقارة) في تضارب الآراء حول مفهومه يقال أيضا عن أصل اختطاط الفقارة[1] ذلك أن الآراء هنا متابينة أيضا وتذهب به بعيدا في الزمان والمكان والموطن الأصلي والإجماع الوحيد هنا هو أن النظام دخيل على المنطقة وسبقت إليه حضارات وشعوب مختلفة عجمية وعربية. وإذا كان الاختلاف حول أصل الفقارة ومبدعيها في منطقة توات لا يزال قائما إلى حد الساعة فإن الإتفاق يكاد يكون إجماعا أيضا حول نظام السقي وطريقة ابتداعه بعد الفقارة بسنوات إن لم تكن قرونـــــــــــــــا والشـــــــــــــــــاهد

---

1. ينظر: مجلة النخلة العدد التجريبي .موضوع لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات .أ عبد الله اسماعيلي.

ما نراه من وجه اختلاف بين فقارة هنُّو في تمنطيط وبين بقية فقاقير المنطقة شمالا وجنوبا على الإطلاق. وهذا على اعتبار الرأي القائل بأسبقية هذه الفقارة على بقية الفقاقير الأخرى بالمنطقة.

وما يهمنا في الموضوع تركيزا هو مرحلة ما بعد مجيء الفقارة وابتداع نظام السقي فيها وأثر كل ذلك على مختلف التحولات الاجتماعية والمجالية لسكان الإقليم. ذلك أنه وبمجيء الفقارة للمجتمع التواتي تفاعل معها إيجابا على شتى الأصعدة وكانت في ذلك حياته الاجتماعية مرآة صادقة لهذا التغيرات والتي نحاول أن نوجزها في المعطيات الآتية:

1. الفقارة عامل استقرار لسكان المنطقة:

حيث نجد أنه وبالنظر إلى الظروف الطبيعية القاسية التي تعرفها الصحراء عامة لم يكن باستطاعة ومقدور الإنسان العيش لولا وجود الماء بوفرة مغرية ذلك أن بعض الدراسات[1] تشير هنا إلى أن المنطقة كانت عائمة بالمياه والبحيرات مما مكن الإنسان الأول من الانتشار حول هذه الأحواض. لكن هذه الدراسات نفسها تشير

1. ينظر: المجال الواحي للدكتور نذير معروف نقلا عن محاضرة حول نشأة الفقارة بتوات وقرارة وتدكلت. مبروك مقدم.

إلى أن هذه الحقبة لم تدم طويلا وبدأت هذه البحيرات في النفاذ ومعها بقي الإنسان يتابع رحلة المياه في هذه المنطقة، حيث يقيم على ضفاف تلك البحيرات المتنقلة في مرحلة شديدة وصفت بمرحلة الجفاف الكبرى. وبعد مرحلة البحث عن المياه السطحية على ضفاف الأنهار والبحيرات وما أعقبها من غور للمياه وصعوبة في الحصول عليه جاءت مرحلة البحث عن المياه في أعماق التراب.

وبغض النظر هنا عن أصل فكرة ما سيعرف لاحقا بالفقارة فإن هذا الإنسان قد اهتدى إلى فكرة الفقارة تقليدا لبعض المناطق المشابهة عن طريق التجار والقوافل الذاهبة والآيبة إلى المنطقة أوحاجة وضرورة فرضتها ظروف الحياة الصعبة والحاجة أم الاختراع كما يقال.

وما يهمنا هنا أيضا هو أنه وبفعل ظهور نظام الفقارة عاد الإنسان من جديد ليجدد حضوره واستقراره في المنطقة شيئا فشيئا بعد مرحلة الهجرة واللاستقرار السابقة. والجدير بالذكر هنا أن الإنسان الصحراوي يكون قد فكر في امتلاك حصته من الماء قبل امتلاكه للأرض بل إن الإنسان وبمجرد انضمامه إلى مجموعة سكانية ما يشرع في شراء وامتلاك حصته من مياه الفقارات قصد ممارسة نشاطه الزراعي الضروري للحياة وهذا رغم أن حصته الخاصة بالشرب والعادات المنزلية هي مضمونة مجانا بحسب أعراف المجتمع. وبهذا كله أصبح ماء الفقارة عنصر ضمان على الإقامة والاستقرار حتى ولوكان مؤقتا ونلاحظ مثال هذا خصوصا مع العلماء الوافدين إلى المنطقة نذكر من ذلك تمثيلا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في القرن 10هـ الذي نزل بأرض بوعلي واشترى فيها مياها كرمز لبقائه بخلاف بقية المناطق المحلية الأخرى التي جال فيها.

ونلاحظ المثال ذاته مع الشيخ الرقاني في القرن 12هـ الذي نزل بأرض بوعلي أولا بجوار الشيخ المغيلي وكانت له كمية كبيرة من مياه الفقارة كدليل على اختياره لهذه الأرض كموطن إقامة رغم أنه هجرها لأسباب معلومة،والأمثلة تطول في هذا المجال.

والمتتبع هنا لحركية القصور وتداخلها داخل الخط المعروف بالمنطقة سيلاحظ أثر الفقارة على استقرار أو هجرة السكان من القصور .وعلى النقيض من هذا أيضا فإن بموت الكثير من الفقاقير وعدم تجديدها لأسباب قد يطول الحديث عنها[1] فقد حدثت الرحلة العكسية من القصور باتجاه التجمعات السكانية الكبرى وهو ماخلق جوا من الضغط والفوضى وسط ترتيبات عمرانية عشوائية وفوق قدرة كل برامج التخطيط المحلية أوالوطنية وهذا ما تعكسه نسب السكان من منطقة إلى أخرى.

2. نظام الفقارة ومبدأ التعاون الجماعي:

ويظهر هذا جليا منذ خروج الإنسان الأول للمشاركة في عملية الحفر التي وإن اقتصرت على فئة محددة من الناس إلاّ أننا نلمس اتحادا وتعاونا واضحا داخل هذه المجموعة ويتجلى ذلك في تقسيم أفراد المجموعة إلى مجموعات صغيرة (تكون غالبا من أربعة أشخاص فما فوق) اثنان منها في أسفل البئر واثنان في أعلاه ويكون بينهم التنسيق على أن خروج الجماعة ودخولها من وإلى العمل يكون دوما جماعيا وفي أوقات محددة. هذا في عملية البدء أما في عملية الصيانة وإبعاد الفقارة عن الأخطار المحدقة بها من رمال وسقوط للجدران وغير ذلك فإن الإعلان بداية يكون علنيا وعاما وفوق سطوح المساجد ليصل

---

1. ينظر إقليم توات خلال القرنين 12، 19هـ فرج محمود فرج .ص 55.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر1977م..

النداء للجميع وأثناء الصيانة المعروفة محليا بتويزة نلاحظ روحا تضامنية قوية بين الأفراد وسط أصوات الدف والمزمار بهدف التنشيط. مع ملاحظة أن هذه العملية إن تمت يشارك فيها الجميع غالبا حتى من غير المالكين للفقارة لأنه " لا فرق هنا بين من يملك نصيبا في الفقارة ومن لايملك، ولافرق بين الصغير والكبير، والمرأة والرجل إذ أن العمل التطوعي (التويزة) إلزامي على كل القاطنين حينما يتعلق الأمر بخطر يهدد الفقارة(1)" والجدير هنا أيضا أن عملية المشاركة والتعاون الجماعي يشارك فيها الجميع بدأ بعملية جمع العتاد مرورا بتحضير الطعام والشراب أو المشاركة في رقصة التويزة ووصولا إلى النشاط الرئيسي في العملية وهو العمل على إنقاذ الفقارة.

3. نظام الفقارة ومبدأ العدالة والمساواة بين الأفراد:

ويتجلى هذا أولا في عملية امتلاك وتوزيع المياه على الأفراد حيث يتم ذلك تبعا لجهد وعرق كل إنسان ومقدرته على العمل مع أفراد المجموعة وثانيا وفق معايير حسابية دقيقة تمكنه من استغلال أقل القليل من ثروته المائية بدء من أعلى بئر ووصولا إلى بستانه، بل إن الإنسان المالك في الفقارة يحقق فائدته في أي عمل يلحق العملية حتى دون عمل وهذا ضمن نصيبه في ما يعرف بحق الطريق في عملية (العطية) وهي تسليم عمل الفقارة للمجموعة من الناس وفق شروط أساسية عامة غالبا (جزء للعاملين وجزء للفقارة). وفي كل الأحوال يظل الفرد داخل

---

1. الفقارة في ولاية أدرار دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية جامعة أدرار وحدة البحث الفقارة 2004.

مجموعة أفراد الفقارة محافظا على كل حقوقه تبعا لواجباته أولا وقبل كل شيء.

4. الفقارة ونظام التنشئة الاجتماعية:

لقد احتلت الفقارة مكانة مرموقة داخل المجتمع التواتي ووصلت أحيانا إلى حد القداسة، وبهدف المحافظة على هذه المكانة عمد المجتمع إلى تنشئة النشء على حب واحترام الفقارة منذ نعومة الأظافر. حيث حرموا عليه العبث بنظام توزيع مياهها ورمي الأوساخ فيها واستعانوا في ذلك بالزواجر الدينية أحيانا وبالعادات والتقاليد أحيانا أخرى فالتصرف زيادة ونقصا في مجرى الماء يجر إلى غضب الله ومنه إلى النار كما أن الخروج إلى الساقية وسط خلوها من الناس (وهو وقت لعب وعبث الأطفال عادة) يؤدي إلى كثير من الآفات والأمراض أقلها الصرع والمس من الجن.

ولقد ارتبطت الفقارة أيضا في حياة المجتمع التواتي بمعظم العادات والتقاليد المعروفة فإذا حل إنسان بقصر ما جيء له بماء الفقارة ليعاود المجيء إلى القصر لأنه عندهم من شرب من ماء فقارة عاد إليها ولو بعد حين،وإذا خرجت العروس من عشها الزوجي توجهت أولا إلى الساقية وتخطت عليها ثلاثا كرمز للثبات والتشبث بالأرض وبعد ذلك تغرف منها ما تشربه في وقتها أملا في الاستقرار والطمأنينة، وما تسقي به جمع البنات من حولها أملا في زوج المستقبل. والصبي كذلك حين يحفظ القرآن الكريم ويشرع في مراسيم احتفاله المعهودة يتوجه صوب الساقية أيضا ليشرب ويتخطى هو الآخر. وفي حال وفاة شخص ما داخل القصر فإن جميع ملابسه تُخرج إلى الساقية علنا لتغسل وتنشر هناك، وأخيرا فإنه وفي يوم عاشوراء من كل سنة يتوجه جمع النساء إلى السواقي ليملأن منها الجرة ومن ثم التوجه بها إلى القبور في محاولة لبعث روح الحياة من جديد في جسد الميت كما يقال ويعتقد.

5. نظام الفقارة والفضاء الخصوصي داخل المجتمع:

لقد أدى اهتمام المجتمع بالفقارة إلى نشوء عالم خاص بها يحكمه مجموعة من الأفراد وكم هائل من الرموز والمصطلحات والوسائل الخاصة بالفقارة دون سواها فإذا جئنا إلى عملية الحفر والصيانة وجدنا الفقارة تأخذ من المجتمع أفرادا مخصوصين ومميزين كل باسمه وعمله وهم على التوالي:

-الوقّاف: وهو المكلف المباشر عن العمل وجاءت تسميته من وقوفه المستمر على العمال.

-القطّاع: الذي يحفر ويقطع الصلب من الحجارة أثناء عملية الحفر.

-الجبّاد: الذي يتولى عملية جذب التراب من العامل الأول.

-الزمّام: الذي يقوم بكتابة وتدوين زمام الفقارة.

وهي كلها أسماء على صيغ المبالغة دلالة على طبيعة العمل المتلاحق في هذا النظام.

ولعملية توزيع الماء عالمها الخاص تاريخا ومعجما فعملية توزيع مياه الفقارة على الفلاحين تسمى عندهم "الكيلة " والمشرف عليها هو شخص مختص ونادر في القصر وقد يكون واحدا لأكثر من تجمع سكاني، وينعتونه بالكيال، وآلة قياس الماء و توزيعه هي "الشقفة" وهي "الحلافة" صيغة مبالغة من الحلف على العدل والمساواة، وهي في شكلها صفيحة نحاسية مستطيلة أو دائرية ذات ثقوب عديدة و متدرجة من الأصغر إلى الأكبر. أما وحدات القياس فأصلها جميعا يسمى الحبة و بها يكون قياس ماء الفقارة إجمالا حيث يقولون في هذه الفقارة 100 حبة ماء أو 200 حبة ماء وما إلى ذلك. وغير الحبة هناك من الوحدات أيضا

الماجل: وهو أربعة وعشرين قيراط .والقيراط: هو جزء من أربعة وعشرين جزء من الماجل، وهناك أيضا قيراط القيراط وهو جزء من أربعة وعشرين من القيراط.

وللفقارة نفسها والساقية والبستان أيضا عالمهما الخاص من المصطلحات والأسماء مما لا يسمح المكان في الخوض فيها. وبهذا كله شكلت الفقارة لنفسها قاموسا وفضاء للتعامل خاصا بها وحدها وسط عديد المتغيرات الاجتماعية.

6. الفقارة والنصوص التشريعية الخاصة:

لقد كان لفضاء الفقارة عالمه التشريعي الخاص المستمد من الشريعة الإسلامية والمتماشي مع ضرورات ومتطلبات نظام الفقارة الخاص وهو ما أوجد عند فقهاء المنطقة ما يعرف بفقه النوازل وخطوا في ذلك عشرات المخطوطات التي تضمنت أمورا وفتاوى خاصة بالفقارة واشتهر من هؤلاء الأعلام تحديدا الشيخ البكري(1133هـ) والشيخ سيدي محمد بن أب (1160هـ) والشيخ سيدي عبد الرحمن بن عومر التنلاني (1189هـ) والشيخ الجنتوري (1160هـ)، والشيخ الزجلاوي (1212هـ) والشيخ سيدي ضيف الله (ق13هـ)، والشيخ سيدي عبد الرحمن البلبالي صاحب الغنية وغيرهم، ولكل واحد من هؤلاء الأعلام نوازل مخطوطة فيها العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بنظام الفقارة وآلية توزيع مياهها، بل إن البعض من هؤلاء الأعلام لم يكتف بهذا فقط بل راح يخصص مؤلفا بعينه للنزاع في الأمور المتعلقة بالسقي والزرع وهو الشيخ سيدي محمد بن أب (1160هـ) في مخطوطه تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخماس.

7. الفقارة في مجتمعنا الحالي:

إن المتتبع لحال الفقارة عبر تاريخها الطويل ووصولا إلى وقتنا الحالي يلاحظ تراجعا شديدا في الإهتمام بالفقارة ولعل أكبر شاهد على ذلك هو نسبة موت الفقاقير سنويا والتي وصلت في إحصاءاتها الأخيرة إلى أزيد من 500 فقارة[1] وهو ما دفع بالسلطات المحلية والوطنية إلى أخذ كافة التدابير للحد من هذا النزيف، وقد كان هذا وفق برامج إنمائية هامة خاصة بها دون بقية الأنشطة الفلاحية و رصدت لها الدولة الجزائرية في ذلك ما يقارب 54 مليار سنتيم ابتداء من سنة 2002 وحتى سنة 2005 في برنامجين أساسيين: برنامج الدعم الفلاحي والبرنامج القطاعي. وقد مس هذه البرامج كل تراب الولاية تقريبا في ما يفوق 476 فقارة.

ولم يقف اهتمام الحكومة الجزائرية بهذا الموروث عند هذا الحد، بل زاد إلى وضع نصوص قانونية خاصة بهذه المعالم التراثية قصد صيانتها وحفظها نذكر في ذلك تمثيلا القرار رقم 426 الصادر بتاريخ 23،06،1996م والذي ينص في كل بنوده على ضرورة حفظ وحماية الفقارة الحية منها والميتة وجاء القرار في 13 مادة من أهمها[2]:

-في حالة إنشاء فقارة جديدة يكون عمق الفقارة المنجزة يوازي عمق أقرب فقارة.

-لا يتم أي تنقيب على الماء إلاّ بعد مشورة ومصادقة المصالح التقنية المختصة وممثلي الفقارة.

---

1. الوكالة الوطنية لمصادر المياه فرع أدرار.

2. قرار والي الولاية رقم 426 الصادر بتاريخ 23، 06، 1996م. .

-لا يجوز إقامة أي بناية سكنية بدون مراعاة المعطيات التقنية، وفي كل الحالات لا تقل مسافتها عن10 أمتار من محور الفقارة.

-لا تمنح رخصة البناء لكل بناية ذات استعمال صناعي أوتجاري يقل عن الفقارة كما يلي: (عشرون متر ا للبنايات التي من شأنها انبعاث الضجيج ومائة متر للبناءات التي من شأنها إنتاج مواد سامة أوخطيرة تخضع لما جاء به قانون المياه.

-لا يرخص إقامة أي بناء عند المنبع الرئيسي أو الفرعي للفقارة على مسافة تقل عن 35 متر من كل الجوانب.

-تمنع إقامة المساحات الخضراء على ظهر الفقارة وحريمها.

-يمنع رمي القاذورات بجانب أو داخل فوهات الفقاقير.

-يلزم القرار تجميع وبناء فوهات الفقاقير على شكل دائري داخل النسيج العمراني.

الخـاتـمــة:

وختاما نقول أنه وبقدر أهمية هذه القرارات وتلك الخطوات السـابقة والتحركـات الجمعويـة والرسـمية التـي أعـادت للفقـارة هيبتها وسط المجتمع وإن جاء الأمر متأخرا بعض الشـيء. إلاّ أن عدم الحرص على متابعة مدى فاعليـة مثل تلك القرارات وترجمتهـا علـى أرض الواقـع، وكـذا اسـتثمار جميـع التحركـات الميدانيـة حـال دون الوصول إلـى الكثيـر مـن المبتغى. وفـي كل الأحـوال تبقـى الفقـارة تعـايش واقعهـا المريـر أحيانـا فـي سـمت وصـمت ومعهـا علينـا أن نفكـر فـي مسـتقبل سـكان الإقلـيم دون وجود الفقارة رمز الاستقرار والثبات.

مـــــلاحــــــق

مــلاحــق
البــحــث الثاني

منظومة ابن أب[1]:

في سلسلة شيوخ مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ) حفيد الشريف سيدي حمو بلحاج[2]

يقول فيها:

الحـمـد لله مجـيـــب السائـــل
إذا دعـي بـأعظـــم الـــوسائـــل
ثم الصـــلاة والـــسلام معـــهـــا
عـــلى الـذي حـوى العلا أجمعها

---

1. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وجاء في مخطوط نسيم النفحات أن الشيخ محمد بن أُبّ نظم أشياخ الفقيه الرقاني بطلب منه، وفي ذلك دارت بينهما رواية طويلة تعكس في مجملها أهمية ومكانة الرجلين. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص35 مولاي احمد الطاهري.
2. الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، واحد من الأولياء الصالحين بمنطقة توات، عاش في منطقة رقان جنوب الولاية أدرار، وتوفي بها1207هـ، وهو مدفون بزاويتهم الشهيرة(زاوية الرقاني).

وآلــه وصــحــبـــه وكـــل مـــن
نـــال الـهدى بـهديهم طول الزمـن
وبعد فـــارفـــع حاجـــة للبـــاري
بـــمـن حـوت ســـلسلـــة الأنـــور
من جملة الأقطاب و الأشـــراف
والعـــلـــمـا الســـنـــيـــة الأوصـاف
وأصـــدقـن لـهـــا بحـــســـن الأدب
تلقى الذي ترجو من أسنى الرتب
وقـــل إذا ســـألـــت بـــســـم اللـــه
يـــا رب إنـــي ســــــائـل بـــجـاه
وليك الـــذي أنلـــتـــه الـــشـــرف
والعلـــم والجود وفضـل من سلف
مـولاي عبـد المالك الـرقـــانـــــي
صـــالح هـــذا الوقـــت بـالعـــيـان
وشيخـه والـده الـــذي ظـــهـــر
لكـــل داع بالتـــوسل اشتـــهـر

الصالح الولي ذي القدر العلـــي
مـــولاي عبـد الله ذاك بـن علـــي
وهـو الـذي دعاه بالــرقــــانـي
هـــاتـف مـــدح شـــاد بالــبـيـــان
إشارة منـه إلى ما قد حـصـــــل
لـــه مـن الســـر بـــذلك المحـــل
وشيخـه العـارف ذي الإحســـان
شـيـــخ الشيـوخ بـن أ بـي زيانـــي
وشيخه أي ســـيـــدي مـبـارك
ذاك الـــذي مــــولاي فـــيـه بـــارك
وشيخـه بـن نـاصـر الــدرعـــي
حـــامـــي حريـــم السنـــة المرعـــي
وشيـــخـه ســيــدي عبـد الله
نـــجـــل حـــســيــن الصالـح الأواه
وشيخــه أحمـد وهو بن علـــي
مـــن جـــعـــل الإلـــه قـدره علـــي

وشيخه المشهـور بيــن الـنـاس
بســـيـدي الــغـــازي بـلا الـتـبـــاس
وشيخـه الذي لـه فضـل جلــي
اعني ابـن عبد الله واســـمـه علـــي
وشيخه المعــروف في الأزمـــان
بـــأحمـــد بـن يوسف الـــملـــيانـي
وشيخــه زروق ذي الـــتـــقـدم
وشيـخــــه أحمـد اعني الحضرمـي
وشيخه الفرد العلـي المـرتضى
وشيخــه الصدر القـرافـي الراضى
وشيخــــه الـــذي دعي بيـن الأمـــم
بابــن عطاء الله صاحـب الحكـم
وشيخه القطـــب الإمــــام المرســـي
مـــن حاذ شهـــرة كمثـل الشمـس
وشيخـه العـارف ذي الهدي الحسن
أعنـــي الإمام الشاذلي أبـي الحسن

وشيخـــه حـــاوي المقـام الأكـبـــر
عـبد السلام ابن مشيـش الأكبـر
وشيخـــه الولـــي جـار المصطـفـــى
وشيخــه شعيـــــب المبـدي الخفـى
وشيـــخــــه عـــلـــي ابـن حــرزهـــم
وشيخـــه الأرضى أبي يعزى الفهم
وشيـــخـــه مـولاي عــــبـد الـــقـــادر
شيخ الشيوخ القطب ذي المـآثــــــر
وشيـــخـــه الـذي لــــديـه يـســــمـــــي
بابـــــن هواري القـرشـي الأسمـــــى
وشيخه بـدر الـدجا أبـــي الـــفــــرج
وشيخـــــه نجل تميـــم ذي الــــدرج
وشيخه الشبلـي ذي الـــمــراتـــب
وشـــيـخــه الجنـيـدي ذي المناقب
وشيـخــــه ســــري الســـــقـطـــي
وشـــيـــخــه مـعـروف الكرخـــي

وشيـــخـــــه داوود الطـــــائـــــــي
وشـــيـــخــــه حبـــيــــب العجمـــــي
وشيخه البصـري أعني حـــسنـــا
ذاك الذي حاز الـــمقـــام الحسنـا
عـــن شيـــخـــه سيـــدنـــا علـــي
ابـــن أبــي طـــالـــب القـــرشـــي
عـــن سـيد الوجود أهدنـا إلــــى
حضـــرة فـاطــر السماوات العلا
سيـــدنـا محـمــد خـــير الـــورى
صـلـــى عليـه الله مـا بدر ســــرى
يــــا ربـــنــــا بـــجـــاه هــــــــؤلاء
عـــنـــــدك نـجـــــنـا مـن البــــلاء
وكف عنا كــف مـــــن يـــــروم
جـــنـــبـــنــــا وهـو لـــــنا ظلــــوم
وكـــــن بـعــونـــك لنـا نصيـــــرا
واجعــل حســابنـا غدا يسيـــــرا
وامنـــن علينا بقضــاء الـــوطـــر
ونجنا من هـول يـوم المحشـــــــــر
واسلك بنـا مســالك الســلامــــة
في الدين والدنيا وفـي القيامـــــــة
بجاه أحمــد الوجيه المصطـفـــى
من جاهه على الأنـام قـد ضفـــا
صــــل إلـــه الأرض والـــســـمـــــاء
علـــيــــه في الصبـاح والـــمســـــاء
والآل والصحب الكـرام ما دعــا

داعـي إلـهي بحبيبـك اشـــفــعــــا

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله [illegible] عند الحاجة إليها ونصها

[illegible] شرفاء [illegible] ألف ومائة وتسعون نايبهم واحد وثمانون غير ربع

[illegible] أهل [illegible] واحد وأربعون نايبهم أربعة عشر مثقالا وسبع عشرة موزونة

[illegible] أولاد مولاي أحمد [illegible] سبعة وتسعون نايبهم اثنان وثلاثون واثنا عشرة موزونة

[illegible] أولاد [illegible] مائة وثمانية وثلاثون نايبهم [illegible]

[illegible] أهل [illegible] خمسة وستون نايبهم [illegible] ونصف وخمس موزونات

[illegible] أهل [illegible] كلهم مائة وثمانية عشر [illegible] وست موزونات

[illegible] أولاد [illegible] أربعة وعشرون [illegible] وثمان موزونات

[illegible] شرفاء [illegible] واحد وعشرون تسعة مثاقيل غير ثلاث موزونات

[illegible] مولاي [illegible] تسعة وثلاثون [illegible] ونصف وثلاث موزونات

[illegible] أهل [illegible] مائة وتسعة [illegible] مائة وأربعة [illegible] موزونات

[illegible] أولاد [illegible] ثمانية وثمانون [illegible] وست عشر موزونة

[illegible] أولاد مولاي [illegible] سبعة وأربعون [illegible] غير موزونة

[illegible] أولاد مولانا [illegible] ستة عشر أربعة مثاقيل غير ثمان موزونات

[illegible] أولاد [illegible] ستة وعشرون [illegible] عشر وموزونتان

[illegible] أولاد [illegible] أربعة وعشرون [illegible] وثمان موزونات

[illegible] أهل [illegible] [illegible] موزونات

[illegible] أهل [illegible] تسعة وأربعون [illegible] وثمان موزونات

[illegible] أهل [illegible] خمسة وخمسون [illegible] وست موزونات

[illegible] أهل [illegible] [illegible] وست عشر موزونة

[illegible] أهل [illegible] خمسة وعشرون مع [illegible] مولاي [illegible] ومولاي [illegible]

أبناء مولاي [illegible] [illegible] موزونات

[illegible]

تقييد مخطوط في إحصاء الشرفاء بتوات جنوب الجزائر.

87 عدد الجملة الدار وخمسماية واثنان وثمانون الجملة وعد الإعربت موزونا
بل 87 عدده البالغ ثلاثة وثلاثون يخرج منها عشرون للقايد وعشرة
للوفاء من الجملة ثلاثة وكتب مقيده محمد بن عبد الرحمن التنلاني لطف الله به
الحمد لله وحده لا شك ان الفقيه سيدي محمد بن سيدي الحاج عبد الرحمن التنلاني له مخالطة ومعرفة
به وفتنة بامور العمل الحبيب ومقيدهم واليه المرجع به ولا وجد تولا من
الاعطاء الوارد من السلطان على الشرفاء وهو اعرف بهم من غيره ممن
قال منهم من ذكر منهم لم يجد ايجاد جيد من جمل بمعرفته فقوله والله تعالى
اعلم وكتب عبيد ربه تعالى محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الملك البلبالي خار الله
الحمد لله وحده وبعد فما اجاب به الفقيه اعلاه هو الذي يقول به كاتبه والله تعالى
اعلم وكتب عبيد ربه تعالى محمد عبد الله بن محمد عبد الرحمن التنلاني خار الله له الحسنى
الحمد لله وحده لا شك ولا ريب ان الخط المرسوم حوله واعلاه هو خط الفقيه
سيدي محمد بن سيدي الحاج عبد الرحمن كاتبه وكتب عارفه ومعرفة به عبيد ربه تعالى
احمد الحبيب بن محمد البلبالي ... الحسني ... مولاي
الشيخ بن مولاي عبد الواحد ابو ... مولاي المهدي بن مولاي عبد الرحمن اخبره ان سيدي
محمد الصديق واخاه سيدي عبد الرحمن ... الطاهر وتعيين بينهما واهل
زقاق الشهود وعليه ... مولاي المهدي ولد سيدي محمد الصديق وانه
... على الشريف ... ايهام ... ولا يعلمه الوزير العظيم
والوزير الحبيب ... المذكور ... من
اصلها ... وغير زيادة الانفصال ... بمقابلتها باصلها ...
وكتب ... محمد عبد الله بن محمد عبد الرحمن
التنلاني خار الله له امين

مخطوط حول العائلات الشريفة بتوات جنوب الجزائر

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وليعلم من سيقف عليه ومن ينتهي [illegible] وغيرهم ممن له معرفة بالشريعة
المحمدية أن الشريف [illegible] مولاي محمد الحاج الحسني تصدق على ابنه
الكبير البالغ [illegible] الحسني النسب المذكور بجميع
ست مائة مثقال ذهبا [illegible] الحاج [illegible] وللمتصدق
المذكور مالا وملكا من جملة أملاك [illegible] صدقة تامة لازمة جائزة ناجزة بتلة
[illegible] مالا وملكا من جملة أملاك [illegible] المذكور
وقبل ذلك كله [illegible] المذكور قبولا تاما وحازه منه حوزا تاما
بالمعاينة قصد المتصدق المذكور [illegible] وجه الله
العظيم وثوابه الجسيم [illegible] والله لا يضيع أجر من أحسن [illegible]
شهد على إشهادهما بما فيه عنهما من عرفهما وهما بحال الصحة بدن
وعقل وطوع وجواز بتاريخ اليوم السابع عشر من ذي الحجة الحرام
عام ثمانية [illegible] العبد [illegible] أحمد بن محمد الصالح
بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد [illegible] للجميع ولله
علي بن محمد الحاج الحسني [illegible]

مخطوط في تقييد صدقة من الشريف مولاي علي بن محمد الحاج لابنه الكبير.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من عبد ربه تعالى التهامي بن الطيب بن العربي بن عبد السلام الحسني الوزاني
إلى محبنا في الله ورسوله الأجل السيد مولاي محمد الحاج بن السيد
جلول قائد أولاد سيدي حمو بن الحاج رعاكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وطلبنا صالح الأدعية لكم لدى أضرحة سادات أسلافنا
الكرام بهذه الزاوية الوزانية تقبل الله وبعد فقد وصلنا
كتابكم بواسطة ابن عمكم المحب مولاي عبد الله بن مولاي
الصديق الشاكي في بني ونيف ومعه وصلنا تراكم داخلها
ذهب حلوة بلاد توات كثر الله خيركم وبارك فيكم ولكم
وأصلح بمنه أحوالكم وبلادكم ودينكم ودنياكم وآخرتكم
وجعل أغلاكم الأسلاف حاضرة معكم آمين وسلامنا
على كافة إخوانكم أهل زاوية كنتة من غير تخصيص وندعوا
الله للجميع بصالح الأدعية وخير الدنيا والآخرة آمين
وعلى المحبة والسلام في 10 ربيع النبوي عام 1355

رسالة مخطوطة من مولاي التهامي بن الطيب بن العربي بن عبد السلام الحسني الوزاني إلى الشريف مولاي محمد الحاج بن سيدي جلول قائد عرش أولاد سيدي حمو بلحاج بإقليم توات جنوب الجزائر.

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى هذه
نسخة صحيحة من اصل صحيح ونصها بعد الحمد لله والصلاة على
رسول الله كتاب حبس مؤبد ووقف مخلد عقده الشريفان
الافضلان مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي صالح مولاي
الشريف بن سيدي حمو بن الحاج وصنوه مولاي عبد الكريم ابنا
النسب لاولادهما واولاد اخيهما سيدي محمد بن النسب ومن
احتاج من بناتهم وبنات اولادهم واولاد اولادهم ما تناسلوا
اعني من الذكور دون اولاد البنات من كل ما يعقبه ولا حق لهما
في الثلاثة جنانات الكائنة بارض امللال من قصر [illegible] حسبما
استفاداه في العشراء من مولاي احمد بن مولاي الحسن ومولاي
ارشيد بن مولاي احمد بن مولاي الكبير واولاد مولاي الزين وفي
الجنان الكائن بالعين الذي استفاداه من مولاي احمد بن سيدي
محمد وفي الجنان المستفاد من مولاي الوثيق الكائن بالعين [illegible]
وفي جنان [illegible] المعروف قبل الان لمولاي عمار بن مولاي
الشريف وفي جنان [illegible] المعروف قبل الان لمولاي احمد بن مولاي
الشريف وفي [illegible] المستفاد من السيد [illegible] بن
مولاي علي وفي جناني [illegible] المستفادين من اولاد مولاي
[illegible] بن مولاي احمد بن مولاي الكبير وفي الجنان المعروف
قبل الان [illegible] سيدي [illegible] بن مولاي الكبير بن مولاي [illegible]
الكائن [illegible] قصبة مولاي احمد بن مولاي احمد مولاي
[illegible] مع سقي الجميع بنصيب ثلاث واربعين حبة
وسدس حبة وفيه منها ثلاث حبات [illegible] ربع من فقارة
تنوت وخمس حبات من فقارة بوموسى وتسع حبات من
فقارة بوصلى وعشرة حبات وعشرة واربعة من فقارة
بن عيسى واربع حبات غير سبعة واربعة من فقارة تغرافت
واربع حبات من فقارة [illegible] وست حبات وثلث من فقارة
تنوت المعروف لمولاي عبد القادر المذكور وحبة ونصف من
فقارة [illegible] ونصف حبة من فقارة [illegible] بن يوسف وفي داريه
في ارض امللال المستفادتين من مولاي احمد بن مولاي الحسن
ومن مولاي ارشيد المذكور اعلاه وفي داريه [illegible] العادة
المستفادتين من مولاي الوثيق ومولاي عمار بن مولاي
احمد بن سيدي محمد وفي داريه [illegible] في السوق قصبة
البالي وفي داره [illegible] قصبة اولاد مولاي [illegible] المذكور
المستفادتين من ولده مولاي احمد وفي جميع ومنافع

1

الوجه الأول من حبس ووقف عقده الشريفان مولاي عبد الله وصنوه مولاي عبد الكريم من أحفاد الشريف سيدي حمو بلحاج.

محرر بتاريخ أواسط ذي القعدة سنة 1196هـ.

الوجه الثاني من حبس ووقف عقده الشريفان مولاي عبد الله وصنوه مولاي عبد الكريم من أحفاد الشريف سيدي حمو بلحاج محرر بتاريخ أواسط ذي القعدة سنة 1196هـ.

مـلاحــق
البــحــث الثامن



صورة 1: حملة اللورد إيكسموث على الجزائر 1816هـ




SOUFRES


6203. P. Z.



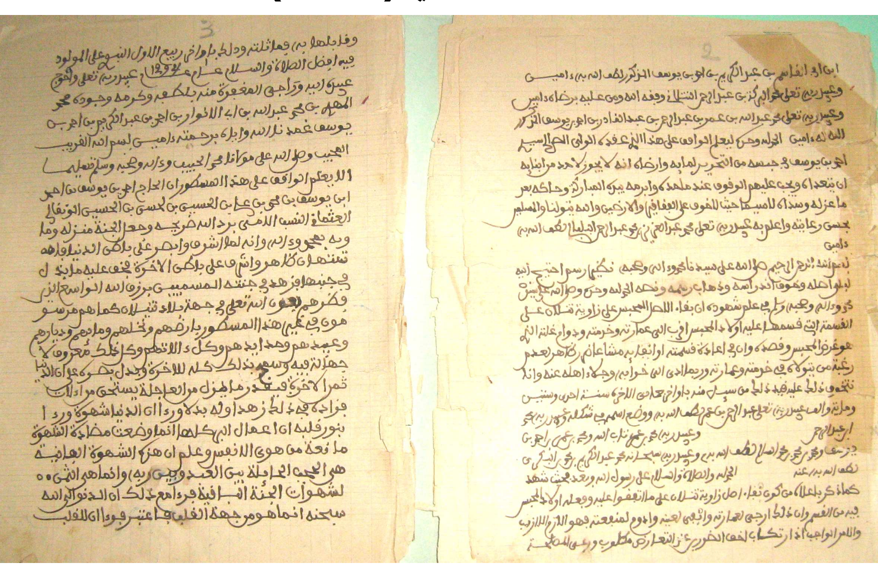
مــلاحـــق
البــحــث التاسع

الوجه الأول من "مخطوط تقييد بعض أخبار البعض ممن سلف من الأباء والأجداد " للشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم (ق12هـ)" والذي وردت فيه ترجمة لحياة وأخبار الإمام أحمد المقري

مــلاحـــق
البــحـــث العاشر



نص وثيقة وقف زاوية تنلان لمؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني (1058هـ)



نص وثيقة وقف زاوية تنلان لمؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني (1058هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وصية القطب الرباني

سيدنا الحاج الصوفي البادرياني

نسخة من وصية البركة قطب زمانه وفريد عصره ووحيد دهره الولي الصالح سيدي الحاج المكي الصوفي واسمه محمد عبد الله بن البركات سيدي الحاج ابو محمد ابن احمد ابن ابي بكر ابن الحاج ابراهيم بن الحاج بوبكر ابن عبد السلام ابن محمد عبد الرحمان ابن ابي بكر ابن سليمان ابن سعيد ابن يعلى ابن خلاف ابن موسى ابن علي ابن يوسف ابن عيسى ابن عبد الله ابن حيدرة ابن عبد الجبار ابن محمد ابن احمد ابن حماد ابن اسماعيل ابن جعفر ابن عبد الله ابن الحسن ابن الحسين السبط ابن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه [illegible]

نص وثيقة وقف زاوية بادريان لمؤسسها الشيخ سيدي الحاج محمد الصوفي (1004هـ)



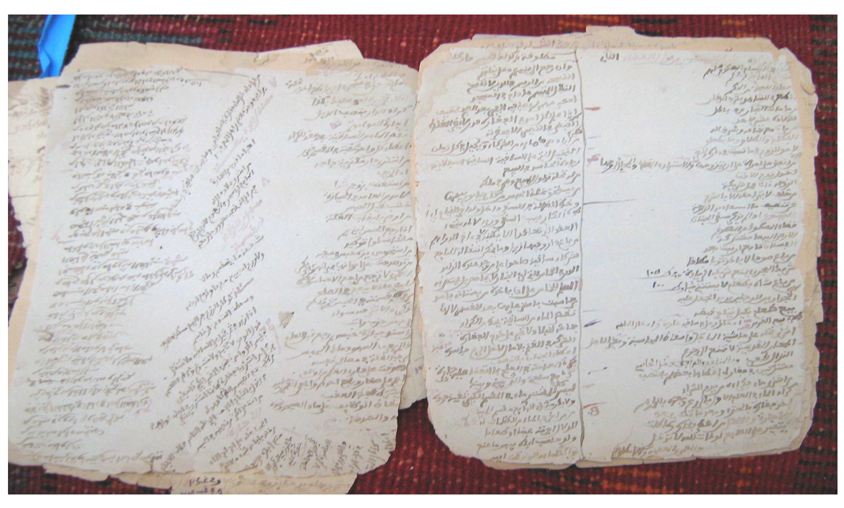


صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفية بإقليم توات.

مــلاحــق
البــحــث الثامن عشر



مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل. أزيد من سبعمائة (700) صفحة.



الصفحة السادسة عشر والسابعة عشر من فهارس موضوعات مخطوط نوازل الغنية.





الصفحة الخامسة والسادسة من مخطوط نوازل الغنية النسخة (أ)

خزانة باعبد الله أدرار، الجزائر.





صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفية بإقليم توات.

الفــهـــرس